الفقه

موسوعة استدلالية في الفقه الإسلامي

الجزء الثامن والتسعون

كتاب
حول القرآن الحكيم

المرجع الديني الراحل

الإمام السيد محمد الحسيني الشيرازي

(أعلى الله درجاته)

الطبعة الثالثة

١٤٣٣هـ ٢٠١٣م

الفقه

كتاب حول القرآن الحكيم

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف خلقه سيدنا محمد وعلى آله الطيبين الطاهرين، واللعنة الدائمة على أعدائهم إلى قيام يوم الدين.

المقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على محمد وآله الطاهرين.

وبعد فهذا كتاب (حول القرآن) جمعت فيه جملة من المسائل المرتبطة بالقرآن الحكيم، والله سبحانه المسؤول أن يوفقني للصواب، ويتمّه بفضله، ويتفضل عليّ بالثواب، ويجعله مقدمة لنشر القرآن الحكيم في مشارق الأرض ومغاربها، إنه لما يشاء فعال، وهو الموفق المستعان.

١٢ رجب ٩٩ هـ
محمد بن المهدي الحسيني الشيرازي

تطبيق الفكر والعمل على القرآن

(**مسألة ١**): يجب تطبيق الفكر والعمل على القرآن، وذلك ببيان مقدمات:

الأولى: إن الله سبحانه خلق الكون الواسع بما فيه الدنيا والآخرة، والحياة وغير الحياة، على كيفية خاصة من الحقائق والأبعاد والحدود والمزايا والخصوصيات، وهذا واضح لا يحتاج إلى الدليل.

الثانية: إن القرآن هو الكتاب الوحيد الذي بقي مما أنزله الله سبحانه في أيدي البشر، أما سائر الكتب المنزلة فقد حُرّفت وبُدّلت، كما قال سبحانه: ﴿**يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ وَنَسُوا حَظًّا مِمَّا ذُكِّرُوا بِهِ**﴾[1]، بل قامت الضرورة منا على عدم تمامية الكتب الباقية كالتوراة والإنجيل، بالإضافة إلى فقدان بعض الكتب المنزلة من أساسها بحيث لم يبق منها عين ولا أثر، بالإضافة إلى أنه لم يعلم أن سائر الكتب المنزلة كانت لأجل الهداية الكاملة المستوعبة للفكر والعمل بصورة مطلقة.

الثالثة: إن القرآن نزل بقصد توجيه الفكر وتوجيه العمل، والمراد بالعمل أعمال الجوارح كلها بما فيها اللسان، وقد دلت الأحاديث المتواترة على أن الهداية خاصة بالقرآن: إن من طلب الهداية في غير القرآن أضله

---

(١) سورة المائدة: ١٣.

الله، أي كان ضالاً، والنسبة إلى الله سبحانه باعتبار أن الآلة منه سبحانه، ولذا نسب كل شيء إلى نفسه.

قال سبحانه: ﴿وَما رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ﴾[1].

وقال: ﴿يُضِلُّ مَنْ يَشاءُ﴾[2].

وقال: ﴿أَمْ نَحْنُ الزَّارِعُونَ﴾[3].

وقال: ﴿كُلٌّ مِنْ عِنْدِ اللهِ﴾[4].

وقال: ﴿وَاللهُ خَلَقَكُمْ وَما تَعْمَلُونَ﴾[5]، على فرض أن يراد به كل عمل الإنسان حتى المعصية باعتبار أن الآلة منه سبحانه.

وإنما كان يضلّ من طلب الهداية في غير القرآن، لأنه لا هداية فيما عداه، مثل أن يكون الطريق إلى البلد الفلاني خاصاً بطريق واحد فيقال: إن من سلك غير هذا الطريق ضل، فإن وجهه أنه لا طريق غيره.

الرابعة: إن ظرفية البشر في عالم الدنيا ليست أكثر من القرآن، فإنه وإن احتمل أن يكون الكون بمعناه العام، أكبر من المقدار المذكور في القرآن، إلاّ أن المقدار الذي يستوعبه الإنسان من الكون استيعاباً في فكره وفي عمله، ليس أكثر مما أرشد إليه في القرآن.

مثلاً إذا كانت صحراء بمقدار مائة فرسخ، لكن زيداً لا يتمكن من

(١) سورة الأنفال: ١٧.

(٢) سورة الرعد: ٢٧.

(٣) سورة الواقعة: ٦٤.

(٤) سورة النساء: ٧٨.

(٥) سورة الصافات: ٩٦.

عمران أكثر من عشرين فرسخاً منها، كان مقتضى الحكمة أن يكون المنهاج الذي يضعه مربي زيد بقدر تعمير عشرين فرسخاً فقط، إذ الزائد لغو لايصدر من الحكيم.

ويؤيد أوسعية الكون عن مقدار ظرفية الإنسان قوله (عليه السلام):

«ما لا عين رأَتْ، ولا أُذُن سَمِعَتْ، ولا خَطَر على قلب بشر»[1].

إلاّ أن يقال: إن هذا لا يدل على أوسعية الكون عن القرآن، لأن للقرآن بطوناً، ولأنه لا تفنى غرائبه كما في الحديث، فلعله سبحانه جعله يتدرج في الظهور كما جعل حقائق كونه في الدنيا وفي الآخرة تتدرج في الظهور.

وكيف كان، فيدل على المقدمة الرابعة عدم وجود الهداية في ما عدا القرآن، كما نص بذلك متواتر الروايات، فلو كان البشر أوسع للزم وجود الهداية في ما عدا القرآن الأزيد من القرآن، لابد وأن يكون له طريق مستقيم، وطريق غير مستقيم، ومعرفة البشر الطريق المستقيم في المقدار الأزيد هداية، والمفروض أنه لا هداية في ما سوى القرآن.

إذا تحققت هذه المقدمات الأربع قلنا:

ثبت أن فكر البشر في أحوال المبدأ والمعاد والمعاش بكل أصنافه من عبادة ومعاملة بأقسام المعاملات، وأخلاق وغيرها، لا يعدو القرآن، كما ثبت أن أعماله بكل أنواعها لا تعدو القرآن، فاللازم تطبيق فكره وعمله في إطار القرآن، إذ القرآن مرآة للكون، والبشر مأمور بفهم هذا الكون والعمل على طبق ذلك الفهم، فمثلاً إذا فرضنا أن المريض كان مأموراً بشفاء نفسه،

(1) تهذيب الأحكام: ج4 ص17 باب ذكر جمل من مناهي النبي (صلى الله عليه وآله) ح4968.

ووصف المرض ووصف الدواء كان مكتوباً في كتاب، وقال الآمر: أفهم داءك ودواءك وأعمل لشفائك، كان اللازم على المريض أن يفهم الكتاب وإلا يبقى مريضاً.

وعليه فإذا أفرغ البشر فكره وعمله في إطار القرآن هدى، وإلاّ ضل عن سواء السبيل.

وللتوضيح نقول: حقيقة المبدأ وحقيقة المعاد وحقيقة المخلوقات، أي خلق السماوات والأرض والجبال والرعد والبرق والجنة والنار والموت والحياة وغيرها، شيء ثابت مسلم، سواء فهمهما البشر أم لا.

كما أن سعادة البشر في الصلاة والصيام والزكاة والبيع والنكاح والحرية والحدود والقصاص وغيرها، والواقع في باب الفهم وأسلوب العمل المسعد في باب العمل ذكرا في القرآن الحكيم، فإن صب البشر فكره في قالب فهم القرآن أدرك الحقائق، وإن صب البشر عمله في قالب العمل الذي أرشد إليه القرآن سعد، وإلاّ أخطأ في فكره وشقي في عمله.

مثلاً قال القرآن: الإله واحد، وقال: أقيموا الصلاة، فإن لم يصب البشر فكره وعمله في هذين، لقال بأن الإله اثنان، ولم يصلّ، والأول يوجب انحراف فهمه عن الواقع، والثاني يوجب شقاءه حتى في الدنيا، لأنه كما قال سبحانه: ﴿**أَلا بِذِكْرِ اللهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ**﴾[1]، وقال تعالى: ﴿**أَقِمِ الصَّلاةَ لِذِكْرِي**﴾[2].

---

(١) سورة الرعد: ٢٨.

(٢) سورة طه: ١٤.

ثم إن هنا ثلاثة أمور:

الأول: إن للقرآن ظهراً وبطناً، ولبطنه بطن وهكذا، وإذا لاحظنا ذلك في التكوينيات التي خلقها الله سبحانه ظهر نوع شبه لفهم المقصود بذلك، فمثلاً التفاح له ظهر هو قشره، وبطن هو لبه، ولبطنه بطن هو نواته، ولنواته بطن هو مخه، وهكذا الإنسان له ظهر هو جلده المرئي منه، وله بطن هو لحمه، ولبطنه بطن هو القلب والكبد والكلية، ولكل بطن بمنزلة مخ النواة.

وفي القرآن مثلاً قال سبحانه: ﴿**وَنُرِيَ فِرْعَوْنَ وَهامانَ وَجُنُودَهُما مِنْهُمْ ما كانُوا يَحْذَرُونَ**﴾[1]، فظهره هؤلاء الثلاثة في قبال موسى (عليه السلام)، وبطنه أمثالهم في قبال محمد (صلى الله عليه وآله وسلم)، ثم أمثالهم في قبال علي (عليه السلام) وهكذا.

ويؤيد هذا المعنى ما ورد من أن القرآن كالشمس تجري كل يوم، فله انطباق في كل زمان على أفراد وأعمال وحالات.

ثم إن من الطبيعي أن يكون القرآن كذلك، لأنه كتاب اللفظ في قبال كتاب الكون، فاللازم انطباق هذا الكتاب على ذلك الكتاب، وإلا لم يكن كامل الانطباق.

الثاني: ورد بالنسبة إلى بعض أساميه سبحانه أنه لا يعلم ظاهرها ولا باطنها ولا تفسيرها ولا تأويلها إلاّ الله سبحانه، كما في دعاء السمات، وقد يظهر من بعض الروايات أن القرآن كذلك، كما ذكر في قصة بلوهر مع

---

(١) سورة القصص: ٦.

يوذاسف.

وهنا سؤالان:

السؤال الأول: إنه ما معنى ذلك؟

والجواب: إن فهم كل ظواهر الأشياء وبواطنها كذلك، فإن البشر لا يعلم إلاّ بعض السطحيات، مثلاً ما هو حقيقة اللحم والدم، وما هو حقيقة الماء والكهرباء؟ وإلى غير ذلك، فإذا رأى الإنسان سيارة لا يعلم ما هي، فإنه لا يعلم هل هي حديد أو صفر (ظاهرها)، ولا يعلم ماذا في ماكنتها (باطنها)، ولا يعلم ما نفعها (تفسيرها)، ولا يعلم إلى أي شيء يكون أوْلها (تأويلها)، وكذلك القرآن لا يعرف المراد الكامل من ظاهره ولا من باطنه، كما لا يعرف الفائدة الكاملة منه حالاً ولا أوْل القرآن، للمستمسك به والتارك له.

السؤال الثاني: إذا كان لا يعلم ظاهرها ولا باطنها، ولا تفسيرها ولا تأويلها، فما فائدة ذلك؟

والجواب: الإشارة والتلميح وإن كانت الحقيقة مخفية، مثلا إنك إذا سمعت من إنسان ما لاقاه من الأهوال في حرب ضروسة، وأراك بعض التصاوير التي التقطها من تلك الحرب، فإن الكلام والصورة لا شك يلمحان إلى حقيقة، لكن هل تدرك بذلك هول تلك الحرب وانفعالات أولئك المحاربين؟

إن نسبة ما نفهم من القرآن إلى حقيقته، كنسبة الصور والكلام إلى حقيقة تلك الحرب، وللحرب (ظاهر) هي المعركة، و(باطن) هي الاستعمار الذي يريد التسلط مثلا، و(تفسير) هو ما تنتجه الحرب الآن من غلاء

الأسعار وانسداد الطرق، و(تأويل) هو ما يترتب من الأثر على هذه الحرب من سقوط إمبراطورية ودخول إمبراطورية أخرى إلى الحياة.

الثالث: قد ورد في باب القرآن أنه لا تنقضي غرائبه، والمراد بذلك إما بعض حقائقه التي لا نعلم بها، أو أن الطريق الذي أرشد القرآن البشر إليه طريق لا تنقضي غرائبه، مثلاً أرشد القرآن البشر إلى السير في الأرض والنظر والعبرة، وهذا يؤدي دائماً إلى اطلاع البشر على معلومات جديدة غريبة واكتشافات حديثه مدهشة، والله سبحانه العالم.

التفكر في القرآن

(مسألة ٢): وجوب التفكر في القرآن، كما تقدم في المسألة السابقة، ودلت عليه الآيات والروايات، هل هو وجوب عيني، كما هو ظاهر الآيات والروايات، أم وجوب كفائي؟

احتمالان، من إطلاق الأدلة، ومن جريان سيرة المتشرعة على عدم تفكر كل المسلمين، بل كثير من أهل العلم والفضل في القرآن، ومع ذلك لا يعدون من العصاة الذين يستحقون العقاب على عدم الفكر، ولو كان هذا الشيء واجباً على كل أحد لكان من أظهر البديهيات الإسلامية، وهذا الثاني هو الأظهر، وإن كان الأول أحوط.

بل ربما يدل على الأول عدم عدّ الفقهاء ذلك في عداد الواجبات، وعدم عدّهم تركه من المحرمات، وقد ذكر جماعة منهم الواجبات والمحرمات.

نعم لا شك أنه من الواجبات الكفائية لتوقف الإسلام عليه.

أما قدر التفكر فهو ما يصدق عليه ذلك، إذ لا دليل على الأزيد من القدر الذي هو مصداق للتفكر الذي يتوقف الإسلام عليه.

ثم التفكر في القرآن لأجل تطبيق العلم والعمل عليه، يشمل التفكر الذي يعمله علماء أصول الدين، لأجل استخراج الأصول من القرآن، كما فعله العلامتان الحلي والمجلسي، وصاحب كفاية الموحدين وغيرهم، كما يشمل التفكر الذي يعمله علماء الفقه لأجل استخراج الأحكام الفقهية،

وكذلك يشمل التفكر الذي يعمله علماء التفسير، وعلماء الأخلاق لفهم الآيات ولاستخراج الأخلاقيات من القرآن.

وربما يقال فيه احتمالان، من أصالة عدم الوجوب، ومن إطلاق أدلة التفكر وأنه لو لا وجوبه الكفائي لكان ذلك اندراساً للقرآن، وذلك محرم نصاً وإجماعاً، وهذا الثاني أقرب.

أما التفكر لأجل صقل النفس والتقرب إلى طاعة الله سبحانه، وكما قال علي (عليه السلام): «يستثيرون به دواء دائهم»[١]، فالظاهر استحبابه، ولا يحصل ذلك إلاّ للأوحدي من الكُمّلين، هذا من جهة الوجوب الفقهي.

أما الوجوب الإنساني لمن أراد تكميل النفس والارتفاع من حضيض البهيمية إلى أوج القرب إليه سبحانه لدرك أعلى رتب السعادات الأبدية، كما قال (عليه السلام): «اجعلني من أحسن عبيدك نصيباً عندك، وأقربهم منزلة منك، وأخصهم زُلفةً لديك»[٢]، فهو من أوجب الواجبات.

وهذا القسم من التفكر ليس تفكراً أصولياً ولا فقهياً ولا تفسيرياً ولا أخلاقياً بالمعنى العام للأخلاقي، أي لأجل استخراج أمثال الصدق والأمانة والوفاء وحدودها من القرآن، بل هو قسم خامس هو التفكر لأجل صقل النفس وإيصالها إلى أوج الكمال، لتحصيل ما ذكره بقوله (عليه السلام): «واجعل ... قلبي بحبّك متيماً»[٣].

وهناك نوع سادس من التفكر، وهو ما يفعله الثوار والمصلحون لأجل الحركة وتحريك الناس إلى الثورة على الباطل، وتقويم المعوج، لأن القرآن

(١) نهج البلاغة: الخطبة ١٩٣.

(٢) البلد الأمين: ص١٩١، دعاء كميل.

(٣) البلد الأمين: ص١٩١، دعاء كميل.

أعظم كتاب حركة عرفها العالم على الإطلاق، لما فيه من الترغيب والترهيب، وقصص الأنبياء العظام (عليهم السلام)، والأمم الذين سلكوا سبيل الله فنجحوا، والذين تركوا سبيل الله فهلكوا.

وهذا القسم أيضاً واجب كفائي، لأنه داخل في باب التبليغ، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وإرشاد الجاهل، وتنبيه الغافل، وهداية الضال.

وكلما قل هذا القسم زاد الفساد وتأخر المسلمون، وكلما كثر هذا القسم انتشر الصلاح وزهق الباطل وتقدم المسلمون.

ثم إن كل قسم من هذه الأقسام الستة للتفكر يتبعه نوع من العمل، حتى التفكر الأصولي، لأن البناء العملي على أصول الدين ـ والذي يسمى بالعقيدة في قبال من جحد بها واستيقنتها نفسه ـ واجب، بل من أول الواجبات، وقد تقدم في المسألة الأولى وجوب تطبيق الفكر والعمل على طبق القرآن، بأن يجعل القرآن إطاراً للفكر والعمل.

نعم قد عرفت أن الواجب الفقهي لا يتعلق بالتفكر لأجل صقل النفس، وإن كان هو أول الواجبات الإنسانية.

ثم الواجب أن يجعل القرآن مبدأ الفكر والعمل، أي أن اللازم أن تستمد أصول الدين والفقه والأخلاق والحركة من القرآن.

أما أصول الدين المستمدة من غير القرآن، والفقه والأخلاق والحركة كذلك فهو ضلال وباطل ويوجب الوزر في الدنيا والآخرة.

أما تصقيل النفس فقد عرفت أنه ليس بواجب، لكن من أراده فلا تصقيل في غير القرآن.

والفلسفة والمنطق والعرفان والكلام، ما يطابق منها الإطار القرآني، سواء من باب المقدمة لفهم القرآن، مثل النحو والصرف والبلاغة، أو من باب العمل القلبي والجوارحي بعد الفهم والفكر، فهو صحيح وجائز، وغيره باطل وحرام.

وهذا الفهم القرآني بمراتبه الستة العلمية المستتبعة للعمل هو المراد بحسب الظاهر من قوله (عليه السلام): «بل هو نور يقذفه الله في قلب من يشاء»[1]، فإن هذا الأسلوب من الفكر الذي يتبعه عمل القلب وعمل الجوارح خاص بالمؤمن الكامل الإيمان.

فلا يقال: إنا نرى إمكان أن يكون الكافر فقهياً أو أخلاقياً أو عارفاً بأصول الدين عن دليل.

إذ جوابه أن العلم الذي لا يبعث على الخشية والعمل القلبي والجوارحي ليس علماً، فليس من المعقول أن يعلم الإنسان بوجود أسد خلفه يفترسه إذا لم يهرب، ثم لا يهرب، وإذا لم يهرب دل على أنه إما لا يعلم بوجود الأسد أصلا، أو يعلم بوجوده ولا يعلم بأنه يفترس.

والحاصل: كما أن النور منير في نفسه ومنير لغيره، وإذا فقد أحد الأمرين لم يكن نوراً، كذلك العلم بالواقع يشع على القلب والجوارح فيوجب لهما كيفية خاصة من السلوك، فإذا لم يوجد ذلك فليس بعلم، ولذا قال (عليه السلام): «ليس العلم بكثرة التعلم...»[2].

---

(١) انظر منية المريد، للشهيد الثاني (رحمه الله): ص١٦٧ عن الإمام الصادق (عليه السلام)، وفيه: «ليس العلم بكثرة التعلم، وإنما هو نور يقذفه الله تعالى في قلب من يريد الله أن يهديه».

(٢) منية المريد: ص١٦٧.

تعليم وتعلّم شؤون القرآن

(مسألة ٣): يجب على كل مسلم ومسلمة تعلم بعض القرآن كالحمد والسورة، وذلك لأجل الصلاة الواجبة، والوجوب مقدمي كما هو واضح، كما يجب وجوباً كفائياً تعلّم كل القرآن حفظاً له عن الاندراس المحرم بالضرورة والإجماع.

ثم إن تعلّم الواجب، تعليمه واجب أيضاً للملازمة، وقد ذكرنا في بعض مباحث (الفقه) جواز أخذ الأجرة حتى على الواجبات العينية مثل الصلوات الواجبة اليومية، وأشكلنا على الوجوه التي ذكرها المشهور على عدم جواز أخذ الأجرة، وإن كان الأحوط عدم أخذ الأجرة، خصوصاً في باب القرآن، حيث قال أمير المؤمنين (عليه السلام) لمن قال له: إني أحبك في الله: «وإني أبغضك في الله»، ثم علله (عليه السلام) بأنه يبغي على القرآن أجراً[1].

ثم إن أدلة وجوب التعليم والتعلم كما تشمل ألفاظ القرآن الحكيم، كذلك تشمل ترجمته وتفسيره وكتابته وطبعه ونشره وغير ذلك مما يحفظه عن الاندارس الذي قد عرفت حرمته.

(١) انظر وسائل الشيعة: ج١٧ ص١٥٧ ب٣٠ ح٢٢٢٣٤ وفيه: (عن علي عليه السلام أنه أتاه رجل فقال: يا أمير المؤمنين والله إني لأحبك لله، فقال له: ولكني أبغضك لله، قال: ولم؟ قال: لأنك تبغي في الأذان، وتأخذ على تعليم القرآن أجراً، وسمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول: من أخذ على تعليم القرآن أجراً كان حظه يوم القيامة).

ثم إن الأفضل أن يلاحظ في الترجمة بالإضافة إلى المعنى الجمال، حتى لا يكون المعنى باهتاً، مثلاً في ترجمة ﴿**قُل هُوَ اللهُ أَحَد** ...﴾[١] بالفارسية يترجم (بگو خدا يكتا است)، (خداوند بر با است) بناءً على أن ﴿الصمد﴾ من الصمود بمعنى الثبات والدوام، (زائيده نشده ونزا است)، (تنها وبي همتا است).

هذا من باب المثال لتقريب ما ذكرناه إلى الذهن، وإلا فالترجمة ليست كما ينبغي.

وكيف كان، فالأفضل مراعاة الجمال مهما أمكن.

كما أن التفسير يلزم أن يكون بالكتاب والسنة والإجماع ـ الشامل للعرف ـ والعقل حتى لا يكون تفسيراً من عنده، إذ تفسير مراد الغير بدون الدليل كذب، فكيف بالقرآن الحكيم.

أما التفسير بالكتاب فهو أن يعرف الإنسان معنى آية أو كلمة بسبب جملة أخرى من نفس القرآن، مثل فهم ﴿**وَمَنْ يُضْلِلِ اللهُ**﴾[٢] بسبب ﴿**إِنَّا هَدَيْناهُ السَّبيلَ إمّا شاكِراً وَإِمَّا كَفُوراً**﴾[٣]، وفهم ﴿**إِلى رَبِّها ناظِرَةٌ**﴾[٤] بسبب ﴿**لَنْ تَراني**﴾[٥]، وفهم (قصد السبيل) بسبب الكلام المكتنف به في قوله تعالى: ﴿**وَعَلَى اللهِ قَصْدُ السَّبيلِ ومِنْها جائِرٌ**﴾[٦]، حيث يفهم أن المراد

(١) سورة الإخلاص.

(٢) سورة النساء: ٨٨.

(٣) سورة الإنسان: ٣.

(٤) سورة القيامة: ٢٣.

(٥) سورة الأعراف: ١٤٣.

(٦) سورة النحل: ٩.

به (المستقيم) في قبال (الجائر).

وأما التفسير بالسنة، فهو مثل تفسير ﴿**بَلِّغْ ما أُنْزِلَ إِلَيْكَ**﴾[١] بما ورد في السنة من أن الآية نزلت في قصة غدير خم[٢].

ثم إن ما يشاهد من التفاسير المتعددة لآية واحدة، فهو من باب المصداق، مثل تفسير: ﴿**الَّذينَ يُنْفِقُونَ أَمْوالَهُمْ بِاللَّيْلِ وَالنَّهارِ سِرًّا وَعَلانِيَةً**﴾[٣] بأمير المؤمنين (عليه السلام) تارة، وبالمنفق للخيل أخرى.

أو من باب معرفتهم (عليهم السلام) أن المصداق المذكور ليس من باب خصوصية، بل من باب مصداق الكلي، مثل تفسير: ﴿**فِرْعَوْنَ وَهامانَ وَجُنُودَهُما**﴾[٤] بكل ملك طاغ ووزير خائن وجنود مرتزقة.

أو من باب البطون، مثل تفسير: ﴿**لا يُسْئَلُ عَنْ ذَنْبِهِ إِنْسٌ وَلا جَانٌّ**﴾[٥] بالشيعة، إن لم نقل بجواز استعمال المشترك في أكثر معنى مطلقاً، كما لم نستبعده في الأصول، أو بالنسبة إلى مثل الله سبحانه، حيث لا يشغله أمر عن أمر.

أو يقال في مثل هذا التفسير أنه من باب فهم المصداق لكي ينطبق على أهل الآخرة مطلقاً، وعلى الشيعة خاصة، جمعاً بين ظاهر الآية وتفسيرها، وللمحدث الفيض الكاشاني في مقدمة تفسيره (الصافي) بحث قيم حول

(١) سورة المائدة: ٦٧.

(٢) تفسير القمي: ج١ ص١٧٠ و١٧٣.

(٣) سورة البقرة: ٢٧٤.

(٤) سورة القصص: ٦.

(٥) سورة الرحمان: ٣٩.

تفسير القرآن بالبطون.

ومن اللازم أن يقولب مثل (تفسير البرهان) في هذا القالب، كيما لا يرى بعض عدم الارتباط بين بعض الآيات وبين تفسيرها في الروايات.

كما أن اللازم الاجتهاد في روايات التفسير كاجتهاد الفقهاء في روايات الفقه، وذلك ما لم أجده في تفاسيرنا، والحال أنه من الأهمية بمكان.

وأما التفسير بالإجماع، فهو صحيح من باب الكشف عن رأي المعصوم (عليه السلام) كما ذكروا في باب الإجماع، وإن لم أجد أنا تفسيراً كهذا بالنسبة إلى الآيات.

نعم التفسير بالإجماع العرفي، أو تفسير العرف العام للآية، بأن يرى الإنسان الأمر المستفاد من الآية لو كانت كلاماً ملقى إلى العرف، موجود في كثير من الآيات، وهذا في الحقيقة ليس تفسيراً، بل هو ترجمة وتفهم للآية بالفهم اللغوي العرفي من باب قوله سبحانه: ﴿**وَما أَرْسَلْنا مِنْ رَسُولٍ إلاّ بِلِسانِ قَوْمِهِ**﴾[1]، وقوله (صلى الله عليه وآله وسلم): «أُمِرنا أن نُكلّم الناس على قدر عقولهم»[2].

وأما التفسير بالعقل، فهو واضح، من باب إذا خالف الظاهر العقل يجب تأويل الظاهر، ولذا قال العلامة الحلي (رحمه الله) في جواب الظاهرية والجبرية الذين تمسكوا ببعض ظواهر القرآن لمقاصدهم المخالفة للعقل: إن العقل والظواهر الأخر توجب صرف هذا الظاهر المخالف للعقل عن ظاهره، مثلا استحالة العقل رؤية الله، والظواهر الدالة على عدم رؤيته

---

(١) سورة إبراهيم: ٤.

(٢) الكافي: ج١ ص٢٣ كتاب العقل والجهل ح١٥.

سبحانه تسقطان ظاهر قوله سبحانه: ﴿**إِلى رَبِّها ناظِرَةٌ**﴾[1]، إلى غير ذلك، وإنما أتى بهذا الظاهر من باب الكلام العرفي، ولذا اشتهر بينهم وجود المجازات في القرآن، لأن أكثر كلام العرب مجازات.

أقول: وكذلك بل أكثر كلام العجم وسائر الأمم الضاربة بلغتها في التاريخ.

ثم إن تعميم القرآن بكتابته في المساجد والدور والمحلات واللافتات وما أشبه، وفي الأشرطة ونحوها، إلى سائر أقسام التعميم داخل في نشر القرآن الذي يكون حيناً واجباً وأحياناً مستحباً، فاللازم الاهتمام بهذه الجهة حسب المستطاع، والله الموفّق المستعان.

---

(١) سورة القيامة: ٢٣.

تفسير القرآن بالمعاني الحديثة

(**مسألة ٤**): هل يجوز تفسير القرآن بالمعاني الحديثة من الصناعات والاختراعات والأنظمة وما أشبه، أم لا يجوز، أم يفصل في المسألة بين التفسير المحتمل وغير المحتمل؟

احتمالات، بل أقوال لبعض أفاضل المعاصرين.

❖ استدل الأولون: بأنه وإن لم يكن محتملا حسب ظاهر القرآن، لكنه حيث يوجب نشر الهداية وتقريب الأذهان إلى الإسلام جاز من باب الأهم والمهم.

ويرد عليه:

أولا: إن التقريب لا يتوقف على ذلك حتى يأتى دور الأهم والمهم، بل الإسلام له من القوة والأدلة قدر يكفي لجلب الأفراد إليه، فلا حاجة إلى ذلك.

والحاصل: إنه لا موضوع في المقام لقاعدة الأهم والمهم، بل حاله حال ما إذا وقعت امرأة في الخطر، وأنه إذا لم تجر عليها عملية جراحية ماتت، وكان هناك طبيب وطبيبة، فإنه لا يصح أن يقال بجواز عملية الطبيب لها من باب الأهم والمهم، إذ ذلك إنما يستقيم إذا لم تكن طبيبة.

وثانياً: إن ضرر تفسير القرآن بما لا يحتمل يوجب التلاعب بالقرآن مما يسقط مكانته ويسبب تغيير أحكامه، مثلا إذا كشف العلم المكروب في لحم

الخنزير، وقلنا إن القرآن إنما حرم الخنزير لهذا المكروب، لزم حلية الخنزير إذا عقم المكروب.

كما يلزم سقوط مكانة القرآن إذا جاء علم مناقض دل فرضاً على أنه لا مكروب في الخنزير، كما حدث ذلك بالنسبة إلى الذين فسروا السماوات السبع بما ذكره بطلموس، فإنه أسقط في أيديهم لما جاء العلم الحديث الكاشف عن بطلان تلك الهيئة.

❖ واستدل للقول الثاني: بأنه من التفسير بالرأي الذي منعت منه متواتر الروايات.

ولا يخفى ما في إطلاقه، إذ ليس كل ذلك من باب التفسير بالرأي.

والظاهر هو القول الثالث، فقد يكون التفسير من باب تطبيق كلي القرآن على المصداق الجديد، كتطبيق الميسر على الأقسام الحديثة من القمار، وكتطبيق قوله: ﴿**وَمِنْها جَائِر**﴾[1] على المناهج الاقتصادية الحديثة كالشيوعي والاشتراكي، وهذا القسم لا يضر، بل ظاهر تشبيهه (عليه السلام) القرآن بالشمس تجري في كل يوم أنه لولا ذلك لمات القرآن.

وقد يكون التفسير من باب التشبيه لوحدة الملاك، مثل تفسير فرعون وهامان بكل ملك جبار ووزير ختار، وهذه أيضا استفادة عرفية ليس من التفسير بالرأي، ويشمله الحديث السابق.

وقد يكون التفسير من باب الاحتمال، كأن يفسر قوله سبحانه: ﴿**لَتَرْكَبُنَّ طَبَقاً عَنْ طَبَقٍ**﴾[2] بالصعود في الفضاء بلفظ لعل وما أشبه، وهذا

---

(١) سورة النحل: ٩.

(٢) سورة الانشقاق: ١٩.

لا إشكال فيه أيضاً، لأنه محتمل الانطباق.

وقد يكون التفسير من باب ذكر وجوه حديثة لموضوع أو حكم، كذكر الأدلة الحديثة لوجود الجن ونطق الحيوان وتسبيح كل شيء، وهذا أيضاً ليس تفسيراً بالرأي، كما هو واضح.

أما أن يفسر القرآن بشيء حديث، كتفسير الشيطان بالمكروب، والملائكة والجن بالجاذبة، فهذا من أظهر مصاديق تفسير القرآن بالرأي، وهذا بالإضافة إلى كونه كذباً محرماً، دلت متواتر الروايات على المنع عنه، وأن من فسر القرآن برأيه فليتبوأ مقعده من النار.

ثم إن ما ذكرناه في عنوان البحث من تفسير القرآن بالآراء الحديثة، إنما كان لأجل تعارفه في زماننا، وإلا فتفسير القرآن بالآراء القديمة للفلاسفة والمتكلمين وعلماء الفلك وغيرهم أيضاً يأتي فيه ما ذكرناه هنا من بطلان كل من القول بعدم الجواز مطلقاً والجواز مطلقا، وأن مقتضى القاعدة التفصيل الذي ذكرناه.

والمسلمون اليوم بحاجة إلى لجنة مركبة من فقهاء ومفسرين وعلماء بالعلم الحديث ليفسروا القرآن تفسيراً جامعاً بين شؤون المعنى وشؤون اللفظ، والشؤون القديمة والشؤون الحديثة، مع ملاحظة فقه أحاديث التفسير جمعاً بين بعضها مع بعض في إطار القرآن الحكيم، ليظهر جمال القرآن في العصر الحديث، كما أظهر جملة من العلماء جماله حسب أزمانهم.

تدريس التفسير الإجمالي للقرآن

(مسألة ٥): يجب كفايةً تدريس القرآن بتفسيره الإجمالي المبين لمقاصده، في الحوزات العلمية، وذلك لأنه من التمسك بالقرآن الذي ورد في الأحاديث المتواترة عن رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) قال: «إني مخلّف فيكم الثقلين، كتاب الله وعترتي أهل بيتي، ما إن تمسكتم بهما لن تضلوا»[1].

فعدم الضلال الذي هو من أوجب الواجبات متوقف على التمسك بالقرآن والعترة.

ومن الواضح: أن التمسك بالقرآن لا يكون إلاّ بالفهم المتوقف على الدراسة، ومن قال: إني أفهم القرآن بدون دراسة، مثله مثل من يقول: إني أفهم الكفاية والمكاسب بدون الدراسة، بل لا شك أن القرآن أصعب فهماً منهما، لأن القرآن ليس ألفاظاً عربية يفهمها كل عربي، بل القرآن مشتمل على أصول الدين وفروعه ومنهاج الهداية وبرامج التربية ويشير إلى نظام الكون والحياة، إلى غير ذلك، وكله محتاج إلى دراسة عميقة أعمق من دراسة أمثال الرسائل والمنظومة، بله مثل المطول والحاشية.

لا يقال: فكيف كان يفهمه العرب في صدر الإسلام؟

---

(١) روى العلامة المجلسي (رحمه الله) هذا الحديث بطرقه العديدة في بحار الأنوار: ج٢٣ ص١٠٤ ـ ١٦٦.

لأنه يقال: ما كانوا يفهمون إلاّ شيئاً منه، وذلك الشيء بهرهم، والواجب لتحقق التمسك فهم كله، وذلك لا يتسنى إلاّ بالدراسة.

وهنا إيراد استطرادي لا بأس بالإشارة إليه، وهو أن الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) قال: «كتاب الله وعترتي» ولماذا لم يذكر سنته (صلى الله عليه وآله وسلم)، مع أن الواجب الاقتداء به في سنته أيضاً.

والجواب: إن السنة إما داخل في الكتاب لأنه شرحه، وإما داخل في العترة، لأنه قد يقال مثل لفظ (العترة) ويراد به الأعم، كما كرر القرآن الحكيم ذكر (الآل) وأراد به الأعم، مثل: (آل إبراهيم) و(آل فرعون) ونحوهما، بالإضافة إلى أنهم (عليهم السلام) هم حفظة السنة، فالسنة داخلة في العترة بهذا الاعتبار.

وكيف كان، فالواجب كفاية دراسة القرآن في الحوزة، ومن هذا يظهر وجوب دراسة الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) والعترة (عليهم السلام) أيضا في الحوزة على سبيل الكفاية لأنهم أسوة، ولا يمكن اتخاذهم أسوة بدون فهم دقيق لأحوالهم وأعمالهم.

قال سبحانه: ﴿لَقَدْ كانَ لَكُمْ في رَسُولِ اللهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ﴾[1].

وقال: ﴿قَدْ كانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ في إِبْراهيمَ والَّذينَ مَعَهُ﴾[2].

وقال: ﴿لَقَدْ كانَ لَكُمْ فيهِمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ﴾[3].

ولا يخفى أن فهم أحوالهم وأعمالهم غير الفقه وغير أصول الدين، بل

---

(١) سورة الأحزاب: ٢١.

(٢) سورة الممتحنة: ٤.

(٣) سورة الممتحنة: ٦.

هو عبارة عن تحليل أوضاعهم تحليلاً دقيقاً، ليفهم الإنسان كيف عملوا، وكيف عاشروا، ثم يتخذهم قدوة في معاشرته وأعماله، ومن الواضح بعد ذلك أنه يدخل في هذا الإطار أمثال نهج البلاغة والصحيفة السجادية.

لا يقال: إذا كان التمسك واجباً، لأنه لولاه الضلال، والضلال حرام نقلاً وعقلاً، نصاً وإجماعاً، فلماذا تخص الدراسة أهل العلم فقط، ولماذا عنون المبحث بالوجوب الكفائي لا العيني؟

لأنه يقال: القدر الواجب منه ولو بمعونة السيرة، يتأتى باستيعاب جماعة من أهل العلم للكتاب والعترة، يكتفى بهم في نشرهما بين سائر المسلمين، بحيث يتأتى منهم الاقتداء ويحصل منهم الاتساء، وإن كان ربما يحتمل وجوب دراسة كل أهل العلم لهما لبعد الكفاية إذا لم تستوعب الدراسة كل أهل العلم، والسيرة على عدم دراسة جميعهم ليست حجة، لعدم العلم باتصالها إلى زمان المعصوم، فإطلاقات الأدلة الدالة على وجوب التمسك محكمة.

بل ربما يقال: إن عدم دراسة جميع أهل العلم للكتاب والعترة، يوجب عدم التمكن من نشر الهدى بين جميع المسلمين، مما ينافي مع وجوب إرشاد الضال وهداية الجاهل وتنبيه الغافل، ومع ملاك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

نعم إذا كان بعض الحوزة يكفي لذلك كان احتمال الكفائية بحيث تكفي دراسة بعض الحوزة لهما وجيهاً، وقد كان والدي (رحمه الله)[1] يفتي بوجوب دراسة الفقه عيناً إلى أن يكفي الفقهاء كل المسلمين فترجع الدراسة حينذاك

(١) المرجع الديني الورع آية الله العظمى السيد ميرزا مهدي الحسيني الشيرازي (قدس سره) المتوفى ١٣٨٠ هـ.

كفائية.

أما مرتبة دراسة القرآن والسنة، فلا يبعد لزوم دراستين أو أكثر، كما يدرس النحو والأصول والفقه دراسات في (جامع المقدمات) و(السيوطي) و(المغني)، وفي (المعالم) و(القوانين) و(الكفاية)، وفي (الشرائع) و(شرح اللمعة) و(المكاسب) وغيرها، فمرة دراسة سطحية لفهم معانيه وفهم أحوال المعصومين (عليهم السلام) إجمالا، ومرة دراسة أكثر استيعاباً، وثالثةً دراسة دقيقة بتعمق لفهم ما يمكن فهمه من المناهج والبرامج والدساتير ونوع الفكرة التي ألمع إليها الكتاب والعترة، إلى غير ذلك، والله سبحانه الموفق المعين.

وجوب إيصال القرآن إلى كل البشر

(مسألة ٦): يجب إيصال القرآن إلى كل البشر، فهو آخر صيغة السماء لأجل إسعاد البشر في دنياهم وآخرتهم، وكلما نشاهده من انحراف البشر عن الله وعن أحكامه فهو من ذنب المسلمين الذين لم يهتموا في هذه المدة الطويلة من نزول القرآن أن يعمموه في كل الكرة الأرضية، خصوصاً وقد وضع العلم في هذا القرن وسائل مدهشة للإعلام والنشر في يد البشر، وكان وضع العلم هذه الوسائل مدهشة إنما هو بسبب القرآن نفسه، حيث إن القرآن حرض على العلم فارتطمت أمواج علم المسلمين المنبثقة من القرآن إلى كافة أنحاء العالم، فأزالت غشاوة جهل المسيحية والوثنية التي احتكرت العلم في الكهنة ومن إليهم، وإذ أزيلت غشاوة ذلك الجهل وتحررت العقول عن كابوس حرمة العلم أخذت تجوب في فيافي التجارب والمعارف مما كان ثمره هذه الوسائل.

ولو لم يقدم جملة المسلمين من أخره الله بعد رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) ولم يؤخروا من قدمه الله، ولم يستول على الحكم من لا يستحق، لكان الإسلام عمم العلم في القرن الأول الإسلامي، ولعله لم يبق إلى اليوم غير مسلم في كل الكرة الأرضية، ولعلهم كانوا ربطوا بين عقلاء الكون في هذا الكوكب وفي سائر الكواكب، وقد ادعى بعض علماء الفلك أنه ما لا يقل من مائة ألف كوكب في الكون ـ في ضمن مائة مليار كوكب أرصدت ـ تكون مسكونة للبشر.

وكيف كان، فالواجب الآن أن يهتم المسلمون بكافة فئاتهم لأجل إنقاذ الناس من ظلمات غير الإسلام إلى نور الإسلام.

طرق الإيصال

والأسلوب في ذلك أولاً: إخراج اليأس وفكرة محالية هذا الأمر من نفوسهم، وهذا الإخراج إنما هو بأمر القرآن، حيث

قال: ﴿**إِنْ يَنْصُرْكُمُ اللهُ فَلا غالِبَ لَكُمْ**﴾[١].

وقال: ﴿**إِنْ تَنْصُرُوا اللهُ يَنْصُرْكُمْ ويُثَبِّتْ أَقْداكُمْ**﴾[٢].

وقال: ﴿**كَمْ مِنْ فِئَةٍ قَليلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثيرَةً بِإِذْنِ الله**﴾[٣].

ومعنى إذن الله قوانينه التي وضعها في الكون، إذ بدون تلك القوانين لا إذن من الله.

وبعد إملاء النفس بالرجاء يبدأ العمل من حوزة علمية إسلامية مستقلة تأخذ في أسباب نشر القرآن كما أنزل، والإسلام كما بين بواسطة الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) وأهل بيته الطاهرين (عليهم السلام) حتى يعمم هذا النشر المصحوب بالحماس الذي يوجده القرآن في نفوس كل المسلمين، ومن أولئك يأخذ الإسلام في الانتشار في غير المسلمين.

---

(١) سورة آل عمران: ١٦٠.

(٢) سورة محمد ﷺ: ٧.

(٣) سورة البقرة: ٢٤٩.

أسباب النشر

وأسباب نشر القرآن عبارة أولاً: عن تكوين المنظمات في كافة بلاد الإسلام وفي المسلمين القاطنين في بلاد الكفر، ثم تزويد هذه المنظمات بالفكر والوعي بمختلف الوسائل والسبل، ثم تأخذ المنظمات في الوسعة أفراداً وفروعاً، وفي الاتساع فكراً ووعياً وحماساً حتى يأتي نصر الله سبحانه.

ولا يتوهم أن توسعة الإسلام في كل مراحلها بحاجة إلى السلاح، فإن ما يقارب من نصف العالم يمكن أن ينتشر فيه القرآن والإسلام بغير عائق، فإن زوال كثير من التعصبات وانفتاح كثير من الأذهان بقبول الحق يجعل أمر الانتشار تثقيفياً فقط من دون احتياج إلى سلاح أو قوة.

نعم لا شك أن ذلك بحاجة إلى أكبر قدر من الإدارة والمال والأفراد المخلصين، فإذا تسنى الأمر في مثل القارة الهندية وبلاد الغرب واليابان وما أشبه كان قد وقع بأيدي المسلمين السلاح الكافي، لأجل إخضاع بلاد الديكتاتوريين، هذا بالإضافة إلى أن تحريك مسلمي الاتحاد السوفياتي والصين وهم ما يقارب مأتي مليون كاف في تحطيم هذه البلاد من الداخل مما يسهل الأمر بإذن الله سبحانه.

ثم اللازم أن يتحلى التنظيم المنتشر في كل البلاد، ابتداءً من النواة المركزي في الحوزة العلمية، وانتهاءً إلى آخر منظمة في قلب آفريقيا وأمريكا بروح الإيمان أولاً، والشورى ثانياً، بأن يكون كيفية التنظيم والرئيس وسائر جهات المنظمة حسب الاستشارة وأغلبية الآراء، وقد ذكرت في كتاب

(الفقه: الحكم في الإسلام) أن هذا الأسلوب هو أسلوب الإسلام، كما يستفاد من الكتاب والسنة، تعلمه الغرب وتركه المسلمون، وإذا اهتم المسلمون بهذا الأسلوب لنشر القرآن والإسلام يمكن أن لا يمر نصف قرن إلاّ وأخذ الإسلام بكل زمام العالم، وليس هذا أمراً غريباً، فإنا نشاهد أن أكثر من ألف مليون دخلوا الشيوعية طوعاً أو كرهاً في نصف قرن تقريباً منذ ثورة أكتوبر عام (١٧) المسيحي، والإسلام أكثر قبولا للتطبيق، لأنه دين الفطرة، ولما فيه من الحريات والسعادة وسيادة البشر وإملائه كلاً من الروح والجسد بالشيء المناسب له، كما ألمعت إلى ذلك في كتاب (إلى حكم الإسلام).

بل قد رأى العالم كيف حرر (غاندي) ما يقارب من نصف مليار من البشر من أعتى استعمار عرفه العالم، حيث كان المستعمر مزوداً بكل أسباب البقاء، وغاندي لم يكن له من أسباب الحياة إلا ضمير الأمة بوجوب خلاصها عن من استعمرها، فلم يمض نصف قرن إلاّ وحقق الضمير ما أراده، وقد وعد الله ذلك ﴿**لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ**﴾[1]، فكما أن من الواضح أن الكهرباء والسيارة والقطار يتغلب على الشمع والدابة والمروحة الحصيرية، كذلك من الواضح أن الدين الملائم للفطرة وللعقل، والمسبب لسعادة البشر يتغلب على كل الأرض، قال سبحانه: ﴿**وَما أَرْسَلْناكَ إلاّ كَافَّةً لِلنَّاسِ بَشيراً ونَذيراً**﴾[2].

---

(١) سورة التوبة: ٣٣.

(٢) سورة سبأ: ٢٨.

صلاحية القرآن لكل عصر ومصر

(**مسألة ٧**): قد اشتهر عند اتباع المستعمرين من المسلمين الجدد أصحاب الثقافات الشرقية والغربية، أن القرآن لا يلائم العصر، من جهة وجود أحكام فيه تصلح لعهد البداوة، مثل قطع يد السارق وجلد الزاني ورجمه، وتقرير الاستعباد والقصاص، وحرمة الربا والمكس، والحريات الكثيرة، والأحكام الخاصة بالمرأة، ومن جهة عدم وجود أحكام فيه يتطلبها العصر، مثل أحكام السياسة والاقتصاد والأمن وما أشبه ذلك.

ثم قالوا بأن الإسلام حيث ينطلق من القرآن، فالقرآن أيضاً لا يصلح للعصر الحديث، فاللازم فصل الدين عن الدولة.

وهذه الفكرة إن لم تعم كافة المثقفين فهي بلا شك تعم أكثرهم، وحيث إن الاستعمار الفكري يستتبع الاستعمار العسكري، فبلاد الإسلام تعيش في استعمار عسكري صريح أو مغلف، والواجب الاهتمام لتغيير هذه الفكرة بمختلف وسائل التغيير، فإن الله سبحانه ﴿**لا يُغَيِّرُ ما بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا ما بِأَنْفُسِهِمْ وَإِذا أَرادَ اللهُ بِقَوْمٍ سُوْءاً فَلا مَرَدَّ لَهُ**﴾[1]، فإنهم إذا لم يغيروا ما بأنفسهم من أسباب الضعف والانحطاط أراد الله بهم سوءاً إرادة تكوينية تابعة لخلق المسببات بعد أسبابها.

والكلام حول رد هذه الإشكالات طويل نكتفي بالتلميح إليه، فنقول:

---

(١) سورة الرعد: ١١.

قطع يد السارق

أما الجهة الأولى، فيرد على إشكال قطع يد السارق، أن الإسلام لا يقطع يد السارق إلاّ بعد توفير أوليات العيش المتوسط له، وإذا وفر له أوليات العيش المتوسط فهل الأفضل أن يردعه إذا سرق بعقاب صارم، يجعل المجتمع في أمن بعد توفر زهاء عشرين شرطاً في السرقة يشترط بها القطع، أو أن يحبسه، أو ما أشبه الحبس مما لا يكون رادعاً، بل أحيانا يكون مشجعاً، كما لا يخفى على من طالع أحوال المجتمعات الغربية والشرقية.

جلد الزاني ورجم المحصن

وعلى إشكال جلد الزاني، أن الإسلام لا يجلد إلاّ إذا اضطر، وإذا عرفنا أن الإسلام يوفر المناخ الملائم للعفة برفع الاضطرار إلى اقتراف الجنس حراماً، كان زنا الرجل أو المرأة خرقاً للعفاف الاجتماعي وتعريضاً له إلى الانهيار في أقدس روابطه وهدماً للعائلة، وأيهما خير العقاب الصارم المناسب للذة الزنا، إذ الجلد إيلام يناسب ما اقترفه الزاني من الإثم، أو عقوبة خفيفة لا تسد هذا الباب الخطر؟

أما الرجم فهو للزاني المحصن، وكل إنسان عاقل يعترف بأنه إذا كانت له زوجة يشبعها جنسياً ثم خانته كان اللازم إنزال أشد العقوبات بحقها، وكذلك العكس، وإلا لزم انهيار المجتمع وانهدام العائلة وعدم الأمن وكثرة الطلاق وقلة النكاح واختلاط الأنساب وكثرة الأمراض الجنسية وتوسيع المجال للمستهترين، إلى غيرها من المفاسد التي وقع فيها الشرق والغرب،

وقد رفع عقلاؤهم أصواتهم بوجوب وضع حد لهذه الاستهتارات.

الرقية

وعلى إشكال تقرير الاستعباد، أنه أفضل حل لمشكلة أسارى الحرب، بعد وضوح أن الإمام مخير بين الأسر وبين السجن وبين الفدية وبين الإطلاق كل منها حسب ما يراه من المصلحة، فلنفرض أن المصلحة عدم القتل لأنه تضييع لقوى بناءة يحتاج إليها المسلمون، وعدم السجن لأنه إرهاق لكاهل الدولة، وعدم الإطلاق بمال أو بدون مال لأنه يخشى من تآمرهم على الدولة الإسلامية، فماذا يكون الحل المعقول غير استعبادهم بتسليمهم إلى سادة يكونون تحت إشرافهم دائما مع عدم إضاعة قدراتهم البناءة.

ومن السهل نقد الإسلام في تقريره قانون الرقة، لكن من المحال إيجاد حل أفضل منه، ولذا نرى أن الذين انتقدوا الإسلام في هذا القانون، لما جاء دور العمل أخذوا يقتلون مناوئيهم بالملايين لا الآلوف، ففرنسا قتلت مليون أو مليوني جزائري، وأمريكا قتلت خمسة ملايين فيتنامي، وإنكلترا قتلت عشرين مليون صيني، وألمانيا قتلت ما يقارب الخمسين مليون في الحرب العالمية الثانية، وروسيا قتلت خمسة ملايين فلاح في نظام المزارع الجماعية، على ما ذكرت كل ذلك الكتب والجرائد والإذاعات.

ثم نظام التعذيب الذي اخترعه الغرب والشرق أبشع بكثير من نظام الرق، بله نظام استعباد الشعوب الكاملة تحت غطاء الاستعمار مما وقع العالم كله في دوامة الثورات والحروب.

القصاص

وعلى إشكال القصاص أنه أمر طبيعي، فهل يشفى غيظ من فقأ عينه عمداً أن يأخذ المال في قبال عينه التالفة، وهل من الإنصاف أن يترك مثل هذا الإنسان الجاني يعبث بالمجتمع بدون عقاب صارم يردعه ويردع غيره من العابثين، خصوصاً إذا كان الجاني غنياً لا يهتم بالمال، فقد أجاز الإسلام ذلك في صورة طلب المجني عليه، مع أنه أعطى الحق له في أن يعفو وأن يأخذ الدية، مع إعطاء الصلاحية للحاكم الإسلامي في تعزيره بما يولمه، لأنه خرق حق الله سبحانه بما يسمى في الاصطلاح بحق الادعاء العام.

نعم قد لا يكون للقصاص مجال في الحي، أو في الميت، كما في من قطع عضو ميت، حيث أفتى الإمام الصادق (عليه السلام) بأن ديته كدية الجنين فيمن قطع رأس ميت، لوضوح اشتراكهما في أنهما إنسانان لا روح لهما، في قصة مشهورة، وحينذاك يرجع الأمر إلى الدية والتعزير إن صدرت الجناية عن عمد، وإلى الدية فقط إن لم يكن عمد في البين.

حرمة الربا

وأما إشكال حرمة الربا، فإنه وإن أورد عليها أن الربا حق معقول، لأن أمر صاحب المال دائر بين أن يتاجر بماله فيربح، وبين أن يدفعه قرضاً فيربح من ورائه، ولذا قالوا ﴿**إنما البيع مثل الربا**﴾[1]، لكن هو إشكال غير وارد، لا لما أورد عليه الشيوعيون بأن تجارة غير الدولة سرقة لأتعاب العمال، إذ أي حق للتاجر أن يتسربح ثم يأخذ لأجل ماله شيئاً من أتعاب وجهود

---

(١) سورة البقرة: ٢٧٥.

الكادحين، فكل من الربا والاتجار المربح حرام.

ولا لما أورد عليه بعض الاقتصاديين الجدد بأن الاتجار مطلقا ـ سواء كان من الدولة كما في الشيوعية، أو من غير الدولة كما في الرأسمالية ـ حرام، إذ في كلا الحالين استفاد من لم يتعب من تعب من يتعب، فهو سرقة تحت اسم القانون.

إذ يرد عليهما أنه لا بد من مخزون مالي للقيام بخدمات المجتمع، وأفضل طريق الخزن هو جمع المال عند التجار، لئلا يجتمع المال والسلاح والقوة في مكان فتكون الظلم والديكتاتورية، كما نشاهدهما بأبشع صورهما في البلاد الشيوعية، مع لزوم مراقبة الدولة لأجل إعطاء الناس ما يحتاجون من مسكن وأثاث، حتى لا يبقى فقير، ولأجل عدم إفساد الرأسمالي، كما في النظام الإسلامي.

بل لأن الربا على إطلاقه ظلم، إذ ليس كل تجارة مربحة، وليس كل إعطاء للمال يستحق المعطي أن يأخذ شيئاً في مقابل الإعطاء، وتوضيح ذلك أن لمال التاجر أربع صور:

الأولى: أن لا تكون هناك تجارة يتمكن ماله من التقلب فيها.

الثانية: أن تكون تجارة غير مربحة إطلاقاً، أو مربحة بقدر أقل من التعب.

الثالثة: أن يصرف المال في الحوائج الضرورية، لا في التجارة.

الرابعة: أن يصرف المال في تجارة مربحة ربحاً أزيد من التعب.

والربا أخذ التاجر المال ممن أعطاه المال في كل الصور الأربعة، مع أنه في الثلاثة الأولى ظلم.

أما في الصورة الأولى: فلوضوح أن قول المستشكل (إن أمر صاحب المال دائر بين أن يتاجر بماله فيربح، وبين أن يدفعه قرضاً فيربح) غير تام، إذ المفروض أنه لا يمكن الاتجار بالمال في هذه الصورة.

وأما في الصورة الثانية: فإن المال ربح بقدر التعب على أحسن الفرضين، والأحق بهذا الربح من تعب، لا من لم يتعب.

وأما في الصورة الثالثة: فإن أخذ التاجر الربح خلاف الإنسانية، لأنه استغلال لحاجة الإنسان في تدميره، فالمقترض أخذ المال لأجل قوته، أو دواء مريضه، فهل يحق لصاحب المال أن يستغل هذه الحاجة في إنماء ماله؟

وتبقى الصورة الرابعة فقط، مما يحق لصاحب المال أن يأخذ بعض الربح أخذاً لأجل وجود المخزون المالي الذي هو لأجل المجتمع أيضا كما تقدم، وحل الإسلام له بالمضاربة التي هي أقرب إلى العدالة بالنسبة إلى التاجر والمضارب، أفضل من الربا الذي قد يكون الترجيح فيه لصاحب المال، وقد يكون الترجيح فيه للعامل، وكلاهما اعتباط لا يقره العاقل والمنطق.

حرمة المكس

ويرد على إشكال حرمة المكس، أن غاية ما يقال لتبرير المكس أمران:

الأول: إنه إذا رفع المكس أضر ذلك بالاقتصاد، إذ الدولة تجني من وراء المكس مقادير كبيرة من المال تساعدها في إدارة شئون الدولة.

الثاني: إنه إذا رفع المكس لزم تحطم الاقتصاد الوطني، لأن البضائع الأجنبية ترد في البلاد بما يوجب تحطم الاقتصاد.

ولا يخفى أن هذين الأمرين وإن تما في الجملة، إلاّ أن الحرمة الذاتية

للمكس لا ترتفع بهما، بل اللازم للدولة الإسلامية أن تلاحظ الأهمية وتأخذ بالأهم في البين، فكل من المكس وتحطم الاقتصاد المذكور في الأمرين حرام، فإذا دار الأمر بين الحرامين يجب الأخذ بأقلهما حرمة من باب قاعدة الأهم والمهم.

ومنه يعلم أن حرمة المكس ليست مطلقة حتى يستشكل على الإسلام بأنه حرم المكس، وأن الحرمة لا تلائم الدول الحديثة.

الحريات الكثيرة

ويرد على إشكال الحريات الكثيرة، أن توهم أن الإسلام يعطي حريات تضر بالاجتماع باطل، وجه التوهم أن الإسلام يعطي حرية البناء وحرية الحركة وحرية السكنى وحرية التجارة إلى غير ذلك، وبذلك يختل النظام، فكل أحد يبني ما يضر الطريق، وكل أحد يتحرك بدون ملاحظة قوانين المرور، ولمليون مسلم مثلا أن يأتوا للسكنى في بلد بحيث يضيق بهم البلد، وللتاجر أن يصدر كل بضائعه بحيث يقع أهل البلد في ضيق، إلى غير ذلك.

والجواب: إن الإسلام إنما يعترف بالحرية المسؤولة أي غير الضارة، لا الحرية غير المسؤولة، فليس لأحد أن يستفيد من الحرية الضارة بالآخرين، ويجب على كل مسلم احترام قوانين الدولة الإسلامية الموضوعة تحت نظر المجتهد الجامع للشرائط وإن أضرت القوانين بمصالحه الخاصة، فإذا رأت الدولة أن استيراد هذه البضاعة مثلا تضر بالاقتصاد الإسلامي فمنعت عن ذلك، ليس لأحد أن يستورد هذه البضاعة، إلى غير ذلك.

لا يقال: فأي فرق بين مثل قوانين أمريكا، وبين قوانين الدولة

الإسلامية، إذ كل منهما توضع حسب المصلحة؟

لأنه يقال: الفرق أن قوانين الدولة الإسلامية توضع في الإطار الإسلامي، بخلاف قوانين مثل أمريكا، فالفرق بينهما كالفرق بين قوانين أمريكا حيث توضع في الإطار الرأسمالي، وقوانين روسيا حيث إنما توضع في الإطار الشيوعي، مع أن كلتا الدولتين تدعي أنها تلاحظ مصالح بلادها.

أحكام المرأة

ويرد على إشكال الأحكام الخاصة بالمرأة أن المنطق والبرهان دلا على صحة تلك الأحكام الخاصة، بحيث أنها لو تساوت مع الرجل في الأحكام كان خباله مثل تساويها معه في خصوصيات الجسم، فكما أنه لو كان كل البشر رجلا كان ذلك من أبشع الفساد، كذلك لو كان كل البشر متساويين في كل الحقوق والواجبات كان ذلك من أبشع الفساد، وقد فصلنا بعض أسباب الاختلاف بينهما في جملة من الأحكام في كتاب (في ظل الإسلام) وفي (الفقه: الحكم في الإسلام) وغيرهما.

ويرد على إشكال القصاص، إنه حكم إنساني رادع كما تقدم، والإنسانية والردع لا توجدان في الغرامة والسجن، مع أن الإسلام جعل اختيار العفو وأخذ الغرامة بيد المجني عليه، رخص القصاص بما إذا كان الجاني عامداً كما هو واضح.

أليس من الحق أن جانياً عامداً إذا قطع يد إنسان كان جزاؤه أن تقطع يده، فيما إذا أراد المجني عليه ذلك، وإذا لم يكن هذا من الحق، لنا أن نسأل الفرق بين المال والنفس، فإذا أخذ السارق منك ديناراً كان لك أن تأخذ منه

ديناراً.

وإن قيل: فلماذا لا يقتص في العرض، فإذا زنى زان بزوجة زيد، كان لزيد أن يزني بزوجة الزاني؟

قلنا: الفرق واضح، إذ يكون ذلك اعتداءً على بريء هو زوجة الزاني، بخلاف القصاص، فإنه رد اعتداء على نفس المعتدي.

هذا كله بالنسبة إلى الجهة الأولى.

شمولية الإسلام

أما الجهة الثانية فالقول بأن الإسلام ليس فيه اقتصاد وسياسة وأمن، كلام بلا دليل، فالاقتصاد الإسلامي ليس فيه مضار الاقتصادات الثلاثة: الرأسمالية والشيوعية بفرعيها الاشتراكية والفوضوية التي تدعى أن لكل نتاجه ومن كل عمله، بينما فيه الاقتصاد المعتدل الذي يعطي كل ذي حق حقه.

كما أن السياسة في الإسلام أفضل سياسة، حيث تجمع بين حكم الله سبحانه والشورى في انتخاب الحاكم.

والأمن موجود في الإسلام لا للكبت، بل لجمع المعلومات وإرصاد المخربين وإيقاف المفسدين عند حدهم.

وقد ذكرنا طرفاً من هذه المسائل الثلاثة: الاقتصاد والسياسة والأمن، في كتاب (الفقه: الحكم في الإسلام) ولذا فلا نعيد التفاصيل[1].

وحيث إن القرآن مصدر لكل هذه الأحكام، حيث بين فيها الخطوط

(١) انظر موسوعة (الفقه): ج٩٩، للإمام المؤلف (قدس سره).

العريضة للحياة السعيدة، فالقرآن هو الكتاب الوحيد الصالح لتطبيقه في العصر، وكل كتاب وقانون غير القرآن ليس له هذه الصلاحية، والظاهر أن العالم أخذ أخذاً حثيثاً نحو السير إلى القرآن وأحكامه، لأنه الكتاب الوحيد الصالح للتطبيق بعد أن ظهر فشل ما عداه في تأمين الحياة السعيدة، فهو مثل الكهرباء بالنسبة إلى النفطيات، حيث إنها تعطي مكانها للكهرباء تلقائياً طال الزمان أو قصر، ولذا قال سبحانه: ﴿**لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ**﴾[1].

(١) سورة التوبة: ٣٣.

تطبيق القرآن على العلم الحديث

(**مسألة ٨**): لا يحق لأحد أن يطبق القرآن على العلم بما ليس بظاهر القرآن، بل بما يكون على خلاف ظاهره أحيانا، فإن ذلك بالإضافة إلى أنه غير مقبول عند العقلاء مما يسيء إلى من يطبق مما يظهره بمظهر الانتهازي أو الجاهل، يسيء إلى القرآن أحياناً عند ما يتطور العلم ويظهر عدم صحة العلم السابق، فيقال يتبين أن مؤلف القرآن كان جاهلاً بالحقيقة، وإنما انتهز علم الناس المتداول عندهم في زمان نزوله ليحشره في القرآن، وقد تعزى هذه التطبيقات إلى أحد أمرين:

الأول: حرص المطبق لعرض القرآن بمظهر المدنية الحاضرة، وأنه سبق العلم في هذا الكشف، مما يدل على أنه منزل من لدن حكيم خبير.

الثاني: زعم المطبق أن القرآن كتاب كل شيء، إذاً فعلوم الكيمياء والفيزياء والرياضيات والأحياء والجغرافيا وغيرها كلها موجودة في القرآن، ألم يقل الله سبحانه: ﴿**ما مِنْ رَطْبٍ وَلا يابِسٍ إلاّ في كِتابٍ مُبينٍ**﴾[1]، وألم يقل سبحانه: ﴿**تِبْياناً لكُلِّ شَيءٍ**﴾[2].

وكلا الأمرين باطلان.

(١) سورة الأنعام: ٥٩.

(٢) سورة النحل: ٨٩.

أما الأول: فلأن مظهر المدنية الحاضرة، إنما هو في صلاحية القرآن لإضفاء الحياة السعيدة على الإنسان في عصر الذرة والفضاء، كما كان صالحاً لإضفاء الحياة السعيدة على الإنسان في عصر ركوب الخيل والحمير، فلا حاجة لإقحام القرآن في غير مجاله لأجل تلك الغاية المتوهمة.

وأما الثاني: فلأنه نشأ من توهم أن المراد بتبيان كل شيء، كل ما في الكون بينما لا يريد القرآن بقوله: ﴿**تِبْياناً لِكُلِّ شَيْءٍ**﴾[1]، أن كل شيء في ظاهر القرآن، إذ المستفاد من الآية المباركة أنه تبيان كل شيء من شأن القرآن الذي هو كتاب هداية ورشاد، أن يبينه.

فإنه كما إذا جاء إنسان من سوق الفواكه فقيل له: ماذا في السوق؟ قال: كل شيء في السوق، فإنه يريد أن كل شيء من شأن السوق أن يحتويه فهو في السوق.

وهكذا إذا سئل عن فقيه ماذا يعرف؟ فقيل: إنه كل شيء، يراد بذلك أنه يعرف كل شيء مربوط بالفقه.

ومثله قوله سبحانه: ﴿**مِنْ كُلِّ ما سَأَلْتُمُوهُ**﴾[2] أي مما له شأن السؤال.

أما آية ﴿**في كِتابٍ مُبينٍ**﴾[3] فظاهرها كتاب مّا، ولعله يراد به كتاب الكون أو اللوح المحفوظ، أما تفسير الآية بالقرآن فلابد أن يراد به باطن القرآن، لوضوح أنه ليس كل شيء في ظاهر القرآن، والظاهر هو المناط في التفهم والتفهيم، قال سبحانه: ﴿**ما أَرْسَلْنا مِنْ رَسُولٍ إلاّ بِلِسانِ**

---

(١) سورة النحل: ٨٩.

(٢) سورة إبراهيم: ٣٤.

(٣) سورة الأنعام: ٥٩.

قَوْمِهِ﴾[1].

وكيف كان، فمهمة القرآن الأولية هو هداية الإنسان للحياة السعيدة ببيان الخطوط العامة لها وتحريضه، لأن يسير في المسير الصحيح، ليكمل ويعيش سعيداً، فليس القرآن كتاب فقه، ولا كتاب عقائد، ولا كتاب حساب، ولا كتاب فلك، ولا كتاب فيزياء، ولا... ولا... وإنما القرآن كتاب هداية تلمح إلى المبدأ والمصير، وتعين الخطوط العريضة للمصير.

أما تفصيل أحوال المبدأ والمعاد وتشريح بيان الفقه والأعمال، وسائر الخصوصيات والعلوم، فلها كتبها الخاصة، ولو ذكر في القرآن شيء من علم الأحياء أو من علم الفلك أو مما سوى ذلك فلم يذكرها إلا استطراداً، بحيث رأى القرآن أن ذكره صالح لمساعدته في الهدف الذي ينشده القرآن الحكيم من الهداية.

ومنه يعلم أن توقع كثير من الناس من القرآن الحكيم أن يذكر علوم الفلك بإسهاب، أو أن يذكر حقائق الكون بتطويل، أو يأتي بأسامي الأنبياء ومعجزاتهم وأممهم، أو أن يذكر أسامي الأئمة (عليهم السلام) لا أقل من اسم علي (عليه السلام)، حتى لا يقع هذا الاختلاف الكبير بين السنة والشيعة، توقع لا أصل له ولا أساس.

كما ظهر أن محاولة بعض تطبيق آيات القرآن على المواضيع السابقة وغيرها مما هو بمعزل عن ظاهر القرآن، وكثيراً ما ينتهي التطبيق إلى التجشمات والتكلفات، أيضا لا وجه له.

وما يظهر من بعض الروايات من بعض التطبيقات، فليس ذلك إلاّ من

---

(١) سورة إبراهيم: ٤.

باب التمثيل، أو تطبيق الكلي على بعض أفراده، مثل ما ورد من تمثيل ﴿والذي خَبُثَ﴾[1] بلحية فلان، أو تطبيق ﴿الَّذينَ يُنْفِقُونَ أَمْوالَـهُمْ بِاللَّيْلِ والنَّهارِ سِرًّا وعَلانِيَةً﴾[2] على من ينفق على فرسه الذي يربطه في سبيل الله.

إلى غير ذلك.

وبما ذكرناه ظهر أن إشكال من يزعم أنه لو كان القرآن أكبر ولو بمقدار جزء ليستوعب بعض الحقائق الهامة، منقوض بمن يزعم لو كان القرآن أصغر ولو بمقدار جزء ليسهل حفظه وقراءته واستيعابه.

ونفس الجواب يجاب عمن يستشكل بأنه لماذا الأنبياء (عليهم السلام) عددهم كذا، أو الأئمة (عليهم السلام) عددهم كذا.

إذ الجواب: أي عدد كانوا كان يستشكل بنفس الإشكال بعددهم، فلو كان عددهم أحد عشر أو ثلاثة عشر لأشكل بنفس الإشكال.

هذا أولاً.

وثانياً: إن الحكيم تعالى كالطبيب، ولا مناقشة في المثال، يرى قدر الكفاية في الهداية، مما زائده زيادة، وناقصه نقصان، فينزل من القرآن بقدرها، ويرسل من الرسل والأئمة (عليهم السلام) بقدرها، فحال الهداية التشريعية حال الهداية التكوينية في التقدير.

قال سبحانه: ﴿الَّذي أَعْطى كُل شَيءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَى﴾[3].

---

(١) سورة الأعراف: ٥٨.

(٢) سورة البقرة: ٢٧٤.

(٣) سورة طه: ٥٠.

وقال سبحانه: ﴿الَّذي خَلَقَ فَسَوَّى وَالَّذي قَدَّرَ فَهَدَى﴾[1].

إنه سبحانه أعطى للعصفور قدراً، وللحمامة قدراً، وللدجاجة قدراً، وهكذا، فإذا وصل كل واحد منها قدره المقدر وقف عن النمو، فالعصفور لا يصل في حجمه إلى الحمامة، والحمامة لا تصل في حجمها إلى الدجاجة، وهكذا، وقد وقف العلم مبهوتاً أمام هذه الجهة، فأي جهاز في داخل بدن هذه الطيور والإنسان وسائر الحيوانات والنبات، يوجب وقوف نموها إذا بلغت القدر المقدر لها؟

وهذه الهداية التكوينية جرت في سائر المخلوقات، فالأرض لم تكن أكبر من حجمها، وكذلك بالنسبة إلى سائر الشموس والكواكب وغيرها، كما أنها لم تكن أصغر من حجمها، مع أن كلا الأمرين كان ممكنا.

وكذلك الكلام في سائر القوانين المودعة في الكون، مثلاً الجاذبية يمكن أن تكون أكثر حتى يصبح وزن الرطل رطلين، أو أقل حتى يكون وزن الرطل نصف رطل وهكذا، وكل ذلك ممكن، لكن الله سبحانه اختار في عالمنا أحد الممكنات، كما لعله اختار في عالم آخر شيئاً آخر، ولا يسأل بلماذا، لأنه حيث لا ترجيح لأحد أفراد الممكن، وكان لابد من الخلق من جهة أنه سبحانه فياض مطلق، كان لابد من اختيار أحدها، إذ لا يمكن خلق الكل في مكان وزمان واحد، ولا عدم الخلق، فمثله مثل قرصي الجائع وطريقي الهارب، كما حقق في محله.

هذا كله بالنسبة إلى الهداية التكوينية، وتقاس عليها الهداية التشريعية، فكل ذي إرادة هدي إلى مصالحه، إن كان حيوانا فبالفطرة، وإن كان إنسانا

---

(١) سورة الأعلى: ٢ و٣.

فبالوحي، بالإضافة إلى قدر من الفطرة أيضاً.

والقرآن هو الكتاب الكفيل بهذا الشأن، أي هداية الإنسان ليسير في المسير الصحيح في عقيدته وأعمال القلبية والجوارحية، وذلك لئلا يضل أولاً، ولئن يصل إلى كماله الممكن ثانياً.

وهذان الأمران هما هدف القرآن الحكيم، وهو المطالب بهما فحسب، أما ما سوى ذلك فإن ذكر في القرآن فهو على سبيل الهامش والمدخلية في الهدف، لا أصالة.

الوصول إلى الكمال عبر القرآن

(مسألة ٩): لا إشكال في أن الضلال عن طريق القرآن محرم عقلاً، لأنه يوجب الضرر الكثير الذي يوجب العقل تجنبه، فإن من أول ضروريات العقلاء وجوب تجنب الأضرار الكثيرة، بل دفع الضرر المحتمل إذا كان الضرر كثيراً واجب بحكم العقل، كما أن الضلال من طريقه محرم شرعاً.

ويدل عليه الأدلة الثلاثة.

أما الوصول إلى الكمال الممكن الذي هدى إليه القرآن، فهل هو واجب أم لا؟ احتمالان.

الأول: الوجوب لقوله سبحانه: ﴿**إنّ هذا القرآن يهدي للّتي هي أقْوَم**﴾[1]، إذا أخذ بمعنى الكمال الممكن، لا مقابل الضلال، ويؤيده التفضيل في أقوم، وإيجاب العقل الخروج عن التحسر الدائم الذي يوجب عدم الوصول إلى الكمال المنشود بسبب ترك العمل بمنهاج القرآن في الوصول إلى الكمال الممكن، كما يؤيده أيضاً قوله سبحانه: ﴿**يأخذوا بأحسنها**﴾[2].

الثاني: عدم الوجوب، للأصل، بعد أن كان المراد من ﴿أقوم﴾

(١) سورة الإسراء: ٩.

(٢) سورة الأعراف: ١٤٥.

بالنسبة إلى سائر الطرق، وهو تفضيل بمعنى الفضل، مثل قولهم (أحوط)، وقوله سبحانه: ﴿**أفمن يلقى في النار خير أم من يأتي آمنا يوم القيامة**﴾[(١)]، أو تفضيل حقيقي بالنسبة إلى سائر الأديان في أزمانها.

وكون الطريق بالنسبة إلى سائر الأمم غير أقوم، مع أن دين الله كامل في كل زمان، إنما هو لأجل عدم صلاحية أهل تلك الأزمنة للدين الكامل، ولذا قال (صلى الله عليه وآله وسلم): «إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق»[(٢)].

ثم إن التحسر غير دائم، لانقطاعه بدخول الجنة، إذ لا حزن هناك ولا همّ، وإنما متسافل الدرجات يرضى بدرجته، كما دل على ذلك النص.

أما قوله سبحانه: ﴿بأحسنها﴾ فالمراد إما الحسن، مثل: ﴿إن أحسنتم أحسنتم لأنفسكم﴾[(٣)]، وقوله تماماً: على الذي أحسن. وإما على سبيل الفضل، لوضوح عدم وجوب الأخذ بالأفضل.

وربما يتوهم وجوب إيصال النفس إلى الكمال الممكن، إذ لولا الإيصال لكان خلقه الكمال الممكن عبثاً، تعالى سبحانه عن ذلك.

وفيه: إن الكمال الممكن قابل للخلق، لا أنه مخلوق فعلاً، فكلما خطى الإنسان خطوة نحو الكمال خلق له كمال آخر، لا أن كل القابلية مخلوقة الآن، فتأمل.

بالإضافة إلى أن الظاهر من بعض الأدلة أن البرزخ جعل لأجل وصول كل إنسان إلى كماله الممكن، فالتكميل إذا لم يحصل في الدنيا حصل في

---

(١) سورة فصلت: ٤٠.

(٢) مستدرك الوسائل: ج١١ ص١٨٧ ب٦ ح١٢٧٠١.

(٣) سورة الإسراء: ٧.

الآخرة.

هذا ولكن لا شك في أن إيصال الإنسان نفسه إلى الكمال الممكن من أوجب الواجبات العقلية، للتحسر الممتد آماداً بعيدة إلى دخول الجنة، ولأن في الجنة لم يعط إلاّ الدرجة النازلة، فإنه وإن لم يشعر بذلك لكنه حقيقة يجب تجنبها عند الشعور بذلك في الدنيا.

ثم إنه ربما يتوهم غير المسلم أن الفلسفة تكفي عن القرآن، لأنها أيضاً بقسميها النظري والعملي توجب إيصال الإنسان إلى الكمال الممكن، كما أنها تحفظه عن الزلل.

وفيه: لو سلم أن الفلسفة بقسميها العملي والنظري إنما تريد تملي حقائق الكون، وتريد جعل المنهاج الصحيح للإنسان في حياته ليسعد في عيشه، لكن الفلسفة تختلف عن القرآن بأمرين:

الأول: إن الفلاسفة لا يتمكنون أن يستوعبوا حقائق الكون لمحدودية أذهانهم، ولذا لا تجد حتى فيلسوفاً واحداً أصاب الهدف، إلاّ إذا كان من فلاسفة الإسلام وصب المعلومات الإسلامية في القوالب الفلسفية، فإن الذهن مهما كان صافياً فإنه متأثر بخصوصيات الزمان والمكان والتقاليد، ومثل هذا الذهن لا يتمكن أن يستوعب الحقائق. نعم إذا كشفت الحقائق للذهن دلت الفطرة والمنطق على صحتها.

ومنه تبين الجواب عن إشكال نسب إلى البراهمة قديماً، ويذكره بعض من لا خبرة له حديثاً، وهو إن كانت الحقائق القرآنية مطابقة للعقل فلا حاجة إليها، إذ العقل يكفي عن القرآن، وإن كانت مخالفة للعقل فالمخالف للعقل باطل.

وحاصل الجواب: إن هناك ثلاثة أشياء، المطابق للعقل الذي يصل العقل بنفسه إليه، والمطابق للعقل الذي لا يصل العقل بنفسه إليه، والمخالف للعقل، وجملة من حقائق القرآن من قبيل الثاني، فالحصر الذي ذكره المستشكل غير حاصر، وإلى هذا يشير الشعر المعروف:

باي استدلاليان جوبين بـــود باي جوبين سخت بي تمكين بود

لكن يجب أن لا يؤخذ الأمر على أنه في مقابل الإشراق، وأن الإشراق هو الصحيح، إذ الإشراق وحده بدون تعاليم الأنبياء باطل أيضاً.

جونكه إشراق از سماوات إله كي بتابد بر قلوب بي بنـــاه

فإنه تحت مظلة الأنبياء (عليهم السلام) يحصل الاستدلال الصحيح والإشراق الصحيح.

وكيف كان فالفلسفة النظرية لا تسد مسد معلومات القرآن الكونية.

الثاني: إن الفلسفة تعطي الرؤية غير المسؤولة، بينما القرآن يعطي الرؤية المسؤولة، فإن القرآن كسائر تعاليم الأنبياء يفرغ في الناس المسؤولية، بينما الفلسفة إنما تبين القوالب الجامدة، ولا أدل على ذلك من أن حركات التاريخ كلها كانت نتيجة تعاليم الأنبياء (عليهم السلام)، ولا تجد في التاريخ حركة قادها الفلاسفة، ولعل السر في ذلك أن الفلسفة مبتلاة بالتردد والإشكال والتساؤل حول كل مسألة ومسألة، والحركة بحاجة إلى قاطعية متزايدة مما تتوفر في القرآن الحكيم وتعاليم الأنبياء.

فكل من الدين والفلسفة، وإن كانا ينظران في الكون بما هو كلي، إلاّ أن الدين ينظر إليه بقاطعية، بالإضافة إلى الاستيعاب وكونه حقائق، أما الفلسفة فإنها تنظر إليه بتردد وشك، كما يتضح ذلك بنظرة في القرآن،

وبنظرة في كتب الفلسفة، والقاطعية هي التي تعطي المسؤولية، أما التردد والشك فلا يعطي القاطعية.

وتجد هاتين الحالتين عند صنف من أهل العلم أيضاً، فمن كان منهم ألصق بالقرآن والسنة تجد عنده المسؤولية الأكثر والقاطعية الجازمة، بينما من كان منهم ألصق بالعلم الأكاديمي تجد عنده تردداً أكثر ومسؤولية أقل وقاطعية يسيرة، وأحياناً لا تجد عنده القاطعية أصلا.

ومما تقدم ظهر الفرق بين العلوم الطبيعية وبين الفلسفة والدين أيضاً، فإن العلوم الطبيعية وإن كانت قاطعة، إلاّ أنها تقصد الطبيعة فقط، ولا يهمها الكلية والشمول الكوني، كما لا يهمها المسؤولية، ولذا مثل الطبيعية وعلومها أحد الفلاسفة بجيفة تناوشها العقبان والرخم فتأخذ كل واحد منها شيئاً، ولعله أخذه من الحديث المشهور: «الدنيا جيفة وآكلها كلاب»[1].

من كل ذلك تبين أن القرآن جاء ليعطي للإنسان:

١ : النظرة الكونية الصحيحة.

٢ : المسؤولية الكافية.

وهما كفيلان بإسعاد الحياة في الدنيا والآخرة، بينما ليست كذلك الفلسفة، بله العلوم الطبيعية.

هذا مع وضوح أن الإنسان بحاجة إلى العلوم الطبيعية، فإنها ودائع الله في الكون، وقد حرض القرآن الإنسان أن ينظر في ملكوت السماوات والأرض ويستكنه حقائق الكون.

---

(١) انظر مصباح الشريعة: ص١٣٧ ب٦٤ وفيه عن رسول الله (صلى الله عليه وآله): (الدنيا جيفة وطالبها كلاب).

كما أن القدر المعلّم للاستدلال وردّ الخصوم من الفلسفة الصحيحة لازم أيضاً، فإنها جهود بشرية بذلت لأجل كمال الإنسان وإيصاله إلى الحقيقة، وإن كان دخلها بعض الشوائب لقصر عقل الإنسان عن كل الحقائق، بدون هداية الأنبياء وإرشاد السماء، وفي أي يوم سيطر القرآن على الفلسفة والعلوم الطبيعية نظفت الفلسفة وصارت العلوم الطبيعية سبب إسعاد الإنسان لا سبب شقائه كما هو الحال.

دفع المسلمين نحو القرآن

(**مسألة ١٠**): يجب على كل مسلم واعٍ صبّ المسلمين في اتجاه القرآن لأمرين:

الأول: لأجل تكييف حياة المسلمين حسب القرآن الحكيم، فإن في ذلك إسعادهم في الدنيا والآخرة، وذلك من أوجب الواجبات، فإنه إرادة الله سبحانه التشريعية بعد أن كان سبحانه قدر الكون بشكل يمكن للسائر على حسب تخطيطه تعالى أن يصل إلى السعادة، وهذا هو معنى (القدر) فإنه تخطيط وتقدير، وقد ورد في الحديث: «كلٌ ميسر لما خلق له» والخلق إنما هو لأجل العبادة التي فيها سعادة الإنسان، كما قال سبحانه: ﴿**وَما خَلَقْتُ الْجِنَّ والْإِنْسَ إلاّ لِيَعْبُدُونِ**﴾[1].

وبعد مرحلة (القدر) يأتي دور (القضاء) حيث أمر سبحانه تشريعاً أن يسير الإنسان في دروب الحياة حسب ما أمر، ولذا ورد في أكثر الروايات (القدر والقضاء) وما في بعض الروايات من (القضاء والقدر) بتقديم الأول، فهو من باب مطلق الجمع لا لبيان أن القضاء مقدم، إلاّ إذا أريد بالقضاء معنى حكمه الكوني بالخلق ثم (القدر) الخلق، وكيف كان فالواجب تكييف حياة المسلمين حسب القرآن الحكيم.

(١) سورة الذاريات: ٥٦.

الثاني: لأجل هداية المسلمين لسائر العالم إلى الإسلام، فإن القرآن إذا دخل في حياة المسلمين زحف الإسلام من جديد إلى العالم بما ينجيهم من الطواغيت الذين ملؤوا العالم ظلماً وفساداً واستثماراً واستعماراً، وقد اشتمل القرآن الحكيم على مختلف المناهج والأنظمة والقضايا، فحاله تشريعاً وبياناً حال الكتاب الكوني المشتمل على مختلف أنواع المخلوقات، لأنه الكتاب اللفظي الذي يرى الكتاب الكوني، لكن معظم اهتمام القرآن إلى أربعة أمور:

الأول: الحقائق الفلسفية، من المبدأ تعالى وصفاته، وأنه الذي لا شريك له، العدل الذي لا يجور، وقدرته وآثاره، وأنه الخالق المبدئ المعيد، المحيي المميت، الذي كل شيء بيده، وهو مسبب الأسباب، إلى آخر صفاته تعالى.

ومعرفة هذه الحقيقة، بالإضافة إلى أنها معرفة واقعية قام عليها البرهان، كما قام البرهان على بطلان ما عداها، إنها منشأ السعادة الأبدية، فمن عرفها حق معرفتها كان أسعد الناس، وذلك خاص بالأنبياء والأئمة (عليهم السلام)، حيث يستوعبون أكبر قدر ممكن من هذه المعرفة.

ومن كان عرفها دون ذلك حسب استعداده وقابليته الفطرية، وصل إلى كماله الممكن في المعرفة وجوزي بالحسنى.

ومن لم يعرفها قصوراً، امتحن في الآخرة، كما ورد في الأحاديث.

أما من أنكرها عمداً، انطبق عليه قوله تعالى: ﴿**إِنَّ اللهَ لا يَغْفِرُ أن يُشْرَكَ بِهِ**﴾[1].

---

(١) سورة النساء: ٤٨، والنساء: ١١٦.

وهنا سؤال قد يثار، أنه لماذا يكون مصير المنكر النار، فهل سبحانه يستفيد من عذابه، وأي ربط بين الإنكار وبين النار؟

والجواب: إن مجانسة المنكر والعاصي للنار مثل مجانسة البيضة للدجاجة والنواة للشجرة، والنطفة للحيوان، فهو أثر طبيعي له، وإن كان يجعله سبحانه، لكنه جعل عادل يقتضيه طبع الشيء ويتطلبه لسان المهية، كما يتطلب كل مهية الفيض فيفيض عليه الفياض سبحانه بالوجود.

قال سبحانه: ﴿**الَّذي أَعْطى كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ**﴾[1]، أي خلقه الذي يتطلبه بلسان واقعه، فصار له هذا الوجود المرئي في الخارج.

ثم إن العقاب ليس أكثر من العمل، كما أن الدجاجة ليست بأكثر مما تتطلب البيضة، فلا يستلزم الظلم.

أما كيفية العقاب وخصوصياته فهي ما لا نعلمهما، وإنما المعلوم أنه في إطار العدل والاستحقاق، وتفصيل هذا الكلام خارج عن هذا المبحث.

وكيف كان، فالمنكر عمداً يشقى، كما أن المنكر جهلاً تقصيراً يكون دون ذلك، وإن لم ينعم بالسعادة كما ينعم المعترف.

ثم إن القرآن تعرض للمعاد وذكر خطوطه العريضة، وهذا أيضا داخل في الأول، أي الفلسفة الكونية التي تعرض لها القرآن الحكيم، مما تجب معرفته، وحال جهلها وإنكارها قريب من حال جهل المبدأ أو إنكاره، ويدخل في إطار المبدأ والمعاد الرسالة والإمامة وسائر المسائل المرتبطة بهذين الأمرين.

الثاني: العلوم الطبيعية المرتبطة بالسماوات والأرضين والرياح

---

(١) سورة طه: ٥٠.

والسحاب والرعد والبرق والبحار والأنهار والأشجار ومختلف الحيوانات وغير ذلك، ومن الواضح أن ذكر هذه الأمور في القرآن الحكيم، إنما هو ثانوي، وإنما تذكر لأجل توجيه الإنسان إلى خالقه سبحانه أولاً، ولأجل توجيهه إلى ما فيه منافع الإنسان في دنياه ثانياً.

وبينما الغور في حقائق المبدأ والمعاد متعذر على الإنسان إلاّ بقدر بيان الأنبياء، وما يقدره العقل عن بصيص نور ضعيف لا ينير إلاّ الشيء اليسير جداً، يكون الغور في حقائق عالم الطبيعية مفتوح الباب أمام كل عقل قادر وفكر ثاقب، وقد أمر القرآن الإنسان بالغور في هذه الحقائق، كما أمره بالاستفادة منها، فإنها مسخرة له ومخلوقة لأجله.

الثالث: العلم بالإنسان، وكشف مبدئه ومنتهاه، وبيان حقيقته، وذكر مسؤوليته الفردية والاجتماعية، وتوضيح دوره في تسخير الكون لصالح نفسه، وبيان أنه خليفة الله في أرضه ومقامه في الكون، وتفضيله على كثير ممن خلق تفضيلا، وشرح الإطار الذي لا ينبغي له أن يخرج منه، لأنه إذا خرج منه كان مصيره الدمار والهلاك، وأنه يجب أن لا يطغى جانبه الفردي على جانبه الاجتماعي ولا العكس، وأنه ليس مجبوراً ولا مختاراً بما لكليهما من معنى شمولي استيعابي، وإنما حاله أمر بين الأمرين، وأنه ليس عمله منه فقط ولا من الله فقط، بل لكل منهما دور في إيجاد عمله، وإنما بالعمل الصالح والنية الحسنة يكون أرفع من الملائكة، ﴿**تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ المَلائِكَةُ**﴾[1].

وكما قال الشاعر:

بار ديكَر از ملك بران شوم   آنجه اندر وهم نايد آن شوم

(١) سورة فصلت: ٣٠.

كما أنه بالعمل السيء والنية السيئة يكون أحط من البهائم، ﴿إِنْ هُمْ إِلاّ كَالأَنْعامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ﴾[١]، وأنه يكون منزل الشياطين ﴿عَلى مَنْ تَنَزَّلُ الشَّياطينُ﴾[٢]، وأنه مهما انحرف قابل للاستقامة، ومهما استقام قابل للانحراف، وأنه لا يأس له من روح الله، كما لا أمن له من مكر الله، وأن له جسماً من عالم السفل، وروحاً من عالم العلو، ونفساً بين ذلك يمكنها الارتفاع إلى جهة الروح، كما يمكنها الانحطاط إلى جهة الجسم.

قال سبحانه: ﴿مِنْ صَلْصالٍ مِنْ حَمَإٍ مَسْنُونٍ﴾[٣].

وقال تعالى: ﴿وَ نَفَخْتُ فيهِ مِنْ رُوحي﴾[٤].

وقال تعالى: ﴿وَنَفْسٍ وما سَوَّاها ۞ فَأَلْهَمَها فُجُورَها وتَقْواها﴾[٥].

وأن النفس إذا ارتفعت تصل إلى ما هو خارج عن طوق الفهم، كما رأى رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) ليلة الإسراء إبلاً حملت فضل علي (عليه السلام) لا يعرف أولها ولا آخرها إلاّ الله سبحانه، وأن البحار لو كانت مداداً، والأشجار أقلاماً والجن والإنس كتاباً لما أحصوا فضل علي (عليه السلام)[٦] حتى يكون عمل بسيط من أعماله له ثواب لا يتصور.

ففي إعطاء (أخباز قليلة) تنزل سورة في القرآن تتلى آناء الليل وأطراف النهار إلى يوم القيامة: ﴿وَ يُطْعِمُونَ الطَّعامَ عَلى حُبِّهِ مِسْكيناً ويَتيماً

---

(١) سورة الأعراف: ١٧٩.

(٢) سورة الشعراء: ٢٢١.

(٣) سورة الحجر: ٢٦.

(٤) سورة الحجر: ٢٩.

(٥) سورة الشمس: ٧.

(٦) كما في المناقب، للخوارزمي: ص٢. وانظر أيضا: بحار الأنوار: ج٤٠ ص٧ ب٩١ ح١٧،

وأَسيراً﴾[١].

وفي عمل صغير في حجمه ثواب لا يحصيه إلاّ الله سبحانه: «ضربة علي (عليه السلام) يوم الخندق أفضل من عبادة الثقلين»[٢].

وفلسفة ذلك واضحة، فإنه كما في عالم الماديات أنجم لا يعرف كبرها إلاّ الله سبحانه، حتى لو أن نجماً منها وضعت الشمس في نقطتها المركزية لوصل حافة من حافاته إلى الأرض، وكما في عالم الماديات أبحر لا يعرف مكائيل مياهها إلاّ الله سبحانه، كذلك في الأنفس البشرية نفوس سعتها المعنوية أمثال هذه السعات وأكثر.

ومن الطبيعي أن يكون العمل الصادر من هذه الأنفس، لدلالته على عظمة النفس، له قيمة كبيرة، فيكون مثله مثل النبع المتفجر من البحر، حيث له قيمة كبيرة، بخلاف العين المتفجرة من بركة ماء، ولهذا الكلام مجال آخر، وإنما ألمعنا إليه إلماعاً استطراداً.

وأن النفس إذا انحطت تصل إلى دركات لا يعلم مداها إلاّ الله سبحانه: ﴿إِنَّ الْمُنافِقِينَ فِي الدَّرْكِ الْأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ﴾[٣].

وأن الأنفس متفضلة بعضها على بعض: ﴿تِلْكَ الرُّسُلُ فَضَّلْنا بَعْضَهُمْ عَلى بَعْضٍ﴾[٤].

و«الناس معادن كمعادن الذهب والفضة»[٥].

---

(١) سورة الإنسان: ٨.

(٢) الإقبال: ص٤٦٧.

(٣) سورة النساء: ١٤٥.

(٤) سورة البقرة: ٢٥٣.

(٥) الكافي: ج٨ ص١٧٧ ح١٩٧.

وأن الله لم يخلق سيئاً : ﴿وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُوَرَكُمْ﴾[١]، و﴿فَتَبَارَكَ اللهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ﴾[٢].

فإن الله لا يخلق من الأقسام الخمسة المتصورة، إلاّ ما كان نفعاً محضاً، وكان نفعه أكثر، أما من يجعل نفسه شراً محضاً، أو مساوياً لخيره، أو أكثر من خيره، فهو إنما يكون بسوء تصرفه.

إلى غيرها من شؤون الإنسان الكثيرة، التي يجد الإنسان رؤوس مطالبها في القرآن الحكيم، وتتمتها في السنة المطهرة في روايات متواترة، دلت البراهين والحجج على صحتها ومطابقتها للواقع.

كما أن القرآن يأمر الإنسان بالتفكر والتدبر في الكون وفي الإنسان وفي المسير والمصير، فهل فكر الإنسان أنه لم يكن شيئاً مذكوراً ثم صار، فمن أين صار؟ وأين كان قبل ذلك؟ وإلى أين يذهب بعد ذلك؟

وهذه الأشياء التي يراها في نفسه وفي الحيوانات والنبات وغيرها، من الألوان والأشكال والحجوم والأرياح والطعوم، والصفات النفسية والجسدية من الشجاعة والجبن، والبخل والكرم، والحسد وسلامة النفس، وغيرها وغيرها أين كانت قبل خلق الإنسان، وما هي الآن؟

وكيف يكون مصيرها؟ وإلى أين يذهب بعد موت الإنسان وصيرورته ترابا؟

وكذلك الكلام في ألوان وطعوم وخواص وجمال ومميزات، وسائر النباتات والفواكه والحيوانات وغيرها.

---

(١) سورة غافر: ٦٤.

(٢) سورة المؤمنون: ١٤.

﴿وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إلاّ عِنْدَنا خَزائِنُهُ﴾[١] ، **﴿وَللهِ خَزائِنُ السَّماواتِ والْأَرض﴾**[٢] ، إلى غير ذلك من العلوم الكثيرة المرتبطة بالإنسان المثبوثة في القرآن الحكيم.

الرابع: الأمور المربوطة بالنظام الإنساني، في حركته وسكونه، واستقراره وتزلزله، وما يوجب له الرفاه أو العسر، وأسباب علوه وانحطاطه، وأسباب ظهور الأمم، وعلل اختفائها عن الوجود، وتشريعاته الاقتصادية والسياسية والثقافية والاجتماعية، وأنظمته العائلية، وما يتبع ذلك من المواريث والنكاح والطلاق، والارتباطات بين الدولة والأمة، وبين بعض الأفراد ببعض، وسبب قوتها أو ضعفها.

فإنه كما كان خلق الإنسان من ناحية الأعضاء والجوارح والأجزاء وغيرها، ومن ناحية النفس وصفاتها ومزاياها وخصوصياتها من أعقد الأمور الطبيعية، كذلك كان النظام الإنساني الذي يكفل له السعادة من أعقد الأنظمة المحتاجة إلى ألوف التشريعات والقوانين، لتجعل للإنسان أنظمة ودساتير ومناهج في غاية الدقة لئلا يتيه في دروب الحياة الحالكة، ولئلا يرد إلى أسفل سافلين بعد أن خلق في أحسن تقويم.

وحيث جاء القرآن ليسير مع البشر إلى الأبد، آخذاً زمامه في كل دروب الحياة، كان لا بد له أن يضع الأنظمة، ليناسب حالاته المختلفة حتى في أعقد أدوار ارتفاعه، أخذاً من سكناه الكهوف والخيام، واقتياته على الصيد والفواكه، وامتطائه الخيل والبغال والحمير، واستعماله الأحجار والأخشاب

---

(١) سورة الحجر: ٢١.

(٢) سورة المنافقون: ٧.

في حاجاته، وانتهاءً إلى سكناه المدن الفضائية واقتياته الأغذية الكيميائية، وامتطائه الأقمار السابحة في الأجواء واستعماله العقول الآلية ... وإلى غير ذلك من عقد الحياة التي يضعها العلم بيد الإنسان يوماً بعد يوم.

ومن هنا يتجلى بعض عظمة القرآن، حيث إنه جعل مثل هذه الأنظمة للإنسان، وهي صالحة لإعطاء الإنسان أسعد الحياة، بينما كل المذاهب والأديان والأنظمة القديمة قد هربت من الميدان، كما أن كل نظام يتجدد، يجد عدم ملائمته للحياة بعد برهة قصيرة من التطبيق، مما يكون لا بد له من تسليم مكانه لنظام أحسن ليأخذ مكانه ليجده بدوره عدم صلاحيته أيضا، وهكذا دواليك.

حرمة تغيير نُظُم القرآن

(مسألة ١١): لا يجوز تغيير نُظُم القرآن عما هو عليه الآن، لا بأن تجعل سورة كذا قبل أو بعد سورة كذا مما كتب في المصاحف أنها نزلت بعد سورة فلان أو قبل سورة كذا، ولا بأن تجعل آية كذا في المكان الذي ورد في التفاسير أنها كانت في مكان كذا، ثم لا نجدها الآن نحن في ذلك المكان المعين.

وذلك لأن هذا الأسلوب هو الأسلوب الذي قرره الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) بأمر الله تعالى، وكان نزوله في الأصل بهذا الأسلوب الذي نجده الآن، وإنما نزل منجماً بتقديم وتأخير في ثلاث وعشرين سنة، كما يذكر في التفاسير.

ولذا ورد أنه كلما نزل شيء من القرآن، قال الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم): «اجعلوه في موضع كذا»[١].

ومثال ذلك أنه إذا كتبت الحكومة القانون كاملاً، ثم أظهرت قانوناً قانوناً في أوقات مختلفة حسب الحاجة، فإن الإظهار حسب الحاجة لا يضر بأسلوب القانون المدون أولاً، ولا يوجب تغيير المدون عن أسلوبه إلى أسلوب الإظهار.

كما لا يجوز زيادة شيء أو تغيير شيء في القرآن حتى النقطة والفتحة

---

(١) انظر هامش تفسير الطبري: ج١ ص٢٤. وانظر تفسير شبر: ص ٨٣ سورة البقرة: (ضعها في رأس المائتين والثمانين من سورة البقرة) قالها جبرائيل (عليه السلام) لرسول الله (صلى الله عليه وآله) عند نزول الآية.

وما أشبه، لأن اعتقادنا الذي قام عليه أمتن البراهين، أنه لم يغير القرآن حتى أبسط التغيير، وبعض الروايات الظاهرة في التغيير يراد به التفسير والتأويل، كما يظهر من كلام علي (عليه السلام) وغيره.

ثم إنه ربما يتساءل أن نظم القرآن لماذا صار بهذه الكيفية، وأنه ألم يكن من الأفضل أن يكون نظمه مثل الكتب المدونة، ذا فصول وأبواب، ويكون قد وضع في كل فصل فصل مطالب متناسقة، يرتبط بعضها ببعض، كأن يذكر في فصل أصول الدين، وفي فصل الاقتصاد، وفي فصل السياسة، وفي فصل الأحوال الشخصية، إلى آخرها؟

والجواب: إنه بالعكس، ولو كان القرآن كذلك لسقط عن كونه قرآناً، وكان كما إذا كان الإنسان يمشي على أربع حيث يسقط عن كونه إنساناً، وإنما جاء القرآن بهذا الأسلوب الفريد لعدة أسباب نذكر منها:

الأول: إن القرآن نزل من عند الخالق الذي لا يحده زمان ولا مكان ولا جهة، وليست له نسبية واتجاه، فاللازم أن يتصف كتابه أيضاً بمثل هذه الصفات، في نطاق كونه منزلاً على الإنسان المحدود ببعض هذه الأشياء، فلا يقال: على هذا الذي ذكرتم يلزم أن لا يكون للقرآن زمان ومكان أيضاً، فالقدر الذي نجده من المحدودية للقرآن إنما هو لمناسبة المنزل إليه، أما فيما لا يضطر إلى المحدودية فاللازم أن لا يكون محدوداً.

ولذا ينقل أن بعض الفلاسفة في زمان موسى الكليم (عليه السلام) لما سمع بأن رجلاً يدعى النبوة وهو يرعى الأغنام تعجب، فهل من الممكن أن يكلم الله إنساناً ويجعله نبياً، فجاء إلى موسى (عليه السلام) ليستطلع الأمر بنفسه، ولما التقى بموسى (عليه السلام) قال لموسى (عليه السلام): أأنت الذي تزعم أن علة

العلل كلّمك؟

قال له موسى (عليه السلام): نعم كلمني ربي.

قال الفيلسوف: كيف كلمك؟

قال موسى (عليه السلام): «من كل الجهات وبكل الجهات».

فلما سمع الفيلسوف هذه الجملة، توجه إلى بني إسرائيل وقال: يا بني إسرائيل اتبعوا نبيكم، لأنه علم أن مثل هذه الحقيقة لا يطلع عليها إلاّ النبي.

ولعل معنى كلامه (عليه السلام) أن تكلم الله ظهر من داخل موسى (عليه السلام) وخارجه، ومن كل الجهات المحيطة به (عليه السلام)، فلم يكن كلامه تعالى ككلام الإنسان وما أشبهه يأتي من طرف واحد، كما أن كلامه سبحانه كان كل شيء، مثلا كان الكلام الواحد طباً وفلسفةً وتشريعاً وهندسةً وفلكاً، إلى غير ذلك، وهذا وإن كان صعب التصور عندنا، لكنه ليس خلاف العقل حتى يقال باستحالته، وقد رأينا كتاباً واحداً كان سبعة علوم في حال واحد، كما أن الكهرباء في حال واحد يبرد ويسخن ويحرك وينير ويقتل إلى غير ذلك، وإذا رأينا في مخلوقاته تعالى ذا أبعاد ـ ليس المقصود أبعاد الجسم، بل أبعاد في إفادات مختلفة ـ فلا مانع من أن يكون كلامه سبحانه كذلك، ولعل هذا هو المراد بالبطون التي وردت بالنسبة إلى القرآن الحكيم، وهذا لا ينافي مع أنا نفهم من القرآن أو من الوحي المنزل على موسى (عليه السلام) بعداً واحداً، لأن مداركنا تلائم هذا البعد.

كما أن الإنسان إذا لامس جسماً حلواً عطراً لم يحس إلاّ بلمسه لا بحلويته وعطريته مع وجود حلويته وعطره في نفس تلك الحال.

ولذا قال بعض المدققين: إن الآخرة والدنيا مزيجتان في بعدين كمزج الحلو بالعطر بالخشونة مثلا في جسم واحد، والإنسان الحي إنما له أجهزة إدراك بعد واحد من البعدين، أي بعد الدنيا، كما أن الميت له أجهزة إدراك بعد آخر، أي بعد الآخرة، والأنبياء والأئمة (عليهم السلام) حيث كانوا أقوى كانوا يدركون البعدين في حالة واحدة، فيرون ويسمعون وهم في الدنيا الأرواح والآخرة وكلام الأموات، كما أنهم بعد موتهم إحياء يدركون بعد الدنيا أيضاً.

لا يقال: كل الأموات يدركون بعد الدنيا في حال موتهم، ولذا سمع كفار بدر كلام الرسول (صلى الله عليه وآله) وأهل الجمل كلام علي (عليه السلام).

لأنه يقال: لعل الفرق أن الأنبياء والأئمة (عليهم السلام) يسمعون ويرون الشخص والكلام بالبعد الدنيوي، وسائر الأموات بالنسبة إليهم يحول الكلام والصورة إلى كلام وصورة مناسبين لبعد الآخرة، ولنفرض بعد الدنيا كالبيضة وبعد الآخرة كالفرخ، فالميت الصالح في الآخرة يرى البيضة، بينما الميت الطالح يرى الفرخ.

كما أن من الممكن أن يفسر عدم إمكان رؤية بعض الناس للإمام وهو حاضر أو عدم سماع كلامه وهو يتكلم بالبعدين أيضاً، بأن كلام الإمام دخل في بعد آخر ويتكلم ببعد آخر، فالإنسان الدنيوي بما هو دنيوي لا يتمكن من رؤيته وسماع كلامه.

وكيف كان، فمما يؤيد الأبعاد المتعددة آيات وروايات متواترة، مثل قوله سبحانه: ﴿وَانّ جَهَنَّمَ لَـمُحيطَةٌ بِالْكافِرينَ﴾[1]، ﴿ولا يَقُومُونَ إلاّ كَما

(١) سورة التوبة: ٤٩.

يَقُومُ الَّذي يَتَخَطبهُ الشَّيْطانُ مِنَ المَسِّ﴾(١)، ورواية تكلم علي (عليه السلام) الأموات(٢) إلى غيرها، وهو كثير.

ولعل أفضل الأمثلة في تداخل العوالم ما نجده من تداخل عوالم المحسوسات، فشيء واحد له رؤية وصوت ورائحة وملمس وطعم وأجهزة الإنسان تدرك كلها، وكل من فقد حساً لم يدرك أحدها، ولذا قال ابن سينا: (من فقد حساً فقد فقد علماً) ولعل للأشياء أكثر من عوالم خمسة، ولكن الإنسان لم يزود إلاّ بأجهزة خمسة ولذا لا يدرك سائر العوالم، وحيث إن هذا البحث خارج عن موضوع القرآن الذي نحن بصدده الآن نتركه لمحله.

الثاني: إن القرآن كتاب لفظي لله سبحانه، أنزل على طبق كتابه التكويني أي الكون، فكما أن جمال الكون في تداخل أجزائه وتقارنها بدون أن يكون له فصول وأبواب بعضها يخص شيئاً وبعضها يخص شيئاً آخر، مثلاً لم يجمع المياه في مكان والإنسان في مكان والأشجار في مكان، وفي الإنسان مثلاً لم تكن العظام في مكان والعروق في مكان والشعور في مكان، كذلك بالنسبة إلى كتابه سبحانه اللفظي، إن الجمع في كتاب الكون يذهب جماله، كذلك الجمع في كتاب اللفظ.

أرأيت لو جمعت صفات الله وأسماءه في عشر صفحات، وقصص موسى (عليه السلام) في عشر صفحات، والفقه في عشر صفحات وهكذا، فهل كان للقرآن هذا الجمال الذي نشاهده له الآن، إن الله سبحانه خلق

(١) سورة البقرة: ٢٧٥.
(٢) كما في بحار الأنوار: ج٤١ ص١٩٢ ـ ١٩٧.

الكون متنوعاً متداخلاً، وكذلك خلق الإنسان، وخلق ذوقه يحب التنوع والتداخل بحيث يمل من غير المتنوع المتداخل، ولذا أنزل القرآن هكذا، وشرّع العبادات كذلك، ففي الصلاة قيام وركوع وسجود، وذكر ودعاء وقرآن، وركعات بأعداد مختلفة في صلوات متعددة، وكذلك الحج وغيرهما، كما خلق في التكوينيات بر وبحر وجبل وحيوانات وأشجار وكلها مختلفة، وخلق الشروق والغروب والنور والظلمة والفصول وغيرها.

وبهذا ظهر الجواب عن إشكال من يستشكل على العبادات بتنوع خصوصياتها، كما أن إشكال من يستشكل بأنه لماذا لم تكن العبادة في صورة أخرى كالسجود قبل الركوع، والسورة قبل الحمد، أو لماذا لم يجز أن يأتيها الإنسان باختياره كيفما أراد ثلاث ركعات صبحاً واثنتين مغرباً وبالعكس، بأن يكون للإنسان حرية الاختيار، وكذلك بالنسبة إلى أجزاء العبادة، غير وارد.

إذ يرد على الأول: إن كانت العبادة كما ذكر استشكل بالنقض أيضاً بأنها لماذا لم تكن كصورتها الحالية؟

وعلى الثاني: إن من الصلاح توحيد الصورة، لأنها توجب تقارب القلوب وجعل سمة خاصة للأمة، بالإضافة إلى أنه أجيز بالتنوع في موارد أيضا، كأقسام السورة بعد الحمد، وكأقسام الأدعية والأعمال في المزارات، إلى غير ذلك.

ثم لا يخفى أن مراعاة جمال القرآن، وانطباق ذلك الجمال مع ذوق الإنسان المركب على التملي والتذوق بالجمال أولى من مراعاة السهولة في الإدراك والتعلم عند جعل المواضيع في الأبواب والفصول، التي يراعيها

الإنسان في كتبه، مثلاً ذوق الإنسان يلائم كون البحر والجبل والغابة والحيوانات المختلفة يكون بعضها إلى جانب بعض، لكنه إذا أراد أن يؤلف الكتاب يجعل كتاباً حول البحار، وكتاباً حول الأشجار إلى آخره، وحيث إن القرآن أراد توجيه الإنسان إلى الله سبحانه بسبب كتابه التكويني وأحكامه التشريعية، كان لابد له أن يكون نسخة طبق الأصل من الكتاب التكويني.

الثالث: إن القرآن نزل في مدة ثلاث وعشرين سنة، وكان مقصده توجيه الإنسان إلى مختلف مسائله العقائدية والاجتماعية والعبادية والاقتصادية والسياسية والعائلية وغيرها، فإن كان أراد الأبواب والفصول انفلت منه التوجيه المطلوب، وكان مؤلفاً من قبيل مؤلفات المؤلفين ولم يكن قرآناً، فإن القرآن أراد في زمان توجيه العقيدة، وفي زمان توجيه الحرب، وفي زمان توجيه العبادة إلى آخرها، فهل يعقل وهو بصدد الحرب أن يأتي بمسائل الفلك، أو وهو بصدد نصب الخليفة أن يصل في ترتيبه إلى فصل المعاملة وكتاب الدين، إلى غير ذلك.

ثم لما أراد القرآن شحذ الأذهان وتوجيه الناس في كل خطوة إلى المبدأ والمعاد، فكما أن كل شيء في الكون يبتدئ بإرادة الله وخلقه وينتهي بإرادة الله وإفنائه ويكون الله معه في كل حاله، كما قال علي (عليه السلام): «ما رأيت شيئاً إلاّ رأيت الله قبله ومعه وبعده»، كان لابد وأن يأتي بذكر الله في كل جملة أو جمل، فكان هذا سبباً آخر من أسباب تداخل العقيدة مع مختلف آيات القرآن.

لا يقال: كان بالإمكان أن ينزل القرآن حسب مختلف الظروف والأحوال بصورة متناثرة، لكن إذا كمل يجمع حسب الفصول والأبواب.

لأنه يقال : كان هذا يهدم حكاية التاريخ المتسلسل حسب الترتيب الزمني ، ولا يخفى أهمية الحكاية التاريخية حسب التسلسل الزمني لمثل هذا الأمر المهم.

أما لماذا خالف أسلوب نزوله منجماً أسلوب نزوله دفعة على قلب الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) ، لأنه نزل مرة مجموعاً ومرة في ثلاث وعشرين سنة منجماً ، فلأن الأسلوب الدفعي كان بملاحظة مناسبة كل أول سورة لآخر سورة قبلها ، وحيث فقدت هذه الملاحظة في الأسلوب المنجم ، أمر الرسول (صلى الله عليه وآله) حسب وحيه سبحانه أن يجمع حسب أسلوبه الدفعي.

الرابع : القرآن هو الكتاب اللفظي لمن خلق الكون ، فاللازم أن يراعى فيه ما روعي في الكون من تملي الإنسان من جزئه كما يتملى من كله ، فكما أن غرفة من الماء تحكي البحر ، وكما أن نجمة السماء تحكي الأنجم ، وكما أن شجرة واحدة تحكي الغابة ، كان لابد أن تحكي صفحة من القرآن كل القرآن ، فإن كل إنسان لا يقرأ كل القرآن ، فاللازم أن يكون كل صفحة من القرآن تكون في حد نفسها مرشدة إلى ما يرشد إليه كل القرآن ، من الله والكون والحياة والإنسان وكيفية العمل إلى غير ذلك ، وهذا لا يمكن مع مراعاة الأسلوب الأكاديمي ، بل اللازم أن يكون بهذا الأسلوب المنزل ، وهناك جهات أخر يمكن أن تذكر في وجه أسلوب القرآن ، لكن اكتفينا بهذا القدر ، ولعل فيها الكفاية ، والله العالم المستعان.

وجوب الاعتقاد بكون القرآن معجزاً

(**مسألة ١٢**): يجب الاعتقاد بكون القرآن معجزاً، فإنه على ذلك يتوقف غالباً تصديق نبي الإسلام، كما أنه (صلى الله عليه وآله) على الأغلب اعتمد على ذلك في إثبات نبوته.

ثم إنه ربما توهم أنه لا يتوقف على نبوة النبي (صلى الله عليه وآله) اتباعه، إذ لا شك أنه (صلى الله عليه وآله) حكيم من أعظم الحكماء وجاء بنظام من خير الأنظمة، كما يدل على ذلك العقل والعقلاء، ومن المعلوم أن الناس يتبعون العقلاء سواء كانوا عقلاء واقعيين أم عقلاء في نظر الناس، ولذا اتبع الناس غاندي وأخذوا بنصائح لقمان، إلى غير ذلك. إذاً فاتباع الرسول (صلى الله عليه وآله) لا يتوقف على ثبوت نبوته، فلا يتوقف اتباعه (صلى الله عليه وآله) على ثبوت كون القرآن معجزاً، ليجب الاعتقاد بأنه معجز.

كما أنه توهم أنه إن أريد بالوجوب العقلي فالواجبات العقلية لا عقاب في تركها، وإن أريد الوجوب الشرعي فهو دور، إذ الوجوب لا يستفاد إلاّ من الشرع، فإذا توقف الشرع ـ نبوة محمد (صلى الله عليه وآله) ـ على الوجوب لزم الدور.

ثم أي دليل على الوجوب الشرعي للاعتقاد بكون القرآن معجزاً.

لكن كل التوهمات الثلاثة باطل.

إذ يرد على الأول: إن الإذعان بكون النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) حكيماً

لا يكفي في اتباعه، إذ المتبع له حينئذ لا يتبعه إلاّ فيما يوافق عقله مما جاء به في السياسة (الشورى)، وفي الاقتصاد (المتوسط) بين الرأسمالية والشيوعية، وفي أشباه ذلك، لا في العبادات وأنظمة القضاء والأحوال الشخصية والغرامات والحدود وما أشبه، ألا ترى أن العقلاء لا يتبعون الحكماء الذين يعترفون بحكمتهم في كل شيء، وإنما يتبعونهم في ما وافق عقلهم من أنظمة وأفكار أولئك الحكماء، وإنما الاتباع الكامل إنما يكون إذا أذعن الإنسان بأنه نبي من عند الله سبحانه يتوقف على طاعته في كل شيء الثواب، ويكون تركها في أي شيء موجباً للعقاب.

وعلى الثاني: إن الوجوب عقلي وشرعي، أما العقلي فلوجوب دفع الضرر المحتمل إذا كان كثيراً، والعقل وإن لم يعاقب مخالف واجباته لكن تحقق الوجوب لا يتوقف على العقاب إذا خالف، مضافاً إلى أن للعقل عقاباً أيضاً هو التأنيب والتقبيح والوخز، قال سبحانه: ﴿**لا أُقْسِمُ بِيَوْمِ الْقِيامَةِ * وَلا أُقْسِمُ بِالنَّفْسِ اللَّوَّامَةِ**﴾[1]، وأما الشرعي فهو موجود، لكنه ينفع المؤمنين فقط ولا دور بالنسبة إليهم.

وأما الدليل الشرعي فهو مستفاد من التحدي الموجود في الكتاب والسنة، وقد قام بذلك الإجماع كما يستفاد من كلماتهم في كتب أصول الدين والتفسير.

ثم إنه قال بعض العلماء: بأن إعجاز القرآن في أن الله سبحانه صرف الناس عن الإتيان بمثله، لا أنهم عاجزون بأنفسهم.

وقال آخر: بأنه تصرف في مدارك الناس بأن يروا غير المعجز معجزاً،

---

(١) سورة القيامة: ١ـ ٢.

فحاله حال أن يتصرف في مدارك الناس بأن يروا العود حية.

ولكن المشهور أنه إعجاز واقعي لا يقدر الناس بطبعهم من الإتيان بمثله، وليس من باب الصرف أو التصرف في المدارك، وهذا هو الأقرب.

إذ يرد على أول القولين: ضرورة فرقنا بين ما نقدر ذاتاً وبين ما لا نقدر، والإتيان بمثل القرآن داخل في ما لا نقدر، مثل خلقنا الطير أو نحوه، إذ أنا نعرف بضرورة عقولنا أنا لا نقدر على ذلك، لا أنا نقدر ذاتاً إلاّ أن صارفاً صرفنا عن الإتيان بذلك.

كما يرد على ثانيهما: إنا نشعر بضرورة عقولنا أن الإعجاز حقيقة، لا أنه خيال ووهم، وإن كان مثل هذا الخيال لو وقع كان إعجازاً، إذ تصرف الله في عين زيد حتى يرى العود حية مثلاً أمر خارق أيضاً، وليس ذلك من باب السحر، إذ السحر بأسباب، والمفروض أنه بدون سبب، إلى غير ذلك من الفوارق بين السحر والمعجزة، على ما ذكروه في كتب الكلام والفلسفة وغيرهما.

بقي أمران:

الأول: هل أن المعجزة في القرآن وفي غير القرآن خرق للقوانين أو استثناء للقوانين؟

الثاني: هل أن إعجاز القرآن في أسلوبه وعلمياته، أم حتى في آثاره؟

المعجزة خرق للقانون أم استثناء

أما الأول: فقد ذهب بعض العلماء إلى أن المعجز خرق للقانون، فإن خالق القانون في الطبيعة يقدر على خرقه، فنار إبراهيم (عليه السلام) وعصا

موسى (عليه السلام) وقرآن **محمد** (صلى الله عليه وآله وسلم) خرق لقانون حرارة النار وسيولة الماء وقدرة البشر الفكرية والكلامية في القرآن، إذ القرآن فوق قدرة البشر.

وذهب بعض آخر إلى أن المعجزة استثناء للقانون، يعني أن القانون الطبيعي لا يشمل حتى مورد المعجزة، فالمعجزة داخلة في قانون آخر خارج عن القانون المعتاد، مثلا إذا كان عقار يورث من أكثر استعماله قوة أمواج مخه حتى يتمكن أن يقرأ أفكار الآخرين، فإن المستعمل لهذا العقار إذا قرأ أفكار الآخرين لم يكن عمله خرقاً للقانون الطبيعي، وإنما تمكن هذا المستعمل أن يدخل نفسه في قانون آخر طبيعي أيضاً بمعونة استعماله ذلك العقار، لكن فهم الإنسان إدخال نفسه في القانون المستثنى خاص بالأنبياء والأولياء.

وهذا الاحتمال وإن لم يكن بعيداً، إلاّ أن المنساق من الأدلة هو الاحتمال الأول، ولعل الواقع كلا الأمرين، فخرق في بعض المعجزات واستثناء في بعض آخر.

المعجزة في الأسلوب والآثار

وأما الثاني: فالظاهر أن القرآن معجز حتى في آثاره، ويدل عليه متواتر الروايات، وجملة من التواريخ والقصص المقطوع بها، مثل ما ورد من طرد الآيات للشياطين وشفائها للأمراض وحلها للمشكلات.

وقد حدثني بعض الثقات أن بعض الصيادين رأى صيداً من بعيد، وكلما أراد أن يرميه لم يثر الرصاص، ولكن إذا وجه رأس البندقية إلى

جانب آخر غير جانب الصيد ثار الرصاص، فتعجب من ذلك ولما قرب من الصيد رآه إنساناً فسأله عن سبب ما رأى، قال الرجل: لا أعلم، لكني حافظ للقرآن، وكنت أقرأ القرآن في ذلك الحال.

كما حدثني ثقة آخر قال: حضرت في مجلس تحضير الجن وأخذت أقرأ القرآن بهمس، وكلما حاول المحضر أن يحضر لم يقدر، وأخيراً قال: لابد وأن هنا إنساناً يقرأ بعض الأذكار المقدسة، وكان المحضر مسيحياً، قال: وقد سبق لي أن أردت التحضير فلم أتمكن ثم ظهر أن في المجلس من يقرأ بعض الأذكار المقدسة، ولم يرد أن يذكر لفظ القرآن، لأنه كان اعترافاً منه بقدسية القرآن.

وقد اشتهر أيضاً قصة (البشر الحافي) أنه كان فاسقاً ماجناً، وذات مرة رأى ورق قرآن ساقط في المزبلة فأخذ درهمين من العطر وعطر الورق ووضعه في حرز، فرأى في المنام هاتفاً يقول له: يا بشر احترمت كتابي، لاحترمنك في الدنيا والآخرة، وبعد ذلك وقعت قصته مع الإمام موسى بن جعفر (عليه السلام) حتى تاب وتنسك، وقبره إلى الآن مشهور في بغداد يزوره الخاص والعام.

أما قصة خروج النور من فم جماعة من أصحاب الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) في ليلة من ليالي حروبه كانوا يقرؤون القرآن فمشهورة وفي التواريخ مسطورة.

وقد حدثني بعض الثقات أن مَن دوام قراءة القرآن من أوله إلى آخره، وكان يتابع بإصبعه على خط القرآن عند القراءة حدث في إصبعه أثر غريب لا يضعها على مرض أو وجع إلاّ عوفي فوراً.

إلى غيرها من القصص الكثيرة التي ليس هنا موضع ذكرها، ولا غرابة في كل ذلك، ألم يقل الله سبحانه: **﴿وَنُنَزِّلُ مِنَ الْقُرْآنِ ما هُوَ شِفاءٌ وَرَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ وَلا يَزِيدُ الظَّالِمِينَ إِلاَّ خَساراً﴾**(١)، شفاء لما في صدورهم من الغل والحسد، ولما في أبدانهم من المرض والعلة، غيبياً وبسبب مناهجه، ورحمة نرحم بها إياهم لاتباعهم مناهج القرآن التي توجب سعادة الإنسان، بالإضافة إلى الرحمة الغيبية، أما الظالم فلأنه يحارب القرآن فيزيد خسارة في الآخرة، وفي الدنيا بسبب محاربة المسلمين إياه، وغير ذلك.

وفي آية أخرى: **﴿قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ آمَنُوا هُدىً وَشِفاءٌ وَالَّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ في آذانِهِمْ وَقْرٌ وَهُوَ عَلَيْهِمْ عَمًى﴾**(٢).

وقد رأيت أنا جملة من الذين احترموا القرآن فصاروا بسببه محترمين عند الناس، كما رأيت أناساً لم يحترموا القرآن فأهينوا في الاجتماع.

وقصة بعض الملوك مشهورة، حيث كان جندياً وفي ليلة رجع عن معركة الحرب وكان في غاية الإرهاق والتعب، ألقى بنفسه في الخباء لينام ثم تذكر أن في عمود الخيمة قرآن معلق، فقال لنفسه: لو كان هذا القرآن ملكاً هل كنت تنام أمامه بهذه الصورة؟ فقام ووقف أمام القرآن إلى الصباح، وفي السحر أخذته غفوة فسمع هاتفاً قال له: لقد جعلناك ملكاً باحترامك للقرآن. أقول: إنه احترم القرآن كاحترامه للملك، فاحترمه الله سبحانه احترام الملوك، قال سبحانه: **﴿مَنْ جاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثالِها﴾**(٣).

---

(١) سورة الإسراء: ٨٢.

(٢) سورة فصلت: ٤٤.

(٣) سورة الأنعام: ١٦٠.

حرمة تغيير شيء من القرآن

(مسألة ١٣): لا يجوز تغيير شيء من القرآن حتى أسامي سوره، أما كتابته بأي خط فليس من التغيير في شيء.

وذلك بالإضافة إلى كونه من الضروريات عند المسلمين، يدل عليه المستفاد من قوله سبحانه: ﴿**وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ**﴾[1]، ومن قوله (عليه السلام): «**لا يهيج القرآن**»، ولأنه خيانة لوديعة رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) حيث قال في الحديث المتواتر: «إني مخلف فيكم الثقلين».

ومن المعلوم أن (الاسم) جزء من القرآن عرفاً، فتغييره خيانة للأمانة، فلا يصح أن يكتب فوق سورة البقرة مثلا: سورة موسى (عليه السلام) باعتبار ذكر قصته (عليه السلام) فيها، إلى غير ذلك.

ثم لا يخفى أن أسامي السور غالباً أخذت من نفس السور، وقلنا غالباً لأن بعض السور ليست كذلك مثل سورة (الإخلاص).

ولا مجال للإشكال بأنه لماذا أخذ منها هذا الاسم دون ذلك، لأنه لو أخذ غير الاسم الحالي لبقي مجال السؤال أيضاً.

أما إشكال أنه كان بالإمكان أخذ الاسم الأولي، مثلا يؤخذ اسم موسى (عليه السلام) في البقرة، ففيه: إن كل الأشياء مساوية بالنسبة إليه سبحانه، فقد ثبت في (الأصول) أن الله سبحانه ليس أقرب إلى زمان من زمان، وإلى مكان من مكان، وإلى شيء من شيء، كما أن قدرته لا تتعلق بشيء أسهل من تعلقها بشيء آخر، فهذا اليوم وقبل ألف سنة وبعد ألف

(١) سورة الحجر: ٩.

سنة كلها بالنسبة إليه تعالى نسبة واحدة، كما أن كرة الأرض وبعد مليار من السنين الضوئية في كل جانب من جوانبها، كلها نسبتها المكانية إليه تعالى نسبة واحدة.

قال الشاعر الفارسي:

(قُرب وبُعدي نبود در سفر روحاني).

وكذلك لا فرق عند الله سبحانه أن يخلق جناح بعوضة، أو أن يخلق ملياراً من الأكوان، بالنسبة إلى قدرته تعالى، ومثال ذلك (الذهن) فإن إرساله إلى قبل ساعة كإرساله إلى قبل ألف سنة، وإرساله إلى مسافة ذارع كإرساله إلى مسافة بعد مليار سنة ضوئية، وتصوره لجناح بعوضة كتصوره للمجرة، إلى غير ذلك.

ومن الواضح أن معنى القرب إليه تعالى أن لطفه تعالى بالنسبة إلى المقرب أكثر.

وكيف كان، فالأسماء بالنسبة إليه تعالى سواء، واختيار الاسم الخاص من باب أنه أحدها.

ثم إن الملاحظ أن أسامي سور القرآن الكريم وضعت كما وضع الكون، فكما فيه ألوان فيها ألوان أيضاً، فهناك:

١: أسامي حول أصول الدين، مثل (التوحيد) و(الرحمن) حول الله سبحانه.

٢: و(محمد صلى الله عليه وآله وسلم) و(نوح) و(إبراهيم) و(طه) و(آل عمران) و(الأنبياء) و(يونس) و(هود) و(يوسف) و(مريم) حول النبوة والأنبياء.

٣: و(الأعراف) و(القارعة) و(القيامة) و(الواقعة) و(الحاقة)

و(النازعات) و(الغاشية) حول القيامة والمعاد.

٤ : وهناك أسامي حول المخلوقات العاقلة، (كالملائكة) و(الناس) و(الجن).

٥ : وهناك أسامي حول عالم الطبيعة، بحيوانه ونباته وجماده وأرضه وسمائه، مثل (البقرة) و(الفيل) و(العنكبوت) و(النمل) و(النحل) و(التين) و(النور) و(الشمس) و(القمر) و(النجم) و(الدخان) و(الليل) و(الضحى) و(الرعد) و(الحديد).

٦ : وهناك أسامي حول العبادة (كالحج) و(السجدة).

٧ : وهناك أسامي حول الأخلاق، مثل (عبس) و(الماعون) و(الهمزة) و(المطففين).

٨ : وهناك أسامي حول السياسة والمجتمع والأصناف الاجتماعية، مثل (الشورى) و(الأحزاب) و(المؤمنون) و(الكافرون) و(المنافقون) و(الجمعة) و(النساء).

إلى غير ذلك مما لا داعي إلى التفصيل.

ولنفرض أن عقلاء العالم كانوا مكلفين بوضع أسامي السور، فهل كانوا يأتون بأفضل من هذه الأسامي، وما هي تلك الأفضل؟

وأما المواضيع المبثوثة في هذه السور، فلا يمكن أن يؤتى بأفضل منها، وإن قيل إنه يمكن، فالسؤال هو ما هو ذلك الأفضل.

فقد اشتمل القرآن الحكيم على:

١. وجود الله وصفاته وأسمائه.

٢. وعلى ذكر محمد (صلى الله عليه وآله وسلم)، وسائر الأنبياء (عليهم السلام)

المعددة أساميهم في القرآن الحكيم، وذكرت فيها قصصهم.

٣. وعلى ذكر الأوصياء والوراث للأنبياء وخلفائهم (عليهم السلام).

٤. وعلى ذكر المعاد والنشر والحشر والصراط والجنة والنار.

٥. وعلى ذكر موسى وعيسى ونوح وآدم وإبراهيم (عليهم السلام) وجملة من أنبياء بني إسرائيل بصورة مسهبة نوعاً، إذ آدم (عليه السلام) أول أنبياء وأول البشر، وموسى وعيسى (عليهما السلام) دينهما باق إلى الآن، ونوح وإبراهيم (عليهما السلام) أبوان للأنبياء، وهما أعلى مثل للاستقامة والدعوة في أظلم العصور.

٦. وعلى علوم الطبيعة وما وراء الطبيعة.

٧. وعلى العبادات من طهارة وصلاة وصوم وحج وخمس وزكاة وجهاد وأمر بالمعروف ونهي عن المنكر، والتولي لله وأوليائه، والتبري من أعداء الله وأعداء أوليائه، إن صح عد هذه الأربعة في العبادات.

٨. وعلى الأخلاقيات والاجتماعيات.

٩. وعلى المعاملات.

١٠. وعلى الأحوال الشخصية، من نكاح وطلاق وظهار وإيلاء ولعان وإرث وغيرها.

١١. وعلى الجنايات وعقوباتها.

١٢. وعلى الصناعة والزراعة والعمارة.

١٣. وعلى المحرمات.

١٤. وعلى تاريخ الأمم وأسباب الرقي وعلل السقوط.

إلى غير ذلك.

من أهم الواجبات تجاه القرآن

(**مسألة ١٤**): من أهم الواجبات بالنسبة إلى القرآن الحكيم أمران:

الأول: تفهم القرآن تفهماً كاملاً، وذلك بفهم هيكله العام الاستيعابي الذي قصده القرآن ابتداءً من المبدأ وانتهاءً إلى المعاد، إذ هذا التفهم هو الذي قصده القرآن الحكيم.

أما تفهم أمور الدنيا فقط من القرآن أو تفهم أمور الآخرة فقط من القرآن، أو التفهم المناسب لحال المتفهم فقط، فليس ذلك تفهماً للقرآن، ولا يوجب سعادة الدنيا والآخرة، فإنهما وجهان لعملة واحدة، فإن الله سبحانه داراً كبيرة يسمى قسم منها الدنيا وقسم منها الآخرة، فإذا تفهم الإنسان إحداهما فقط أضرت بالأخرى، كما ورد في الحديث: «الدنيا والآخرة ضرتان كلما أرضيت إحداهما أسخطت الأخرى»[1]، فإن فهم إحداهما أكثر من اللازم والعمل لها أكثر من القدر المقرر يوجبان إسخاط الأخرى والابتعاد عنها.

أما إذا تفهمهما حسب الحد المحدود لكل منهما فقد صح فهمه.

وكذلك من الباطل تفهم الإنسان للقرآن بحسب حاله، كأن يفهم المحارب حرب القرآن فقط، ويفهم المسالم سلم القرآن فقط، ويفهم

---

(١) انظر بحار الأنوار: ج٧٠ ص١٢٢ ب١٢٢ وفيه: وقال المسيح عليه السلام: «مثل الدنيا والآخرة كمثل رجل له ضرتان، إن أرضى إحداهما أسخطت الأخرى». وفي غوالي اللئالي: ج١ ص٢٧٧: عن رسول الله (صلى الله عليه وآله): «الدنيا والآخرة ضرتان بقدر ما تقرب من إحداهما تبعد عن الآخرى».

السياسي سياسة القرآن، والاقتصادي اقتصاد القرآن، والفقيه فقه القرآن، إلى غير ذلك، فإن كل واحد من تلك الأمور وحدها ليس قرآناً، وفهمه ليس فهماً للقرآن، بل ذلك مثل عين الإنسان أو فمه أو قلبه، فإن كل واحد من تلك الأمور ليس إنساناً، بل جزء الإنسان، وليس المقصود بهذا الكلام عدم صحة الاختصاص، بل المراد الاختصاص في إطار الفهم العام، يعنى أن يفهم القرآن ككل، ثم يكون له اختصاص في السياسة أو الفقه، أي يصرف أكثر فهمه في هذه الجهة، كالطبيب الذي يفهم الطب كإطار عام وإن كان يخصص نفسه للحلق والحنجرة مثلا حيث يفهم ذلك أكثر.

هذا بالنسبة إلى الفهم، أما بالنسبة إلى العمل فهو كذلك أيضاً، فالعمل يجب أن يكون مطابقاً للقرآن، لا أن يطبق القرآن على العمل، فالصلاة مطلوبة إلى جانب الجهاد، والصوم مطلوب إلى جانب الإنفاق، والزهادة مطلوبة إلى جانب تحصيل الدنيا وهكذا، فمن يتزهد معرضاً عن الدنيا فليس بزاهد، ومن يصلي بدون الإنفاق فليس بمصلّ، ومن يحارب لأجل إعلاء كلمة الله ثم يزني فليس بمجاهد، فلكل شيء حدوده، وكل إفراط وتفريط في تلك الحدود يخرج الإنسان عن كون عمله مطابقاً للقرآن.

ولذا قال سبحانه: ﴿إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ﴾[1]، فمن نراهم يأخذون بجانب من القرآن يناسب حالهم، ويتركون سائر الجوانب، بل لا يريدون فهم ذلك لئلا يتكدر حياتهم وأسلوب فكرهم ليسوا آخذين بشيء من القرآن، إذ القرآن مجموعة واحدة إن لم يؤخذ بشيء منه لم يكن أخذ به.

وأحسن مثال للاحتذاء في فهم القرآن والعمل به هم المعصومون (عليهم

(١) سورة المائدة: ٢٧.

السلام) حيث فهموا القرآن كما أراده الله تعالى، «إنما يعرف القرآن من خوطب به»[١] وكانوا يردعون عن فهم بعض القرآن، وقد عملوا بالقرآن حق عمله: «أشهد أنك تلوت الكتاب حق تلاوته»[٢]، والتلاوة من (ولي) أي تولوه فهماً وعملاً.

ثم لا يخفى أن المشاهد في جملة من المتدينين أنهم يعملون بكل الاتجاهات وحدها وحدها، فإذا سئل أحدهم عن وجه عمله، كل واحد منهم يوجه عمله بأنه كعمل المعصوم الفلاني فأحدهم يزارع كما زرع أمير المؤمنين (عليه السلام)، وأحدهم يسالم كما سالم الإمام الحسن (عليه السلام)، وأحدهم يحارب كما حارب الإمام الحسين (عليه السلام)، وأحدهم يأخذ في الزهد كالإمام السجاد (عليه السلام)، وأحدهم يأخذ في الفقاهة كما كان يفعله الإمام الصادق (عليه السلام)، إلى آخره.

ولا شك أنه خطأ وعدم فهم، فإن عمل الأئمة (عليهم السلام) كان حسب الظروف، لا حسب الاتجاهات، فإذا توفرت ظروف الإمام الصادق للإمام الحسين (عليهما السلام)، كان الحسين (عليه السلام) كالصادق (عليه السلام) في التفقيه والتعليم، وإذا توفرت ظروف الإمام الحسين للإمام الصادق (عليهما السلام)، كان الصادق (عليه السلام) كالحسين (عليه السلام) في الجهاد بالسيف، إلى غير ذلك.

ولو اجتمع كل الأئمة (عليهم السلام) في زمان واحد، كان لهم دور واحد، لا أدوار متعددة، فالمهم أن يفهم الإنسان الظرف الذي يعيشه ثم

---

(١) الكافي: ج٨ ص٣١١ ح٤٨٥.

(٢) انظر مستدرك الوسائل: ج١٠ ص٢٢٦ ب٢٣ ح١١٩٠٥.

يعمل بوحي ذلك الظرف، فالرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) هو الرسول في مكة والمدينة، لكن عمل في كل ظرف حسب وحيه، والحسنان (عليهما السلام) لهما منهج واحد لكن عمل كل منهما حسب ظرفه، هذا (عليه السلام) هادن ليربي المجاهدين، وذلك (عليه السلام) جاهد بعد أن توفرت ظروفه، وعلي (عليه السلام) في زمان الثلاثة وبعدهم واحد، لكن عمل في كل زمان حسب وحي ظروفه، إلى غير ذلك.

ثم إن فهم الدور شيء صعب يحتاج إلى البحث والتنقيب، فإذا اقترن ذلك بحسن النية لابد وأن يصل الإنسان إلى حقيقة ظرفه وواجبه تجاه ذلك.

نعم أحياناً يكون الدور لكل حسب عمله، وإن كانوا في زمان واحد، فمثلاً المنظمة التي تعمل في سبيل الإسلام ذات الفروع الثقافي والسياسي والاقتصادي والعمراني والتنظيمي، لكل فرع دوره، وإن كان الجميع في اتجاه واحد وخدمة واحدة، كالوزراء لحكومة واحدة الذين لكل دوره وإن كانوا جميعاً يهدفون هدفاً واحداً ويسيرون إلى مقصد واحد، ولذا قال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) لعبد الله وأصحابه في حرب أُحُد: ألزموا الجبل، غَلبنا أو غُلبنا.

الفهم الصحيح للقرآن

(**مسألة ١٥**): يجب فهم القرآن كما أراد القرآن فهم نفسه، بأن يكون الفهم في صلب الموضوع، عميقاً، لا الفهم الهامشي أو السطحي، ويجمع الأمرين فهم مراد الله سبحانه، وبعد ذلك لا يهم الهامش ولا خصوصيات السطح، وقد حرض القرآن بنفسه أن يلقن المسلم هذا الدرس، انظر إلى هذه الآيات:

١. ﴿يَسْئَلُونَكَ ما ذا يُنْفِقُونَ قُلْ ما أَنْفَقْتُمْ مِنْ خَيْرٍ فَلِلْوالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ﴾[1].

٢. ﴿يَسْئَلُونَكَ عَنِ الْأَهِلَّةِ قُلْ هِيَ مَواقيتُ لِلنَّاسِ وَالْحَجِّ﴾[2].

٣. ﴿وَ يَسْئَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي﴾[3].

٤. ﴿سَيَقُولُونَ ثَلاثَةٌ رابِعُهُمْ كَلْبُهُمْ﴾ ... إلى قوله تعالى: ﴿قُلْ رَبِّي أَعْلَمُ بِعِدَّتِهِمْ﴾[4].

إن الأسئلة كانت وجيهة فمماذا ينفق، من الدينار أو الدرهم أو اللباس أو الطعام؟ وما هو سبب اختلاف الهلال إلى أن يكون بدراً ثم يتناقص حتى

---

(١) سورة البقرة: ٢١٥.

(٢) سورة البقرة: ١٨٩.

(٣) سورة الإسراء: ٨٥.

(٤) سورة الكهف: ٢٢.

المحاق؟، وما هي حقيقة الروح التي هي نصف الإنسان؟ وكم كان عدد أصحاب الكهف الذين آثروا الحق على الباطل ولم يكن لهم من القوة والمنعة إلاّ كلبهم الذي كان يحرسهم من شر الأعداء والوحوش؟

لكن القرآن الحكيم أضرب عن جواب كل تلك الأسئلة الوجيهة، ليبين أن الأهم هو صلب الموضوع لا الهوامش.

فليس المهم ما ذا ينفق الإنسان، وإنما المهم أين يضع إنفاقه، فإذا أعطى ألف دينار لغير المستحق لا يعد شيئاً، بينما إذا أعطى تمرة في موضع العطاء كان ذلك محبوبا عند الله، ولذا قال (صلى الله عليه وآله وسلم): «اتقوا الله ولو بشق تمرة»[(١)].

وليس المهم أن تعلم لما ذا الأهلة وحالاتها، إنها مهمة فلكية ذكرها علماء الفلك، وإنما المهم أن تضبط مواعيدك مع الناس، وشرائع دينك، بسبب هذه الأهلة.

وليس المهم ما هو الروح، وإنما المهم أن تعلم أنه من الله، حتى تصرفه في طاعاته.

وليس المهم عدد أصحاب الكهف، وإنما المهم أن تعرف كيف أنهم آثروا الحق على الباطل.

إن القرآن مع إمكانه أن يجيب عن الأسئلة فيقول: (أنفقوا من كل شيء حسن) ويقول: (الأهلة لاختلاف وضع الشمس والقمر والأرض في المسير) ويقول: (الروح جوهر لطيف كالماء في الورد، أو كالنور في المصباح) ويقول: (إنهم كانوا عشرة مثلا) ترك كل ذلك، بل أحياناً ذكر الكلام

---

(١) روضة الواعظين: ج٢ ص٣٤٥.

الأطول من الجواب، مثل: ﴿**سيقولون ثلاثة ...**﴾[١] إلخ، مع إمكانه أن يقول: (اختلفوا في عددهم) لكن لم يفعل ذلك، تنبيهاً على أن المقصود من القرآن هو الأمر الأهم، بينما ترى الناس يشتغلون بالمهم أو بما لا أهمية له، فهذا يقول: ثلاثة ورابعهم كلبهم، وذاك يقول: خمسة وسادسهم كلبهم، وإلى آخره، كان المهم لديهم العدد وذكر الكلب في منازعاتهم، ككثير من أهل كل زمان، حيث يتركون اللباب ويشتغلون بالتوافه.

مثلا: يشتغلون في أن (جامعة بغداد) هل مديرها سيد أو غير سيد، ويستدل كل لرأيه، ويصرفون أوقاتهم في نسبه وموطن عائلته، بينما اللازم أن يشتغلوا في أنه كفوء أم لا، وإذا ظهر أنه ليس بكفوء، ما هو طريق تنحيته ليشتغل مكانه إنسان كفوء.

إنه لا إشكال أنه ما يفعله التفاسير من التحقيق في هذه الموضوعات الهامشية شيء حسن وجميل، لكن يجب أن لا يكون ذلك على حساب القرآن الحكيم وفهمه والعمل به ونشره في المجتمع.

هذا بالنسبة إلى (صلب الموضوع وهامشه) أما بالنسبة إلى (العمق والسطح) فإنا نجد في قصة آدم وحواء (عليهما السلام) رمزاً:

١. إلى أن الإنسان ذو بعدين، بعد المادة وبعد الروح، ﴿**إِنِّي خالِقٌ بَشَراً مِنْ طِينٍ، فَإِذا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فيهِ مِنْ رُوحي**﴾[٢] بينما سائر الأشياء حتى أفضلها وهم (الملائكة) ذو بعد واحد، وسائر الأشياء وإن كانت لها نوع طاعة ومعصية لكنها لا تصل إلى الإنسان في السمو.

---

(١) سورة الكهف: ٢٢.

(٢) سورة ص: آية ٧١.

وفي الحديث القدسي: «خلقت الأشياء لأجلك وخلقتك لأجلي»[١]، وواضح «لأجلي» لا لاحتياجه تعالى، بل لاحتياج الإنسان إليه، لأنه كلما كان أقرب إليه تعالى كان أفضل.

٢. وإلى أن الإنسان يستوعب من العلم ما لا يستوعبه غيره، قال تعالى: ﴿وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْماءَ﴾[٢] ولم يكن ذلك إلاّ تعليماً لقابل للعلم، وإلا كان للملائكة أن يعترضوا ويقولوا: (علّمنا يا رب حتى نكون كآدم) فالمسألة مسألة القابلية، لا مسألة التعليم.

لا يقال: كان للملائكة أن تقول: اجعلنا قابلاً لنعلم يا رب كما جعلت آدم قابلا.

لأنه يقال في جوابهم: من اللازم أن يعطى كل ممكن للعطاء حقه، وصنع نوع الملائكة ممكن قابل للعطاء فجعلهم كآدم معناه عدم خلق الملائكة، وذلك خلاف الفيض المطلق.

٣. وإلى أن الإنسان له الاختيار، حيث عصى وتاب.

إلى غير ذلك من الأمور، مثل: إن آدم عليه السلام والشيطان كلاهما عصيا، ﴿فَلَمّا ذاقَا الشَّجَرَةَ بَدَتْ لَهُما سَوْآتُهُما﴾[٣]، ﴿فَسَجَدَ الْمَلائِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ إِلاّ إِبْلِيسَ﴾[٤]، لكن آدم عليه السلام تاب ﴿فَتَلَقَّى آدَمُ مِنْ رَبِّهِ كَلِماتٍ فَتابَ عَلَيْهِ﴾[٥]، والشيطان بقي على عصيانه وتمرده ﴿قالَ أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ خَلَقْتَني

---

(١) رسائل المحقق الكركي: ج٣ ص١٦٢ المسألة١٢.

(٢) سورة البقرة: ٣١.

(٣) سورة الأعراف: ٢٢.

(٤) سورة الحجر: ٣٠.

(٥) سورة البقرة: ٣٧.

مِنْ نَارٍ وَخَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ﴾[١].

ومثل: إن الإنسان قابل لتحمل أمانة الله، وليس كذلك ما عداه، وبتحمله الأمانة أصبح قابلا لأن يكون خليفة الله ومورد عنايته، **﴿إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّماوات وَالْأَرض وَالْجِبالِ فَأَبَيْنَ أن يَحْمِلْنَها وَأَشْفَقْنَ مِنْها وَحَمَلَهَا الْإنسان إِنَّهُ كانَ ظَلُوماً جَهُولاً﴾**[٢]، حمل ثم جهل قدر الأمانة فظلم نفسه، أو ظلم نفسه بتجاهله قدر الأمانة، والأمانة شاملة لكل شيء يؤتمن عليه الإنسان، من روح وبدن ومال وأهل ودين وغيرها.

وهنا فذلكة لا بأس بالإشارة إليها، وهي أنه أراد الله من أول يوم أن يجعل في الأرض خليفة، فلماذا هذه المقدمات؟

والجواب: المقدمات لأجل تذكير الإنسان بحقائق أول الخلق، ليتهيأ الإنسان نفسياً للطاعة، وللمهمة التي خلقت لها، وهي عبادة الله ليكون له السعادة الكاملة.

ومثل: إن الحرام قليل بالنسبة إلى الحلال، إذ أباح الله لآدم الأكل من كل شجرة إلا شجرة واحدة، وهل يحق للإنسان أن يرتكب الحرام، وهو يجد متسعاً في الحلال.

ومثل: إن البشر بنفسه طيب ويكون في الطريق المستقيم، وإنما المؤثرات الخارجية تحرفه كما حرف الشيطان آدم (عليه السلام).

ومثل: إن الإنسان بعد العصيان والانحراف يجب عليه أن يبادر إلى التوبة والاستقامة، وأنه سبحانه غفار لمن تاب وآمن.

---

(١) سورة الأعراف: ١٢.

(٢) سورة الأحزاب: ٧٢.

ومثل : إن الإنسان لا يفعل الحرام غالباً لحاجة أساسية، وإنما يأتي بالحرام حرصاً وغروراً وكبرياءً، فإن الشيطان لم يرتكب الحرام لحاجة، وآدم لم يرتكب ترك الأولى لحاجة.

إلى غير ذلك من الرموز والدروس المنبهة التي يجب على المتأمل في القرآن أن يلاحظها، دون أن يلاحظ هيكل القصة فحسب، قال سبحانه: ﴿لَقَدْ كانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِأُولِي الْأَلْبابِ﴾[1].

كما تجد في قصة إبراهيم (عليه السلام) رمزاً للجهاد والبطولة بمختلف ألوانها من جهة:

١. تعريض النفس لازدراء المجتمع، إذ الأصنام كانت معبودة للجماهير، فمسها بسوء تعريض للنفس بازدرائهم وإهانتهم ومقاطعتهم حتى ورد أنه: لما وضع (عليه السلام) في المنجنيق ليرمى به جاءه (آزر) ولطمه على وجهه، وقال له: ألم أقل لك يا إبراهيم أن لا تفعل ذلك، فهل كنت تريد هذه النتيجة.

٢. وتعريض النفس للقتل بأبشع أقسامه وهو الإحراق.

٣. وتعريض النفس لمغادرة الوطن والغربة.

٤. وتعريض الأهل للاعتداء، حيث أراد بعض الكفار مس زوجته بسوء فنجاها الله منها.

٥. وتعريض الأهل إلى مختلف المخاطر، فإن في وضعه (عليه السلام) زوجته هاجر وولده إسماعيل بواد غير ذي زرع لأجل رضاه سبحانه من أخطر الأمور، خطر اللص، وخطر الموت، وخطر العرض، وخطر

(١) سورة يوسف: ١١١.

المرض، وخطر الجنون.

وفي الحديث إنه (عليه السلام) لما أخذه جبرئيل (عليه السلام) من فلسطين إلى مكة، كلما مر بواد فيه زرع ونهر سأل جبرئيل هل هنا أنزل، قال له جبرئيل (عليه السلام): لا، حتى وصلوا إلى مكة[١].

والظاهر أن تلك الأراضي كانت لأقوام، وما كان يمكن التبليغ وإظهار الدعوة هناك، كما نعلم أن الأقوام لا يرتضون بسكنى من ليس على ملتهم في أراضيهم فلم يجدوا إلاّ أرض مكة، حيث كانت خالية عن الأقوام ولم تكن لأحد سيطرة عليها، وكان إبراهيم (عليه السلام) دائم التطواف بين فلسطين ومكة.

ومن الواضح أن مثل هذه الأسفار الدائمة فيها من المشاق ما لا يتحمل، كما أن من الواضح أن مثل إبراهيم (عليه السلام) لا يترك التبليغ أين حل أو ارتحل، وعليه فلا يبعد أن كان اتخذ سفره بينهما سفر تبليغ وهداية.

٦. بذله أمواله في سبيل الهداية، فإن كونه (عليه السلام) مضيافاً معناه أنه كان يصرف أمواله في هذا الشأن، كما أنه استعد أن يبذل أمواله في سبيل ذكر شخص اسم الله تعالى، كما في قصة معروفة.

٧. تعريضه ولده للقتل بيده قرباناً لله سبحانه، على ما جرت عليه مراسم أقوام ذلك الزمان، حيث إن بعضهم كان يقتل ولده، وبعضهم كان يلقيه في النار، وبعضهم كان يلقيه في بئر ماء، وبعضهم كان يلقيه من شاهق، وقد شاءت إرادته تعالى أن يجعل عمل إبراهيم (عليه السلام) مقدمة لمنع قتل الأولاد.

---

(١) انظر تفسير القمي: ج١ ص٦٠.

إن كل ذلك حقائق، وفي نفس الوقت رموز للإنسان المؤمن بالله، الذي لا يبالي بأي شيء في سبيل الحق، حتى يكون هو وحده (أمة) وإن كان كل البشر بمجموعهم أمة أخرى، إن مثل هذه الصلابة في الحق هو الذي جعل إبراهيم (عليه السلام) مورد احترام أهل العالم من اليهود والنصارى والمجوس والمسلمين، بل وكثير من غير أهل الأديان أيضاً، وقد طلب إبراهيم (عليه السلام) ذلك من الله، حيث قال: ﴿**وَاجْعَلْ لي لِسانَ صِدْقٍ فِي الْآخِرِينَ**﴾[1]، ليكون أسوة في التوحيد وفي العمل لأجل الحق.

وكذلك نجد في قصة يوسف (عليه السلام) مجموعة من الرموز المرتبطة بالحياة العائلية:

١. علاقة الأب بالأولاد.

٢. وعلاقة الزوجين والقضايا الجنسية وأخطارها.

٣. ونتيجة الأمانة في الأعراض والخيانة فيها.

إلى رموز أخر:

ألف: فيعقوب (عليه السلام) كان يطفح منه حب أزيد بالنسبة إلى يوسف (عليه السلام) وأخيه، ﴿**إذ قالُوا لَيُوسُفُ وَأَخُوهُ أَحَبُّ إلى أَبينا مِنّا**﴾[2]، ولعل هذا هو سبب مشاكل العائلة، حتى أن الأب لو أحب بعض أولاده أكثر من غيره يلزم عليه أن يحفظ السطح على نحو متساو، لئلا يطغى بعضهم على بعض.

ومن الواضح أن يعقوب (عليه السلام) كان يعلم ذلك، لكنه وقع في

(١) سورة الشعراء: ٨٤.

(٢) سورة يوسف: ٨.

محذور الأهم والمهم، فلعله أراد إعطاء المحسن حقه، كما قال الإمام أمير المؤمنين (عليه السلام): «لا يكونن المحسن والمسيء عندك بمنزلة سواء»[1]، ولذا أظهر حب يوسف (عليه السلام).

ويؤيد ذلك ما ورد أن إنساناً قال ليعقوب (عليه السلام): لماذا تفضل يوسف (عليه السلام)، قال يعقوب: انظر لماذا، ثم نادى يعقوب أحد أولاده وقال له: إن اعتدى عليك أحد فماذا تفعل، قال الولد: أقابل بالمثل، ثم سأل يعقوب (عليه السلام) سائر الأخوة نفس السؤال وأجابوا بنفس الجواب، ثم نادى يعقوب (عليه السلام) يوسف وقال له: إن اعتدى عليك إنسان فماذا كنت تفعل، قال: كنت أعفو عنه، قال يعقوب (عليه السلام): فإن اعتدى مرة ثانية، قال يوسف (عليه السلام): كنت أعفو عنه، وفي المرة الثالثة قال يوسف نفس الجواب، قال يعقوب (عليه السلام) لذلك الإنسان السائل: أرأيت لماذا أفضل هذا على أولئك، فاللازم على الإنسان أن لا يفضل أحداً على أحد إلاّ إذا كان هناك أمر أهم.

ب. والأخوة حسدوا يوسف بلا حق، وكان ذلك سبب فضحهم إلى الآن منذ أكثر من أربعة آلاف سنة، مما يدل على وجوب كبت الإنسان عواطفه الجياشة التي ينساق إليها تبعاً للهوى، وإلا كانت العاقبة الفضيحة.

ج. ويعقوب (عليه السلام) بكى على يوسف (عليه السلام) تلك المدة الطويلة ﴿حتى **ابْيَضَّتْ عَيْنَاهُ مِنَ الْحُزْنِ**﴾[2]، مع علمه بأنه حي وأنه سوف يملك البلاد، وذلك لإظهار النفرة عن قطع الرحم، وللإعلام ببشاعة حسد بعض

(١) نهج البلاغة: الكتاب ٥٣.

(٢) سورة يوسف: ٨٤.

الأخوة على بعض، وعدوان بعضهم على بعض، وإلا فمن الواضح أن النبي لا ينساق وراء العاطفة بمثل هذا الانسياق الذي لا يليق حتى بالفرد العادي، فكيف بالنبي الذي هو أوسط الناس وأعقلهم وقدوتهم في كل شيء.

د. ثم يأتي دور خيانة زليخا والنسوة ليبين قوة الجنس ووجوب التحرز عن مواقع الانزلاق، فلا يحق لإنسان غيور أن يترك في داره أو ما أشبه ما يوجب الريبة من فتى يخاف منه على فتياته، أو فتاة يخاف منها على فتيانه.

ه. ثم التنبيه على أن الخيانة الجنسية لا بد وأن تنكشف، فالذي يحترم نفسه لابد وأن يتجنب ذلك بكل قوة.

و. كما أن الأمانة الجنسية لابد وأن تنكشف، فعلى الإنسان أن يحفظ نفسه لحسن عاقبته.

ز. كما أن عاقبة المضطهدين إذا أضبطوا أنفسهم وخافوا الله في السر والعلن أحسن العواقب، فـ:

للمتقين من الدنيا عواقبها وإن تعجل فيها الظالم الآثم.

إلى غيرها من الرموز والعبر التي تبقى حية ما دام الإنسان في هذه الحياة.

إلى غير ذلك من القصص المذكورة في القرآن الحكيم وهي حقيقية وفي نفس الوقت رموز إلى معان سامية وأهداف عالية، ولأجل إعطاء الإنسان الرشد الفكري والدرس العملي، ليتخذ من أبطال تلك القصص أسوة في مختلف مسارب الحياة الملتوية الحالكة.

البصائر التاريخية القرآنية

(**مسألة ١٦**): يجب الاستبصار بالبصائر التاريخية المذكورة في القرآن الحكيم، قال سبحانه: ﴿**قَدْ جاءَكُمْ بَصائِرُ مِنْ رَبِّكُمْ فَمَنْ أَبْصَرَ فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ عَمِيَ فَعَلَيْها وَمَا أَنَا عَلَيْكُمْ بِحَفيظٍ**﴾[1]، إذ في عدم الاستبصار عمى وهو محرم.

ويدل عليه بالإضافة إلى الكتاب السنة المتواترة والإجماع والعقل، فإن في عدم الاستبصار بها الدمار والهلاك، والعقل يرى في ذلك أشد القبح، وقد نقل القرآن الحكيم قصة أمم سادت ثم بادت وتاريخ حضارات قامت ثم دمرت، وفي الغالب ينقل القرآن أسباب الدمار لا أسباب القيام، لوضوح أن قيام الأمم طبيعي، إذ الإنسان بطبعه المدني يتألف مع بني جنسه، ويأخذ بعضهم يتعاون مع بعض في بناء الحضارة. أما هلاك الأمم فهو غير طبيعي، إذ اللازم الامتداد لا الدمار، ولذا يبين القرآن الحكيم أسباب الدمار.

ثم لا يخفى الفرق بين المدنية والحضارة، فالمدينة هي الارتباط بالمدينة وذلك يحصل في مختلف الأنظمة، أما الحضارة فهي عبارة عن العقلات الاجتماعية التي تربط بعض الناس ببعض، مثلا في مكة كان لكل من المسلمين والمشركين مدنية، لربط كلتا الطائفتين بالمدينة في قبال البادية، وإنما كان الفرق بين الحضارتين حضارة الإسلام المبنية على الاعتقاد بالله وإطاعة أوامره، وحضارة المشركين المبنية على الشرك وإطاعة الكبراء إن صح أن

(١) سورة الأنعام: ١٠٤.

نسمي في مكة الشرك حضارة، ومثال آخر في عالم اليوم فلكل من الكتلة الشيوعية والكتلة الرأسمالية حضارة خاصة بها، بينما أن كلتيهما شريكتان في المدنية.

وكيف كان فالحضارة الإسلامية هي المبنية على الأساسين السابقين، بينما الحضارة الكافرة دائما تبنى على الأسس المادية وتتبعها إطاعة الكبراء، ولذا صار المسلمون أمة واحدة في كل زمان ومكان، ﴿**قُولُوا آمَنَّا بِاللهِ وَما أُنْزِلَ إِلَيْنا وَما أُنْزِلَ إِلَى إِبْراهِيمَ وَإِسْماعِيلَ وَإِسْحاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْباطِ وَما أُوتِيَ مُوسى وَعِيسى وَما أُوتِيَ النَّبِيُّونَ مِنْ رَبِّهِمْ لا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ**﴾[١].

وقال سبحانه: ﴿**وَإِنّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً واحِدَةً وَأَنا رَبُّكُمْ**﴾[٢].

كما صار الكفار أمة واحدة في كل زمان ومكان.

قال سبحانه: ﴿**لا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصارى أَوْلِياءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِياءُ بَعْضٍ**﴾[٣].

وفي الكلمة المشهورة: (الكفر كله ملة واحدة)[٤].

وهذا الفارق بين الإسلام والكفر هو الذي سبب ارتطام الكفر دائماً في أبشع المشاكل، وتزداد المشكلة في الحضارات الكافرة ثم تزداد إلى أن تنهار.

والغريب في الأمر أنها إن لم تنهر بنفسها تدخل الله سبحانه فأبادها

---

(١) سورة البقرة: ١٣٦.

(٢) سورة المؤمنون: ٥٢.

(٣) سورة المائدة: ٥١.

(٤) متشابه القرآن: ج٢ ص١٨٦.

بوسائل غيبية إذ لم تصلح بعد للبقاء كالشجرة إذا يبست تدخل الإنسان في قطعها، كما أن الحضارة الإيمانية إذا لم تتمكن هي من الاستمرار، لخنق الحضارة الكافرة لها، تدخل الله سبحانه لنصرتها بوسائل غيبية كالإعجاز وإنزال الملائكة، كما تكرر قصص الأمرين في القرآن في أكثر من موضع، وهذا التدخل من الله سبحانه أكبر بشارة للمؤمنين، كما أنه أكبر إنذار للكافرين، ﴿**وَيُبَشِّرَ الْمُؤْمِنِينَ الَّذينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْراً حَسَناً ماكِثِينَ فيهِ أَبَداً * وَيُنْذِرَ الَّذينَ قالُوا اتَّخَذَ اللهُ وَلَداً**﴾[(١)].

ثم إن الله تعالى جعل آثار تلك الحضارات الزائلة باقية، لتكون حكاية عن عذاب الله سبحانه لأولئك الأمم الذين عتوا عن أمر ربهم، ففي بغداد (آثار كسرى)، وفي بابل (آثار نمرود)، وفي شيراز (آثار جمشيد)، وفي مصر (آثار فرعون)، وفي فلسطين (آثار قوم لوط)، ﴿**وَإِنَّكُمْ لَتَمُرُّونَ عَلَيْهِمْ مُصْبِحِينَ**﴾[(٢)]، ﴿**وَإِنَّها لَبِسَبيلٍ مُقيمٍ**﴾[(٣)].

والقرآن الحكيم يذكر قصة بعض تلك الحضارات وأسباب زوالها، وإن كانت كل تلك الحضارات تشترك في شيء واحد هو بنفسه سبب زوالها، وهو كون منطلق تلك الحضارات (المادة)، بخلاف حضارة السماء، حيث إن منطلقها (القيم المعنوية) وهو سبب بقائها، والمعادلة واضحة، فإن (المادة) شيء محدود، فإذا كانت هي المثل الأعلى للإنسان، لا بد وأن تتوفر الدواعي لاقتنائها، فيقع التنازع والتخاصم الذي هو سبب الفناء، ﴿**وَلا**

(١) سورة الكهف: ٣ و٤.

(٢) سورة الصافات: ١٣٧.

(٣) سورة الحجر: ٧٦.

تَنازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ﴾[1].

وهذا بخلاف القيم، فإنها غير محدودة فلا توجب التنازع، ولذا تبقى الحضارة المبنية على القيم، فإذا كان الزرع أو الضرع أو الأرض أو المعدن أو البحر أو المرأة أو الملك أو الذهب والفضة، مطمح الإنسان وغاية مسعاه، فبما أنها محدودة لابد وأن يقع النزاع في اقتنائها، أما إذا كان مطمح الإنسان تحصيل رضى الله سبحانه وخدمة عباده وبلاده كما أمر سبحانه، كان ذلك سبباً لحل الخلافات، بله إنه يمنع أي خلاف.

هذا بالإضافة إلى أن الحضارة المبنية على المادة تزول بزوال تلك المادة، بخلاف الحضارة المبنية على الإيمان، حيث لا زوال لله سبحانه، فإذا كانت حضارة مادية بنيت على (الماء) كقصة **(سبأ)** زالت الحضارة بزوال السد، وإذا كانت حضارة مبنية على المزارع والمراتع زالت بزوالهما، وهكذا الحضارة المبنية على (الذهب) و(السلاح) وغيرهما، ولذا نرى تساقط الحضارات المادية في زماننا، كحضارة هولندا وفرنسا وبريطانيا وغيرها، والآن أخذت تتهاوى حضارة أمريكا وروسيا، وإني أرى أنه لا يمر نصف قرن، إلاّ وأن تكون هاتان الحضارتان أحاديث، بإذن الله تعالى.

كما أن الحضارة المادية التي غزت العالم منذ قرن، أخذت تهتز هزات عنيفة لتهوى عن قريب، على ما هو سنة الله في الحياة، ﴿**وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ اللهِ تَبْديلاً وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ اللهِ تَحْويلاً**﴾[2]، فكما أن الثلج لا يتبدل من البرودة إلى الحرارة، ولا يتحول برودته إلى النار مثلا، كذلك كل سنة الله في الكون،

(١) سورة الأنفال: ٤٦.

(٢) سورة فاطر: ٤٣.

لاتتبدل إلى ضدها، ولا تتحول من مكان إلى مكان آخر.

حضارات بائدة

ثم إنه لا بأس بالإشارة إلى بعض ما ذكره القرآن الحكيم من قصص الحضارات البائدة، وأنها لماذا سقطت، وكيف سقطت.

ففي قصة لوط (عليه السلام) يقول القرآن الحكيم: ﴿**وَلُوطاً إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الْفاحِشَةَ ما سَبَقَكُمْ بِها مِنْ أَحَدٍ مِنَ الْعالَمِينَ أَ إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الرِّجالَ وَتَقْطَعُونَ السَّبِيلَ وَتَأْتُونَ فِي نادِيكُمُ الْمُنْكَرَ**﴾[١]، التحلل والظلم والفساد كان ديدنهم والتحلل بدوره يوجب انقطاع النسل، بأن تبقى النساء فارغة، وقطع السبيل بدوره يوجب نضوب المال لانقطاع التجارة، والمنكر في النوادي بدوره يوجب سقوط الثقة بين المجتمع، مما توجب انفصام الروابط الاجتماعية.

ولو أنه سبحانه لم يكن تدخل غيبياً لإنهاء حياتهم، لانتهت هي تلقائياً بعد زمان قصير، لكن أراد أن يبين قهره وغضبه ليكونوا عبرة لمن يأتي، ﴿**إِنَّا مُنْزِلُونَ عَلى أَهْلِ هذِهِ الْقَرْيَةِ رِجْزاً مِنَ السَّماءِ بِما كانُوا يَفْسُقُونَ**﴾[٢]، ﴿**فَجَعَلْنا عالِيَها سافِلَها**﴾[٣]، كما جعلوا هم عالي الاجتماع ـ احترام المرأة واحترام الغريب واحترام الروابط الاجتماعية بأن لا يأتوا بالمنكر في ناديهم ـ سافله، ﴿**وَأَمْطَرْنا عَلَيْها حِجارَةً مِنْ سِجِّيلٍ**﴾[٤]، إن أحجارهم المعنوية

---

(١) سورة العنكبوت: ٢٨ .

(٢) سورة العنكبوت: ٣٤.

(٣) سورة هود: ٨٢.

(٤) سورة هود: ٨٢.

التي أمطروها على الشبان والنساء والغرباء والمجتمع تحولت إلى أحجار مادية، فأمطروا بها زيادة في عذابهم، وهكذا انتهت حضارتهم على يد أنفسهم.

وفي قصة شعيب (عليه السلام) يقول القرآن الحكيم: ﴿**وَإِلى مَدْيَنَ أَخاهُمْ شُعَيْباً**﴾ إلى قوله سبحانه: ﴿**أَوْفُوا الْكيلَ وَالْميزانَ بِالْقِسْطِ وَلا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشياءهُمْ وَلا تَعْثَوْا فِي الْأَرض مُفْسِدينَ**﴾[1]، تحريف الاقتصاد ببخس الناس أشيائهم مثل عدم إعطاء العامل والفلاح حقه، والإفساد كان سلوكهم.

ومن الواضح أن هذه الأمور كلها توجب انهيار الاجتماع، حتى إذا لم يتدخل العذاب الغيبي في إنهاء حياتهم، لكن العذاب تدخل ذكرى وعبرة، ﴿**فَأَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ فَأَصْبَحُوا في دارِهِمْ جاثِمينَ**﴾[2]، فكما أنهم لم يتحركوا نحو الهداية، جثموا في دارهم كالصخور التي لا تتحرك، وكما كانوا يرجفون بالمجتمع ويهزونه بالفساد، ويصيحون على الناس، كما قال سبحانه: ﴿**وَلا تَقْعُدُوا بِكُلِّ صِراطٍ تُوعِدُونَ وَتَصُدُّونَ عَنْ سَبيلِ اللهِ مَنْ آمَنَ بِهِ**﴾[3] أخذتهم الرجفة، فكان العذاب من جنس العمل، كما قال تعالى: ﴿**إِنَّما تُجْزَوْنَ ما كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ**﴾[4].

إلى غيرها من القصص المذكورة في القرآن الحكيم.

---

(١) سورة هود: ٨٤ ـ ٨٥.

(٢) سورة الأعراف: ٧٨.

(٣) سورة الأعراف: ٨٦.

(٤) سورة التحريم: ٧.

المنزلة الواقعية للقرآن

(**مسألة ١٧**): يجب تنزيل القرآن منزلته الواقعية، إذ هو مقتضى وجوب اتباعه وادّكاره، قال سبحانه: ﴿**وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَّكِرٍ**﴾[١]، إلى سائر الآيات والروايات الدالة على الأمرين.

إن الإذكار واجب نفسي، بالإضافة إلى كونه مقدمة للاتباع، ولا يجوز الزعم بأن القرآن ليس قابلاً للفهم وإنما فهمه خاص بالأئمة الطاهرين (عليهم السلام)، إذ ذلك خلاف متواتر الآيات والروايات، ونحن في غنى عن تفصيل الكلام حول ذلك بما ذكره الشيخ المرتضى (رحمه الله) في أول الرسائل.

كما لا يحوز الزعم بأن القرآن كتاب لا يحتاج إلى الدراسة والتعلم مطلقاً، حتى أن لكل أحد أن يأخذ القرآن ويستخرج منه المعلومات والأحكام، وإن زعم بعض ذلك بحجة أنه كتاب أنزل لكل البشر فلا وجه لأن يكون خاصاً بالعلماء فقط، وأن المسلمين الأولين كانوا يفهمون الأحكام من نفس القرآن ويعملون بها بدون إرشاد مرشد وتعليم معلم.

إذ يرد على الأول: النقض بالمسلمين غير العرب، حيث لم يكونوا ولا في الحال يفهمون القرآن إلاّ بالتعلم، فكما جاز أن يحتاج غير العرب إلى التعلم جاز أن يحتاج العرب إلى التعلم.

والحل أولاً: بأنه من الواضح أن كل العرب لا يفهمون القرآن إلاّ

(١) سورة القمر: ١٧.

بعضه.

وثانياً: إن في القرآن متشابهات، كما نص هو بذلك، والمتشابه لا يعلمه إلاّ الله والراسخون في العلم[١]، فاللازم الرجوع إليهم.

وثالثاً: إنه لكل البشر، معناه عود فائدته إليهم، لا أن كل أحد يفهم كله.

ورابعاً: إنه لكل البشر في الجملة، أي أن كل البشر يفهم ولو بمعونة ترجمته لغير العرب، الأمور العامة منه، مثل التوحيد والعدل والنبوة والإمامة والمعاد، وجملة من الأخلاقيات وبعض رؤوس الأحكام والمعاملات والعبادات، وهذا لا يغني المسلم ولو كان عربياً عن تعلّم أحكامه وسائر علومه.

وعلى كل حال، فكلا القولين بمعزل عن التحقيق، يكذبهما بالإضافة إلى ما عرفت من الأجوبة أحوال المسلمين الأولين، حيث دل التاريخ المتواتر على أنهم كانوا يفهمون بعض علوم القرآن وأحكامه دون بعض، فلم يكونوا لا يفهمون أصلا، كما لم يكونوا يفهمون كل شيء من القرآن.

ومما تقدم ظهر أن الواجب على المسلمين أن يكونوا في أنفسهم جملة من حملة علوم القرآن بقدر كفاية حاجة المسلمين، وكفاية نشره في مشارق الأرض ومغاربها، وحيث إن قدر الكفاية لا يوجد الآن بالنسبة إلى المسلمين أنفسهم فكيف بالنسبة إلى غيرهم، وجب الاهتمام لذلك حتى تصل الجملة إلى قدر الكفاية.

هذا بالإضافة إلى استحباب ذلك عيناً لكل مسلم استحباباً مؤكداً في

---

(١) سورة آل عمران: ٧، وانظر تفسير العياشي: ج١ ص١١ ح٥.

غير القدر المزاحم لواجباتهم المعاشية، لوضوح أن المستحب دليل لا اقتضائي لا يزاحم الواجب الدليل الاقتضائي.

ثم إنه كما بطل كلا زعمي فهم الكل للقرآن وعدم فهم أي أحد للقرآن إلاّ الراسخون، كذلك يبطل زعمان متقابلان آخران:

أحدهما: زعم أن القرآن كتاب ثوري فحسب، فاللازم النظر إليه من هذه الزاوية، فأبوذر هو المطبق للقرآن تطبيقاً عملياً، أما سلمان فليس له شأن من القرآن، لأنه لم يكن رجلاً ثورياً.

الثاني: إن القرآن كتاب غير ثوري، فالحياة الرتيبة لبعض المسلمين هي مقصود القرآن، أما الثورة والانقلاب فليست من القرآن.

ويبطل كلا الزعمين المنطق والتاريخ، أما المنطق فلأن الحياة لها جوانب يجب تفرغ كل جماعة لجانب كما نرى ذلك في الأمم الحية. كما أن كل جماعة لها قابلية خاصة إن سارت في طريقها وصلت إلى كمالها المنشود، بخلاف ما إذا لم تسر في تلك السبيل.

إنه لا شك في وجوب تظافر الكل لأجل كبح جماح الظالم، لكن ليس معنى ذلك أن يكون الكل في طريق الانقلاب المباشر، بل الطبيب والمهندس والفقيه وغيرهم لهم مجالاتهم الخاصة، حتى لو أفرغ الجميع في قالب الثورة فسدت الحياة.

كما أنه لا شك في وجوب تظافر الكل لأجل الحياة السعيدة، لكن ليس معنى ذلك أن يكون الكل بمعزل عن الثورة، فإن كل واحد من الأمرين خبال للحياة، وخلاف إرادة القرآن الحكيم.

ثم من ليست له نفسية العلم ولا يمكنه أن يمشي في هذا الطريق، يكمله

القرآن بجعله في طريق الثورة مثلاً، كما أن من ليست له نفسية الثورة ولا يمكنه أن يمشي في هذا الطريق يكمله القرآن بجعله في طريق العلم مثلا، قال سبحانه: ﴿قُلْ كُلٌّ يَعْمَلُ عَلى شاكِلَتِهِ﴾[1]، وقال (صلى الله عليه وآله وسلم): «الناس معادن»[2]، وقال (عليه السلام): «كل ميسر لما خلق له»[3].

ولعل حديث «لو علم أبوذر ما في قلب سلمان لقتله»[4]، ولو علم سلمان ما في قلب أبي ذر قتله، إشارة إلى هذه

الحقيقة بأن الجوهر يختلف إلى حد التضاد، حيث عبر عن ذلك عن القتل الذي لا يكون إلاّ إذا كان القاتل والمقتول في طرفي التضاد.

والحاصل: إن القرآن كتاب إكمال، وكمال كل شيء بحسبه، هذا من جهة المنطق.

وأما من جهة التاريخ فإنا نجد أن رسول الإسلام (صلى الله عليه وآله وسلم) وعلياً (عليه السلام) كانوا قسموا أصحابهم إلى مختلف الاتجاهات، وإلا فما هو تعليل أن الصحابي الفلاني لم يحارب والصحابي الفلاني لم يتفقه إلى آخر ذلك، وعقلاء العالم يعملون مثل ذلك كما هو واضح، ولذا اشتهر أن من يصلح لحالة الحرب لا يصلح لحالة السلم وبالعكس.

وكيف كان، فجعل القرآن منزلاً إحدى المنزلتين إخراج له عن منزلته الواقعية، فاللازم على المسلم أن يطبق حياته ورأيه على القرآن، لا أن يطبق القرآن على حياته ورأيه.

---

(١) سورة الإسراء: ٨٤.

(٢) الكافي: ج٨ ص١٧٧ ح١٩٧.

(٣) بحار الأنوار: ج٤ ص٢٨٢ ب٤ عن النبي (صلى الله عليه وآله).

(٤) الكافي: ج١ ص٤٠١ باب فيما جاء أن حديثهم صعب مستصعب ح٢.

وإلى ذلك أشار الإمام أمير المؤمنين (عليه السلام) حيث قال: «يعطف الهوى على الهدى»[١].

ثم إنه ربما يورد على ما ذكرناه سابقاً من أن القرآن بحاجة إلى التعلم والتفسير، أن ذلك:

أولاً: مخالف لقوله سبحانه: ﴿**أَفَلا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ**﴾[٢]. وقوله سبحانه: ﴿**هَلْ مِنْ مُدَّكِرٍ**﴾[٣]، إلى غير ذلك من الآيات والأخبار الدالة على أن القرآن نور وهداية وغيرهما.

وثانياً: لماذا يكون كذلك، والحال أن القرآن نزل للهداية وحل الاختلافات، فكيف يكون هو سبباً للضلال وإيجاد الاختلاف كما هو المشاهد الآن.

وثالثاً: يلزم أن يكون القرآن أقل شأناً من سائر الكتب، إذ سائر الكتب المتعارفة ليست بحاجة إلى التفسير، ولا توجب ضلالا، بينما القرآن بحاجة إلى التفسير ويوجب الضلال.

والجواب:

أما عن الأول: فإن حاجة القرآن إلى التفسير والتعلم لا ينافي الآيات المذكورة، إذ بعد التعلم والتفسير يلزم التدبر والتذكر كما هو الشأن في كل الأمور الكونية، فإن طالب الطلب والهندسة مثلا بعد تعلمه علمهما وأخذه تفسيرهما عن الأساتيذ يأخذ في التدبر والتذكر للمزيد من العلم والدراية.

---

(١) نهج البلاغة: الخطبة ١٣٨.

(٢) سورة النساء: ٨٢.

(٣) سورة القمر: ١٧.

وأما عن الثاني: فلأن القرآن نزل للهداية لمن استهدى به، ولحل الاختلافات لمن أراد حله به، أما من لم يرد ذلك فهو عليه عمى، ومثله يزيده القرآن ضلالاً، كما قال سبحانه: ﴿**وَلَوْ جَعَلْناهُ قُرْآناً أَعْجَمِيًّا لَقالُوا لَوْ لا فُصِّلَتْ آياتُهُ أَ أَعْجَمِيٌّ وَعَرَبِيٌّ، قُلْ هُوَ لِلَّذِي آمَنُوا هُدىً وَشِفاءٌ، وَالَّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ فِي آذانِهِمْ وَقْرٌ وَهُوَ عَلَيْهِمْ عَمًى أُولئِكَ يُنادَوْنَ مِنْ مَكانٍ بَعِيدٍ، وَلَقَدْ آتَيْنا مُوسَى الْكِتابَ فَاخْتُلِفَ فِيهِ**﴾ إلى أن قال: ﴿**مَنْ عَمِلَ صالِحاً فَلِنَفْسِهِ ومَنْ أَساءَ فَعَلَيْها**﴾[1].

فلو لم يكن القرآن مفصل الآيات وواضحها لقالوا: كيف جاء القرآن غير واضح، والحال نحن عرب نظهر المطالب بكل بلاغة، لكنا جعلناه واضحاً بيناً، ومع ذلك المؤمن هو الذي يستفيد لأنه في طريق الاستفادة، فالقرآن يهديه إلى طريق السعادة ويشفيه من علة الجهل وسائر العلل بسبب اتباعه قوانين القرآن.

أما من لا يؤمن به فهو كالذي لا يؤمن بالطبيب ولا يراجعه ولا يأخذ بدساتيره حيث إن الطبيب لا يكون شافيا له، فكان في إذنه وقراً عن سماع القرآن، وحيث يقف ضداً للقرآن يكون القرآن سبباً لزيادة ضلاله، ﴿**قُلْ مَنْ كانَ فِي الضَّلالَةِ فَلْيَمْدُدْ لَهُ الرَّحْمانُ مَدًّا**﴾[2]، فيكون القرآن سبباً لمزيد عماه فلا يميز أحكام القرآن، كالإنسان الذي ينادى بكلمات من مكان بعيد حيث لا يميز الكلمات ولا يفهم المقصود، وهذا شأن البشر حيث يختلفون في

---

(١) سورة فصلت: ٤٤ ـ ٤٦.

(٢) سورة مريم: ٧٥.

الحق، كما اختلف قوم موسى في كتابهم فآمن به بعض وكفر به بعض.

ثم إن المؤمن والكافر إنما تكون نتيجة عملهم لأنفسهم، فمن اتبع القرآن كان خيره لنفسه، ومن كفر به كان سوؤه على نفسه، هذا مجمل تفسير الآيات.

وأما عن الثالث: فشأن القرآن هو سائر الكتب المشتملة على النظرة الكونية وأنظمة الحياة، حقا كان ذلك الكتاب كالتوراة والإنجيل المنزلين، أو باطلاً ككتب زعماء الديمقراطية وزعماء الشيوعية، حيث تتوفر المقاصد في الاختلاف حولها إيمانا وكفراً، والاختلاف فيها اختلافاً ناشئاً من الاجتهاد لغير المغرضين، واختلافاً ناشئاً عن الأغراض والشهوات للمغرضين، فكما اختلف البشر حول التوراة والإنجيل وكتب ماركس واختلفوا في تفسيرها، كذلك اختلفوا حول القرآن.

وفيه: وهذا الاختلاف في القرآن إن كان مقترنا بنية حسنة وبعد بذل الوسع، فالكافر يمتحن يوم القيامة، فإن الحدود تدرأ بالشبهات في الدنيا، فكيف في الآخرة، والمؤمن المخالف لمراد الله سبحانه عن اجتهاد له أجر واحد، حسب الحديث المشهور: «للمصيب أجران، وللمخطئ أجر واحد»[1]، فالمصيب له أجر التعب وأجر الواقع، والمخطئ له أجر التعب، ولا عقاب له على مخالفة الواقع حيث إنه معذور.

وإن كان الاختلاف عن عناد وغرض، فجزاء الكافر الخلود في النار، وجزاء العاصي العقاب بقدر استحقاقه.

---

(١) الاجتهاد والتقليد، للأردكاني: ص٤١.

احتياج القرآن إلى التفسير

(**مسألة ١٨**): تقدمت الإشارة إلى احتياج القرآن إلى التفسير، وتفصيل الكلام في ذلك أنه يجوز للإنسان العارف باللغة العربية أن يترجم القرآن بما يفهم من ظاهره، إذا كان للكلام ظاهر، كأن يترجم قوله سبحانه: ﴿**قُلْ هُوَ اللهُ أَحَدٌ**﴾[1] (قل) يا رسول الله (هو) الذي نتكلم حوله (الله) إله الكون (أحد) واحد.

ولا يضر ذلك احتمال أن يكون المخاطب بـ ﴿قل﴾ كل من يتأتى منه القول، وبـ ﴿هو﴾ الشأن، وبـ ﴿الله﴾ الذات المستجمع لجميع صفات الكمال، وبـ ﴿أحد﴾ الواحد الذي لا يدرج في عدد، وإنما لا يضر إذ المناط الظاهر لا الدقة العقلية.

أما إذا لم يكن للكلام ظاهر بأن كان مجملاً، فلا يحق له أن يفسره بأحد وجهيه أو أحد وجوهه، إلاّ أن يقول إنه وجه محتمل، فلا يحق له أن يفسر (قروء) بالأطهار أو بالحيضات، أو أن يفسر ﴿**وَبُعُولَتُهُنَّ أَحَقُّ بِرَدِّهِنَّ**﴾[2] إلى مطلق الأزواج المطلقين، فإنه يكون من التفسير بالرأي الذي نص على عدم جوازه بقوله (عليه السلام): «من فسر القرآن برأيه فليتبوأ مقعده من

(١) سورة الإخلاص: ١.

(٢) سورة البقرة: ٢٢٨.

النار»[١].

أما قوله (عليه السلام): «من فسر القرآن برأيه فأصاب فقد أخطأ»[٢]، فالظاهر أن المراد خطاؤه في تجريه لا في إصابته، إذ لا يجمع بين الإصابة والخطأ كما هو واضح، ويدل على ما ذكرناه بعض الروايات.

ثم إنه إذا فسر برأيه فإن أصاب الواقع كان تجرياً، ولعله يكون محرماً لظاهر النص، فيكون حاله حال القاضي الذي قضى بالحق وهو لا يعلم، حيث إنه في النار، وإن لم نقل بحرمة التجري مطلقاً.

ثم إنه ربما يستشكل بأنه لماذا يحتاج القرآن إلى التفسير، ولماذا ورد في القرآن المجمل والمتشابه، ألم يكن من الأفضل خلو القرآن من كل ذلك؟

والجواب: إنما احتاج القرآن إلى ذلك لأسباب نذكر منها أموراً:

الأول: إن الكلام إذا كان خالياً عن الكناية والاستعارة والتشبيه والتوشيع والمجمل والتورية وما أشبه لا يكون بليغاً ولا يتذوقه البلغاء، فمعنى خلو القرآن عن كل ذلك كونه خاصاً بالعوام فقط، بينما الواجب على الكتاب الذي يريد توجيه الكل أن يكون فيه ما يرضي الكل، ولذا قال علي (عليه السلام): «ظاهره أنيق ـ جميل ـ وباطنه عميق»[٣]، وحيث كان القرآن كذلك احتاج إلى التفسير.

الثاني: إن القرآن حيث أراد الإشارة إلى أمور كثيرة كونية وتشريعية وغيرهما، اضطر إلى الاختصار، والمختص بحاجة إلى الشرح والتفسير.

أما إرادته الإشارة إلى أمور كثيرة، فهو لأجل أن يكون مستوعباً، إذ

---

(١) غوالي اللآلي: ج٤ ص١٠٤ ح١٥٤.

(٢) وسائل الشيعة: ج٢٧ ص٢٠٥ ب١٣ ح٣٣٦١٠، وفيه: «فأصاب الحق».

(٣) نهج البلاغة: الخطبة ١٨.

هو كتاب لفظي يجب أن يطابق كتاب الكون.

وأما الاضطرار إلى الاختصار، فلأنه لو أراد التبيين والإسهاب لزم أن يكون أضعاف هذا الكتاب مما يتعذر أو يتعسر ضبطه وحفظه واستيعابه لعامة الناس وهو خلاف الحكمة، ولذا انتحى القرآن ناحية أسهل المحذورين: محذور عدم الاستيعاب، ومحذور الاستيعاب.

لا يقال: ألم يكن من الأفضل أن يسهب القرآن عوض مكرراته، مثلاً كررت قصة موسى (عليه السلام) في سبعين موضعاً.

لأنه يقال: مكررات القرآن ضرورية لأجل التركيز، أما مثل قصة موسى (عليه السلام) فهي لم تتكرر، وإنما ذكر كل جزء منها في مكان، مثل قصته مع فرعون ومع قارون، ومع بلعم ومع بني إسرائيل، ومع السامري، إلى آخر ما هنالك، وليس كلامنا الآن في هذا الصدد لنشرح الأمر تفصيلا.

ومنه تبين أن من أرادوا إيجاز القرآن بحذف مكرراته حسب زعمهم، مثل أتاتورك وغيره من عملاء المستعمرين، فإنما كان ذلك على حساب (تركيزه) الضروري، أو (توجيهه) إلى جوانب من القصة، حيث كان اللازم التوجيه إلى جميع جوانبها البنائية التي لها مدخلية في بناء الإنسان المستقيم السعيد في دنياه وآخرته، هذا مع الغض عن أن مقصودهم كان تحطيم الإسلام وبلاده.

الثالث: إن القرآن حيث أراد بيان الخطوط العامة لكل الحياة السعيدة في الدنيا والآخرة اضطر إلى بيان الكليات والقواعد العامة، حيث لم يرد الإسهاب بذكر التفاصيل لما سبق، والكلي دائماً فيه أفراد مشتبهة حتى إذا كان أظهر الكليات، مثلا (الماء) من أظهر الأشياء، ومع ذلك كثيراً ما يتردد

العرف واللغة في أن المياه الزاجية والكبريتية هل هما من مصاديق الماء أم لا.

فلنأخذ مثلاً لذلك، قال سبحانه: ﴿**أَحَلَّ اللهُ الْبَيْعَ وحَرَّمَ الرِّبا**﴾[1]، فهل الحلية وضعية أو تكليفية؟ وهل بيع الغلام غير البالغ وما لا يتمول والفضولي وما أشبه داخل في هذه الكلية أم لا، إلى آخر ما ذكروه في كتاب البيع، مع الغض عن المخصص وغيره، فإن أراد القرآن بيان كل ذلك كان كتاب مكاسب الشيخ (رحمه الله) لا القرآن الحكيم، ولنفرض جعلنا القرآن مكاسب الشيخ (في فقهه) و(كفاية الموحدين) في عقائده وغيرهما في سائر شؤونه، فهل كان حينذاك هو هذا الكتاب المعجز الذي نزل لأجل هداية الناس.

ثم لا يخفى أن الاختصار الذي ذكرناه في الثاني غير الكليات التي ذكرناها في الثالث، فالاختصار من قبيل (دنف) في جواب (كيف زيد)، والكلي من قبيل (كل فاعل مرفوع).

الرابع: إن القرآن نزل في زمان خاص، وفي مكان خاص، فلزم عليه أن يراعي مقتضيات ذلك الزمان والمكان، باعتبار أنه نزل لأجل هدايتهم، كما لزم عليه أن يراعي مقتضيات كل زمان ومكان، باعتبار أنه نزل لهداية البشر إلى الأبد.

ومن الواضح أن مراعاة الزمانين تقتضي له أن يجمل ويختصر، ويأتي بالقواعد العامة والخطوط العريضة، وكل ذلك بحاجة إلى التفسير.

مثلاً نزل القرآن حيث كان في المجتمع لون خاص من (السياسة) و(الثقافة) و(الاقتصاد) و(الاجتماع).

---

(١) سورة البقرة: ٢٧٥.

ففي السياسة كانت الملكية، فجعلها القرآن شورى: ﴿وَأَمْرُهُمْ شُورَى﴾[١].

وفي الثقافة كانت الدينية فقط كاليهودية والنصرانية، فجعلها القرآن دينية ودنيوية: ﴿رَبَّنا آتِنا فِي الدُّنْيا حَسَنَةً وفِي الآخرة حَسَنَةً﴾[٢].

وفي الاقتصاد كانت الزراعة والتجارة، فجعله القرآن كل عقد حتى الصناعي: ﴿أَوْفُوا بِالْعُقُودِ﴾[٣].

وفي الاجتماع كانت العشائرية، فجعله القرآن الكفاءة: ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللهِ أَتْقاكُمْ﴾[٤].

ولذلك احتاج (الشورى) إلى التفسير، هل هو انتخاب كل الأمة، أو أهل الحل والعقد فقط، واحتاج (الجمع بين الدين والدنيا) إلى التفسير بحيث لا تضر الدنيا بالآخرة ولا الآخرة بالدنيا، واحتاج (العقد) إلى التفسير لئلا يولد منه الرأس ماليات الضارة وتكون (دولة بين الأغنياء)، واحتاج (الكفاءة) إلى التفسير فيما إذا تعارض (الأورع مع الأفقه) سواء كانت الفقاهة في الشؤون الدينية، أو في الشؤون الدنيوية مثلا.

وليس المقصود في المقام التفصيل، بل الإلماع إلى بعض مصاديق الأمر الرابع، فلهذه الأسباب الأربعة وغيرها صار القرآن محتاجاً إلى التفسير، وبذلك اتضح أنه لو لا هذا الأسلوب لم يكن القرآن قرآناً، ومع هذا

---

(١) سورة الشورى: ٣٨.

(٢) سورة البقرة: ٢٠١.

(٣) سورة المائدة: ١.

(٤) سورة الحجرات: ١٣.

الأسلوب لا بد من الاحتياج إلى التفسير، ولذا اقترن القرآن بالعترة المفسرة له حتى الورود إلى الحوض.

ولا يخفى أنه يفهم من هذا الحديث احتياج الأمة إليهما حتى في القبر والمحشر إلى الحوض، وإن كنا لا نعلم كيفية الاحتياج.

لا يقال: العترة في زمان الغيبة لا يتمكنون من التفسير.

لأنه يقال: يتمكنون من التفسير في الجملة للمتصلين بالإمام، كما أن الإمام الصادق بل علي (عليهما السلام) أيضا كانت الاستفادة منهم في الجملة، لا لكل البشر، وذلك من ذنب البشر لا نقصهم (عليهم السلام) هذا بالإضافة إلى الاحتياج إليهم (عليهم السلام) في مراجعة أخبارهم.

ثم لا يخفى أن القرآن حيث كان منذ نزوله إلى اليوم مرجعاً لكل المسلمين في جميع أمورهم، إلاّ من فسق منهم، كان الانحراف في فهمه وتفسيره يوجب أكبر الاضطراب، وأحياناً يسبب إزهاق الأنفس وهدر الأموال وهتك الأعراض، فمثلا إن فسر قوله سبحانه: ﴿**وَأُولِي الأمر مِنْكُمْ**﴾[1] بكل من تولى الأمر لزم سيطرة الظالمين حتى يشمل تولية يزيد وقتل الإمام الحسين (عليه السلام) وهدم الكعبة وإباحة المدينة المنورة.

وإن فسّر قوله سبحانه: ﴿**وَإِنَّهُ لَذِكْرٌ لَكَ وَلِقَوْمِكَ**﴾[2] بالقومية العربية سبب تبضيع المسلمين وكسر شوكتهم وتسليط الأعداء عليهم.

وإن فسر قوله سبحانه: ﴿**لكَيْ لا يَكُونَ دُولَةً بَيْنَ الْأَغْنِياءِ مِنْكُمْ**﴾[3]

---

(١) سورة النساء: ٥٩.

(٢) سورة الزخرف: ٤٤.

(٣) سورة الحشر: ٧.

بتوزيع المال، سبب الشيوعية بما فيها من المآسي.

كما يلزم الوقوع في الخرافة والانحراف عن جادة الاستقامة في العقيدة إن فسر قوله سبحانه: ﴿**إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ**﴾[1]، وقوله: ﴿**وَجَاءَ رَبُّكَ**﴾[2]، وقوله: ﴿**يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ**﴾[3]، بما يستلزم التجسيم.

وأحياناً يلزم كلا الأمرين، في مثل ما إذا فسر قوله سبحانه: ﴿**يُضِلُّ مَنْ يَشَاءُ**﴾[4] ونحوه بما يستلزم الجبر إلى غير ذلك، ولذا قال معاوية لابن عباس في مشادة طويلة بينهما: اقرؤوا القرآن ولا تفسروه للناس، إلى آخر كلامه، إذ كان يرى أنه لو فسر القرآن، كما أراده الله سبحانه كان معنى ذلك عزله عن الحكم وكون الحكم لعلي (عليه السلام).

ولا بأس هنا بالإشارة إلى لطيفة تشبه المقام وإن لم تكن مربوطة بالبحث، وهي أن في زماننا أخذت موجة من الإسلام تجتاح البلاد الإسلامية وأخذ العلماء والخطباء والكتب والمثقفون يطالبون بتطبيق حكم الإسلام، وزعم المستعمرون أنهم يتمكنون من تحريف الاتجاه، فأخذوا بعملائهم يفسرون تطبيق الإسلام بإجراء الحدود، مثل قطع يد السارق وجلد الزاني وما أشبه، وقصدوا بذلك أمرين:

الأول: إبعاد الإسلام عن الحكم الذي هو مرتكزهم ومنطلقهم في بلاد الإسلام.

---

(١) سورة القيامة: ٢٢.

(٢) سورة الفجر: ٢٢.

(٣) سورة الفتح: ١٠.

(٤) سورة الرعد: ٢٧، النحل: ٩٣، فاطر: ٨.

الثاني: إشاعة أن الإسلام جلاد ليس عنده إلاّ الجلد والقطع وما أشبه، لتشويه سمعة الإسلام.

ورأى أحد حكام بلاد الإسلام في الدعوة إلى الإسلام الاستعماري المذكور مخلصاً له من ضغط شعبه عليه بتطبيق الإسلام، فأراد تمهيد الجو لتطبيق هذا الإسلام الاستعماري فأوعز إلى الصحف والإذاعة والتلفزيون أن يطالبوا بتطبيق الإسلام وإجراء الحدود، وإذا بنا نرى أن كل وسائل إعلام ذلك البلد تدعو إلى وجوب تطبيق حكم الله وجلد الزاني وقطع يد السارق ونحو ذلك، ولم تمض برهة إلاّ وسكتت وسائل الإعلام عن ذلك سكوتاً مطلقاً، ولما حققنا عن الأمر ظهر أن جماعة من عقلائهم! ذهبوا إلى الحاكم وقالوا له: إن هذه الدعوة تضرك، إذ معنى تطبيق الإسلام أن تزول أنت عن كرسيك ليأخذ مكانك من تنتخبه الأمة، إذ ليس الجمهور بهذا الغباء حتى ينطلي عليهم الأمر فيظنون أن الإسلام ينحصر في بضعة أحكام في باب العقاب، فاستحسن الحاكم رأيهم، وأمر بإغلاق هذا الباب نهائياً.

تعميم تفسير القرآن العملي بين الناس

(**مسألة ١٩**): من الواجب على المسلم القادر كفايةً تعميم تفسير القرآن العملي بين الناس، بالتأليف والقول وسائر وسائل الإعلام، حتى يفهم المسلمون تكليفهم القرآني حول المسائل التي تخص حياتهم.

فإن القرآن وإن كان كله نوراً وهداية إلاّ أن جملة من مباحثه تخص حياتهم العملية، مما إذا لم يعرفوها ولم يعوها وقعوا في تيه الحكام الظلمة والأحكام المنحرفة، فاللازم مثلا:

ألف. نشر الآيات التي تخص الحكم والحاكم بمختلف وسائل الإعلام.

ب. ونشر الآيات التي تخص الاقتصاد ونظام المال.

ج. ونشر الآيات التي تخص عزة المسلمين واستقلالهم وثقتهم بأنفسهم.

د. ونشر الآيات التي تخص الجهاد.

هـ. ونشر الآيات التي تخص عقاب الدنيا والآخرة لمرتكب المحرم.

إلى غير ذلك، فاللازم جعل إشارات فارقة ملفتة إلى مواضع هذه الآيات في التفسير، كما أن من اللازم نشرها بتفسيرها بصورة مستقلة في الكتب والمنابر وسائر وسائل الإعلام.

ثم إن ما ذكرناه ليس خاصاً بالقرآن، بل يعم السنة أيضاً، وإنما ذكرنا القرآن من باب أن الكلام فيه، ولو ألّفت كراريس خاصة كل كراس بشأن

من هذه الشؤون وتنشر على نطاق واسع كان أفضل وأسرع في تطبيق الإسلام، حيث إن الكراسات توجب الوعي السريع، مثلا تجمع في كراس الآيات والروايات التي هي ضد القومية، وفي كراس الآيات والروايات التي هي ضد الفقر، وفي كراس الآيات والروايات التي هي ضد البطالة، وهكذا.

ولا يخفى أن تعميم القرآن ينفع لدنيا الناس قبل آخرتهم، لأن حضارة غير القرآن توجب الدمار بالنسبة إلى كل الناس، حتى كبرائهم وحكامهم، فقد قال (عليه السلام): «ومن ضاق عليه العدل فالجور عليه أضيق»، إن الجور يوجب رضى بعض الناس، أو رضى نفس الجائر فحسب، بينما العدل لا يغضب إلاّ أهل الجور فقط، أما سواد الناس وجمهرتهم فالعدل يفرحهم.

ومن المعلوم أن الحاكم لا يبقى إذا غضب عليه كل الناس، فيما كان جوره يرضيه فحسب، أو أغلب الناس فيما كان جوره يرضي حفدته، فإن الكلمة الأخيرة للناس دائماً.

وإنما نقول: إن تعميم القرآن ينفع دنيا الناس، لأن النظام الصحيح يعطي الثمر الصالح، بينما الأنظمة الفاسدة لا تعطي إلاّ الثمار الضارة، والنظام القرآني هو النظام الصحيح الذي لا بديل له، ولذا قال سبحانه: **﴿وَيُبَشِّرَ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْراً حَسَناً مَاكِثِينَ فِيهِ أَبَداً﴾**[1]، إن اقتران الإيمان بالعمل الصالح هو الذي يثمر خير الدنيا والآخرة.

أما الإيمان بدون العمل الصالح فلا ينفع هذه النتيجة، كما أنه من

(١) سورة الكهف: ٣.

المستحيل العمل الصالح بدون الإيمان، والمنحرف لا بد وأن يلقى جزاءه، إما لقاءً طبيعياً وإما بتدخل غيبي.

قال سبحانه: ﴿وَعاداً وَثَمُودَ وَقَدْ تَبَيَّنَ لَكُمْ مِنْ مَساكِنِهِمْ وزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطانُ أعمالَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ السَّبيلِ وَكانُوا مُسْتَبْصِرينَ * وَقارُونَ وَفِرْعَوْنَ وَهامانَ وَلَقَدْ جائَهُمْ مُوسى بِالْبَيِّناتِ فَاسْتَكْبَرُوا فِي الْأَرض وَما كانُوا سابِقينَ، فَكُلاًّ أَخَذْنا بِذَنْبِهِ فَمِنْهُمْ مَنْ أَرْسَلْنا عَلَيْهِ حاصِباً ومِنْهُمْ مَنْ أَخَذَتْهُ الصَّيحَةُ وَمِنْهُمْ مَنْ خَسَفْنا بِهِ الْأَرض وَمِنْهُمْ مَنْ أَغْرَقْنا وَما كانَ اللهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلكِنْ كانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾[1]، إن مساكن عاد وثمود باقية إلى الآن، وأهرام مصر باقية إلى الآن، وكلها تنبئ عن حضارة سادت ثم بادت، ولماذا؟ لأن أصحابها عتوا وتكبروا وخرجوا عن طاعة الله فأخذتهم العقوبات التي تناسبت أعمالهم، لأن الجزاء من سنخ العمل، وقد عبر عنه في ألسنة العلماء بتجسم الأعمال، حتى الرؤية والسماع والكلام أعمال مادية، تحول الأكل والشرب إلى هذه الطاقات، فإذا تبدلت هذه الطاقات إلى أعمال ـ كتبدل البيضة إلى الدجاجة، والنواة إلى الثمرة، والنطفة إلى الحيوان ـ كانت تلك الأعمال هي الجزاءات الطبيعية لما فعله الإنسان إن خيراً فخير، وإن شراً فشر.

فعاد أرسل عليهم (الحاصب) ولعلهم كانوا يحصبون الناس، أو يعبدون الحصباء، أو كان عملهم حاصباً بالاتهام والهمز واللمز وما أشبه، كما هو شأن المنحرفين غالباً.

(١) سورة العنكبوت: ٣٨ ـ ٤٠.

وثمود أخذتهم (الصيحة) صاح جبرئيل بهم فهلكوا، إنهم كانوا يصيحون ضد النبي صالح (عليه السلام) وضد من آمن به، كما هو شأن الذي انقطعت حجته فيريد بالصياح علوه على خصمه.

وقارون ابتلعته الأرض، إنه كان يعبد أحجار الأرض (الذهب والفضة) وهما حجران ممسوخان، وأخيراً حشر معهما في جوف الأرض[١].

وفرعون وهامان وقومهما بنوا حضارتهم على (النيل) والزرع، وقال فرعون: ﴿**أليس لي ملك مصر وهذه الأنهار تجري من تحتي**﴾[٢] فجاءهم موسى (عليه السلام) من (الماء) حيث أخذ صندوقه فرعون من (النيل) ثم أخذهم (الماء): ﴿**ومنهم من أغرقنا**﴾[٣] فجاء سبب هلاكهم من الماء وأهلكوا بالماء.

إلى غيرها من الآيات والقصص الدالة على أن جزاء المجرمين يكون من جنس عملهم، وقد استطردنا في الكلام خارجاً عن الموضوع لذكر الشاهد.

وكيف كان، فاللازم نشر القرآن بمعارفه بين البشر، لا لتعمر آخرتهم فحسب، بل لإنقاذهم من عذاب الله سبحانه ونكاله في الدنيا، والله الموفق المستعان.

---

(١) يقول الشاعر:

شد غلامي كه آب جوي آرد   آب جوي آمد وغلام ببرد
دام هر بار ماهي آوردي   ماهي اين بار رفت ودام ببرد

(منه دام ظله).

(٢) سورة الزخرف: ٥١.

(٣) سورة العنكبوت: ٤٠.

حق التشريع لله عزوجل

(مسألة ٢٠): لا يجوز تشريع القانون إطلاقا، فإن اللازم أخذ القانون من القرآن، وقد اشتمل القرآن بشروحه التي ذكرها رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) والأئمة الطاهرون (عليهم السلام) على كل قانون يحتاج إليه البشر إلى يوم القيامة، سواء كان قانوناً أولياً أو ثانوياً، أي القانون الاضطراري، ولذا لا تشريع في الإسلام لأحد، وإنما يجب أن يكون مجلس الأمة لتأطير القوانين الإسلامية في قوالب زمنية، وملاحظة الأهم والمهم وما أشبه، مما هو شأن الفقهاء المجتهدين.

ثم إن كل قانون عدا قوانين الله سبحانه ليس صالحاً، إذ القانون يجب أن يكون ملائماً للإنسان، ولا يتمكن من وضع القوانين الملائمة للإنسان إلاّ من عرف الإنسان، والبشر بعد لم يعرف الإنسان حتى يتمكن أن يضع قانوناً ملائماً له.

أما المقدمة الأولى: فلوضوح أن لكل شيء مناسبات ومضادات، والإنسان داخل في هذا الكلي، فإذا لم يوضع القانون الملائم أوجب ذلك العطب والفساد، أرأيت لو حملت العمارة أكثر من طاقتها لزم انهدامها، ولو ركب في السيارة أكثر من قدرتها انخسفت ووقفت، إلى غير ذلك، وكذلك الإنسان إذا وضعت له قوانين لم تلائمه أوجب ذلك عنت الإنسان وإرهاقه جسمياً ونفسياً.

وأما المقدمة الثانية: فلوضوح أن الإنسان إذا لم يعرف حقيقة شيء لايتمكن من إصلاحه وعلاجه، فيكون حاله حال الشخص الذي لا يعرف مرض المريض ولا علاجه، فهل يتمكن أن يضع لهذا المريض العلاج، وحال الشخص الذي لا يعرف الماكنة فهل يتمكن أن يضع لها القوانين لإشغالها وعلاجها إذا عطبت.

وأما المقدمة الثالثة: فلوضوح أن الإنسان بما فيه من العواطف والميول والأهواء والصفات، لا يعرف حتى نفسه، وإن كان مع نفسه أكثر من مائة سنة، ولذا قد يجده ينزلق، فيتعجب هو من انزلاق نفسه، وقد يصدر منه أمر ما كان بحسبانه، وقد ألف أحد كبار علماء الغرب كتاب: (الإنسان ذلك المجهول).

وقال غيره: (إن جزءً من ألف جزء من حقائق الإنسان وبواطنه، لم يكتشف بعد بصورة كاملة، فكيف بكشف كل حقائقه).

وهذا ـ أي عدم كشف حقيقة الإنسان ـ هو سبب ما نشاهد في العالم من الحروب والثورات والفقر وأمثال ذلك، بينما نرى الإنسان وصل إلى الكواكب، وغاص في أعماق البحار، ذلك لأنه عرف الهواء والضياء، وموازين ضغط الدم، إلى غير ذلك من الأسباب التي إذا عرفها الإنسان يتمكن من امتطاء الهواء والوصول إلى أعماق الماء، ولذا تمكن من السيطرة عليهما، لكنه لم يعرف حقيقة الإنسان، ولذا جعله في دوامة من المشاكل والمآسي.

وعليه فكل قانون يوضع خارج نطاق قوانين القرآن، لا يزيد الإنسان إلا مشكلة.

هذا بالإضافة إلى أن القانون الذي يضعه الإنسان لا يكون قابلاً للدوام والبقاء، إذ القانون يستند إما إلى (مادة زائلة) أو (أهواء زائفة) فإذا زالت المادة وانعدمت الهوى سقط القانون، مثلا: إذا كان الملك مصدر القانون، أو المعدن، أو السد المائي، أو التجارة، أو العشيرة، أو الحد الجغرافيائي، أو المزارع والمراتع، كان القانون زائلا إذا مات الملك أو عزل، أو فقد المعدن، أو خرب السد، أو صرفت الأنظار عن تلك التجارة، أو تبددت العشيرة، أو أزيل الحد الجغرافيائي، أو يبست المزارع وغلب عليها الماء أو الملح.

ألم يحدثنا التاريخ عن سقوط قوانين فرعون، وقوانين نمرود، وقوانين جمشيد، وقوانين مأرب، إلى غيرها وغيرها، وقد رأيت أنا في حياتي كيف سقطت قوانين العراق الملكي بعد انقلابه إلى الجمهورية، كما ينتظر الخبراء سقوط القوانين في البلاد النفطية إذا نضب النفط، إلى غير ذلك.

هذا بالنسبة إلى سقوط (المادة)، إنساناً كان أو غير إنسان.

أما بالنسبة إلى القانون المستند إلى الهوى، فإن الإنسان المقنن مهما كان نزيهاً ومختاراً من قبل الأمة، لا يتمكن أن يخرج من ظروفه المحيطة به، وتقاليده وأهوائه التي تعمل في نفسه ولو بغير وعيه، ولا شك حينئذ أن يتلون قانونه ـ ولو وضع بإجماع مجلس الأمة فرضاً ـ بلون الظروف والأهواء، فإذا تغيرت الظروف وتغير أصحاب الأهواء لابد وأن يتغير القانون، فإنه إذا زالت العلة زال المعلول، ولذا نرى في عالم اليوم يغير القانون حتى في أكبر دولة بين كل عشية وضحاها.

أما الله سبحانه، فليس له زمان ومكان، ولا أهواء وعواطف، ولا حاجة واعوزاز، ولا ظروف تكتنفه، ولا مصالح مادية أو معنوية يريدها

لنفسه، ولذا يكون قانونه مستمداً من صرف مصلحة الإنسان، بالإضافة إلى أنه عالم بالإنسان، فلا يكون قانونه غير ملائم للإنسان، وهذا هو سبب:

١ : أبدية قانون القرآن.

٢ : وكونه ملائماً للبشر، وصالحاً لهم على مدى الأوقات، وفي كل الأماكن.

المناهج القرآنية في التعليم والتربية

(مسألة ٢١): من الأكيد أن يتعلم الإنسان من القرآن منهاج الهداية والإرشاد، ومنهاج التربية والإنماء، فإن القرآن بمعرفته أعماق البشر وأغواره أعرف من كل عارف ومجرب وعالم نفس وعالم اجتماع بكيفية الإرشاد والتبليغ.

ونجد في القرآن أصول التوجيه إلى ثلاثة أشياء:

الأول: إلى المعارف، من الألوهية والرسالة والمعاد، وما يتبع هذه الثلاثة.

الثاني: إلى الإنسان خيره وشره، ورشاده وضلاله، ومبدئه ومسيره ومصيره.

الثالث: إلى الكون والحياة، فإن الإنسان إذا عرف نفسه عرف ربه، وإذا عرف ربه تمكن من إنماء نفسه والاستفادة من الحياة أكبر قدر من الاستفادة، والتي تتلخص في التحصيل على أكبر وأعلى قدر من اللذة، وفي الاجتناب عن القدر الممكن من الألم، أما الذي لا يعرف الله، فلا يعرف كيف يستفيد من الحياة، كما قال سبحانه: ﴿**نَسُوا اللهَ فَأَنْسَاهُمْ أَنْفُسَهُمْ**﴾[1].

---

(١) سورة الحشر: ١٩.

ولا يخفى أن تجنب الألم وجلب اللذة هو آخر ما يأتي في سلسلة العلل، فلا يقال: لما ذا يسعى الإنسان وراء اللذة، ولماذا يتجنب الألم؟

ولا فرق في ذلك أن يقال: إن (اللذة) لا حقيقة لها، وإنما هي دفع (ألم)، فالشارب يلتذ أي يدفع ألم العطش، والذي ينام يلتذ أي يدفع النعاس، والذي يتمدد يلتذ أي يدفع ألم التعب، كما ذهب إلى ذلك بعض.

أو يقال: إن لها حقيقة، وأنها والألم من قبيل الملكة والعدم، كما ذهب إلى ذلك المشهور.

فإن هذا الاختلاف لا يضر ما نحن بصدده، من أن الألم واللذة مطلوبان لذاتهما.

ولننظر إلى القرآن كيف يوجه الإنسان إلى الأمر الأول:

أ: فالقرآن لا يأتي بالبراهين الفلسفية لإثبات الألوهية وصفات الإله، وإن كان من الممكن إرجاع بعض الآيات إلى البراهين (الدورية) و(التسلسلية) وما أشبه، وهذا وإن كان لازما أيضاً، ولذا نجده أحياناً في كلام الأنبياء والأئمة (عليهم السلام) إلاّ أن ذلك لبعض الناس، ولعلهم لا يتجاوزون الواحد في مائة ألف أو أقل، والقرآن يأتي ببراهين يلمسها كل إنسان، من الوصول إلى المؤثر من أثره، مثلا يقول سبحانه: **﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّماواتِ وَالْأَرض وَاخْتِلافِ اللَّيْلِ وَالنَّهارِ لَآياتٍ لِأُولِي الْأَلْبابِ، الَّذينَ يَذْكُرُونَ اللهَ قِياماً وَقُعُوداً وَعَلى جُنُوبِهِمْ، وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّماواتِ وَالْأَرض، رَبَّنا ما خَلَقْتَ هذا باطِلاً، سُبْحانَكَ فَقِنا عَذابَ النَّارِ﴾**[1].

---

(١) سورة آل عمران: ١٩١.

إلى غيرها من الآيات الكثيرة، إن هناك خلقاً منظماً، يدل على خالق عالم قدير حكيم ينظم، وهذا يدل عليه ضرورة العقول، ومن هذا الخلق يستخرج معرفة كل صفاته الأولية سبحانه وتعالى، فإن غير العالم القدير لا يعطي العالم القدير، وغير الحكيم لا يعطي الأمر المنظم، لبداهة العقل (إن فاقد الشيء لا يعطيه) كما قال الشاعر الفارسي:

ذات نا يافته از هستي بخش   كي تواند كه شود هستي بخش

ولا بأس بالإشارة هنا إلى دفع إشكال، وهو أن هذه القاعدة إن استقامت فكيف أعطى الله (الموت) وهو حي، وأعطى (الفقر) وهو غني، وأعطى (الجهل) وهو عالم، وأعطى (الجسم والصورة والعرض) ولا جسم ولا صورة ولا عرض له؟

والجواب: إن (الموت والفقر والجهل) إن كانوا وجودات فالله الموجود أعطاها، وإن كانوا عدمات، فالله لا يعطى العدم، بل هو هو بنفسه (بل هذه العبارة: «هو هو..» من ضيق مجال الكلام) وقوة القدرة تتمكن من إعطاء غير سنخ القادر، كما يتصور الإنسان في ذهنه صوراً مع أنها غير سنخ القادر، فالمراد بـ (قاعدة فاقد الشيء لا يعطيه) فقده إمكانية الإعطاء، لا فقده ذات الشيء، ولذا لا تنقض بإعطاء الله (الذي ليس بجسم) الجسم، فلا يقال كما يستحيل الثاني يستحيل الأول، إذ ظهر الجواب وأن الله له قوة القدرة، فيعطي ما ليس من سنخه سبحانه، بينما الجسم ليس له قوة القدرة، فلا يتمكن أن يعطي جسماً، بله إعطائه المجرد.

وعلى كل حال، فاللازم توجيه الإنسان إلى الله بسبب المخلوقات والآيات الكونية، كما هو أسلوب القرآن الحكيم.

ب: كما أن القرآن يأتي بالأشياء الواضحة التي تدل على صحة النبوة والأنبياء، قال تعالى: **﴿هُوَ الَّذي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولاً مِنْهُمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آياتِهِ ويُزَكِّيهِمْ ويُعَلِّمُهُمُ الْكِتابَ والْحِكْمَةَ، وإِنْ كانُوا مِنْ قَبْلُ لَفي ضَلالٍ مُبِينٍ﴾**[1]، فإن كل إنسان يعلم أنه لا بد من حكمة في خلق الكون، والعقول لا تصل إلى الحكمة، ولذا نجد الاختلاف الهائل بين البشر العقلاء الخالين عن الأغراض والهوى، فلا بد وأن يكون الخالق الحكيم له غرض في الخلق، ولا بد من إرسال رسل لبيان تلك الأغراض، وتلك الأغراض يلخصها القرآن الحكيم: **﴿يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آياتِهِ﴾** لإلفاتهم، **﴿وَيُزَكِّيهِمْ﴾** عن ما يشينهم **﴿وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتابَ﴾** الأحكام **﴿وَالْحِكْمَةَ﴾**[2] كيف يتصرفون في شؤونهم، ويضعون كل شيء موضعه، (الموضوعات).

ومن المعلوم أن تنظيف الأرض من الأعشاب الضارة، مقدم على إنبات النبات الطيب فيها.

ج: وفي المعاد يأتي القرآن بالأدلة العميقة الواضحة المقنعة: **﴿وَضَرَبَ لَنا مَثَلاً ونَسِيَ خَلْقَهُ قالَ مَنْ يُحْيِي الْعِظامَ وهِيَ رَميمٌ قُلْ يُحْيِيهَا الَّذي أَنْشَأَها أَوَّلَ مَرَّةٍ وهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَليمٌ﴾**[3]، **﴿أَفَعَيينا بِالخَلْقِ الأَوَّلِ﴾**[4]، إلى غيرهما من الآيات.

إذاً لا مانع من المعاد، إذ المانع إن كان تبدل صورة الإنسان إلى التراب،

---

(١) سورة الجمعة: ٢.

(٢) سورة البقرة: ١٢٩.

(٣) سورة يس: ٧٨.

(٤) سورة ق: ١٥.

فمن بدأ بخلق الصورة قادر على أن يعيدها، وإن كان المانع أنه من أين يعلم أين وقعت الذرات، فالله عالم بكل شيء، فهل يجهل مكان ذرات التراب، فلم يبق إلاّ الاستبعاد، ويجيب القرآن: ﴿**أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْناكُمْ عَبَثاً وَإِنكُمْ إِلَيْنا لا تُرْجَعُونَ**﴾[1]، إذ إذا كان الإنسان يظلم ثم لا يعاقب، أو يحسن ثم لا يجازى، كان خلقه من أظهر أنواع العبث.

أما سائر الإشكالات الفلسفية: كشبهة الآكل والمأكول، وشبهة أن الصورة كانت شريكة للمادة في الذنب وهي لا تعاد، لفرض أن المادة الجديدة الخلقة لها صورة جديدة، وشبهة أن الأرض أصغر حجماً من الأموات، فلنفرض أن الأرض مائة رطل، وأجسام الناس الذين خلقوا ثم ماتوا مائتي رطل، إلى غيرها، فهي إشكالات واهية في غاية الوهن، إذ المهم الروح لا الهيكل، والروح غير متغاير، وما المانع من أن الهيكل يكون جديداً كلية، ولنفرض أنا صنعنا قالباً لزيد وأخرجنا روح زيد من هيكله وأدخلناه في هذا القالب الجديد، أليس يستحق الثواب والعقاب الذين كان يستحقهما وهو في قالبه القديم.

بالإضافة إلى أن أصل هذه الإشكالات قليلة التداول، ثم لم يثبت تحقق موضوع هذه الإشكالات، فليس مهم القرآن أن يجيب عن مثل هذه الإشكالات.

ثم لننظر القرآن كيف يوجه إلى (الأمر الثاني) فإن القرآن ذكر في جملة كبيرة من الآيات الكريمة الإنسان، وأنه كيف خلق، وإلى ماذا ينتهي، ومما ذا ركب، كما ذكر صفاته ومزاياه وخيّره وشريره، ﴿**بَلْ يُرِيدُ الْإِنسان لِيَفْجُرَ**

(١) سورة المؤمنون: ١١٥.

أَمامَهُ، يَسْأَلُ أَيّانَ يَوْمُ الْقِيامَةِ﴾[١]، ﴿إِنّا هَدَيْناهُ السَّبيلَ إما شاكِراً وإِمّا كَفُوراً﴾[٢]، ﴿وَالْعَصْرِ إنّ الْإِنسان لَفي خُسْرٍ، إلاّ الَّذينَ آمَنُوا وعَمِلُوا الصّالِحاتِ وتَواصَوْا بِالْحَقِّ وتَواصَوْا بِالصَّبْرِ﴾[٣].

أما قصة خلق الإنسان، فقد بدأت بقصة خلق آدم (عليه السلام)، ﴿خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ واحِدَةٍ وخَلَقَ مِنْها زَوْجَها وبَثَّ مِنْهُما رِجالاً كَثيراً ونِسَاءً﴾[٤].

أما خرافة (داروين) فهي أشبه بقصص ألف ليلة وليلة.

كما أن قصة انتهاء الإنسان في هذه الدنيا تنتهي إلى حد ﴿فَإِذا بَرِقَ الْبَصَرُ وَخَسَفَ الْقَمَرُ، وجُمِعَ الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ، يَقُولُ الْإِنسانُ يَوْمَئِذٍ أَيْنَ الْمَفَرُّ كَلاَّ لا وَزَرَ إلى رَبِّكَ الْمُسْتَقَرُّ﴾[٥].

وقصة كل فرد ينتهي إلى: ﴿كَلاَّ إذا بَلَغَتِ التَّراقِيَ وَقيلَ مَنْ راقٍ وظَنَّ أَنَّهُ الْفِراقُ والْتَفَّتِ السَّاقُ بِالسَّاقِ إلى رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ الْمَساقُ﴾[٦].

وأما قصة تركيبه فهو مركب من ﴿صَلْصالٍ مِنْ حَمَإٍ مَسْنُونٍ﴾[٧]، أخس شيء وأكثر شيء عفونة ... ومن أحسن شيء وأغلى شيء ﴿فَإِذا

(١) سورة القيامة: ١٥.
(٢) سورة الإنسان: ٣.
(٣) سورة العصر: ٣.
(٤) سورة الأعراف: ١٨٩.
(٥) سورة القيامة: ١١.
(٦) سورة القيامة: ٢٧ .
(٧) سورة الحجر: ٢٦.

سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فيهِ مِنْ رُوحي فَقَعُوا لَهُ ساجِدينَ﴾[١]، روح شرفه الله بانتسابه إلى نفسه دلالة لعظمته، كما شرف بيتاً بانتسابه إلى نفسه، وكتاباً وناقة كذلك، فقيل: (بيت الله) و(كتاب الله) و(ناقة الله) ..

ومن شيء ثالث بين هذين القطبين، هي النفس **﴿وَنَفْسٍ وما سَوَّاها * فَأَلْهَمَها فُجُورَها وتَقْواها﴾**[٢]، فإذا علت النفس إلى جانب الروح، فـ **﴿قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاها﴾**[٣].

وإذا سفلت إلى جانب الطين، فـ **﴿قَدْ خابَ مَنْ دَسَّاها﴾**[٤].

ثم يكرر القرآن تذكير الإنسان بأنه لم يكن شيئاً مذكوراً: **﴿هَلْ أَتَى عَلَى الْإنسان حينٌ مِنَ الدَّهْرِ لَمْ يَكُنْ شَيْئاً مَذْكُوراً، إِنَّا خَلَقْنَا الْإنسان مِنْ نُطْفَةٍ أَمْشاجٍ نَبْتَليهِ، فَجَعَلْناهُ سَميعاً بَصيراً﴾**[٥].

وذلك لئلا ينسى الإنسان نفسه، فيذكر أصله، ويفكر في ذاته، فقبل وجوده أين كانت هذه الصفات والمزايا والخصوصيات، من كرم وشجاعة وغيرة ومروة وجبن وبخل وحسد وحقد وغيرها، ما هي أصلها، وما هو موضعها، وما هي حقيقتها، من أين جاءت، وإلى أين تذهب، وكيف تنشط، وكيف تضعف؟

وكذلك قبل وجوده أين كانت هذه القوى: الباصرة والحافظة

(١) سورة الحجر: ٢٩.

(٢) سورة الشمس: ٧ـ ٨.

(٣) سورة الشمس: ٩.

(٤) سورة الشمس: ١٠.

(٥) سورة الإنسان: ١ ـ٢.

واللامسة والذائقة والشامة والسامعة وغيرها، وما هي، وكيف أتت، وكيف تذهب، وإلى أين تذهب؟

وكذلك قبل وجوده أين كانت هذه الجمالات، جمال العين، وجمال الوجه، وجمال الجسم، وغيرها، ثم أين تذهب؟

وكذلك ما هي حقيقة هذه الأجهزة التي تتحرك في جسمه ليل نهار، ومن يحركها، وكيف تتحرك، ولماذا تسكن يوم تسكن؟

إلى ألف سؤال وسؤال، كلها كانت وإلى الآن بقيت بلا جواب، ولذا قال بعضهم: إن معنى «من عرف نفسه فقد عرف ربه»(١) يشير إلى (العقد السلبي) أي كما لا يتمكن الإنسان من معرفة الرب، كذلك لا يتمكن من معرفة النفس.

أما ثالث توجيهات القرآن، فهو إلى الكون والحياة، فالكون مسخر للإنسان وخلق لأجل الإنسان **﴿وَسَخَّرَ لَكُمُ الشَّمْسَ والْقَمَرَ دائِبَيْنِ، وسَخَّرَ لَكُمُ اللَّيْلَ والنَّهارَ وآتاكُمْ مِنْ كُلِّ ما سَأَلْتُمُوهُ وإن تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللهَ لا تُحْصُوها﴾**(٢).

ولذا فليس على البشر إلاّ أن يفكر ويعمل ليطلع على ذخائر الكون، **﴿وَللهِ خَزائِنُ السَّماواتِ وَالْأَرض﴾**(٣)، ويستخدمها في سبيل إنماء نفسه ورفع حاجات بني جنسه وتقديمهم إلى الأمام، ثم لا يتمكن البشر من ذلك إلاّ إذا أخذ بأنظمة القرآن الذي يوجب له الاطمئنان في الحياة، ليفرغ في

---

(١) غوالي اللئالي: ج٤ ص١٠٢ ح١٤٩.

(٢) سورة إبراهيم: ٣٣.

(٣) سورة المنافقون: ٧.

استخراج الكنوز.

لا يقال: فلماذا المسلمون لم يتمكنوا من استخراج كنوز الكون حتى جاء الغرب الكافر واستخرجها؟

لأنه يقال: لم يتمكن المسلمون، لأن الحكام الذين حكموهم كانوا على خلاف الإسلام، فمنعوهم عن السير في المسير الإسلامي الذي يوجب استخراج الكنوز، ولذا لا تجد أنت حصيلة سبعمائة سنة من حكم بني أمية وبني العباس إلاّ ساعة واحدة فقط، أو بضع صناعات لا تكون إلا حصيلة مفكر واحد، ولو سارت الحكومات الإسلامية في المسير الإسلامي الصحيح كانت البشرية قبل ألف سنة وصل إلى ما وصل إليه العلم في هذا اليوم، بل لعلهم كانوا وصلوا إلى ما سيصل إليه البشر بعد آلاف السنوات.

نعم تعلم الغرب من المسلمين علوماً وعلوماً، وبها تمكنوا من التقدم إلى الأمام، كما يعترف بذلك المنصفون من علماء الغرب، فانطبق على ذلك قول الإمام أمير المؤمنين (عليه السلام): «الله الله في القرآن، لايسبقكم بالعمل به غيركم»[1]، والحديث المشهور: «رب حامل فقه إلى من هو أفقه منه»[2].

لكن الغرب حيث لم يسر في كل مسير الإسلام اقترف ذنبين في جملة ذنوبه: ذنب كبت العلم بقدر كبير، كما يدل على ذلك منعهم دول العالم الثالث ـ على اصطلاحهم ـ عن النمو والتقدم، فتجمدت أفكار وكسدت عقول، وبقيت الأكثرية من البشر شللا عن الإنتاج والعمل، وذنب إلقاء

(١) نهج البلاغة: الكتاب ٤٧.

(٢) الكافي: ج١ ص٤٠٤ باب ما أمر به النبي (صلى الله عليه وآله) بالنصيحة ... ح٢.

العالم في أتون الحروب والثورات، والاهتمام بصنع وسائل الدمار والهلاك، مما سبب سلب الراحة عن الإنسان، وصرف طاقاته الخلاقة في الهدم عوض البناء، وإذا سمح الله سبحانه لنهضة قرآنية صحيحة، تمكن البشر أن يقفز في سنوات، قدر ما قفزه العلم منذ عشرات القرون، وما ذلك على الله بعزيز.

تطبيق القرآن على أسلوب الرسول ﷺ

(مسألة ٢٢): يجب تطبيق القرآن على أسلوب رسول الله (صلى الله عليه وآله)، فإن الرسول (صلى الله عليه وآله) هو أفضل مطبق للقرآن، وأعرف شخص على إرادة القرآن، ولا يمكن للإنسان ذلك إلاّ إذا عرف تاريخ الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) مفصلاً، وتمكن من المقايسة بين قضايا الرسول (صلى الله عليه وآله) التي زاولها في حياته الكريمة، وبين قضايا العصر، إذ التطبيق من الأمور الإضافية، وهي لا تكون إلاّ بالطرفين كما هو واضح، مثلا:

١. ورد في القرآن الكريم: ﴿**وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الأُولَى**﴾[1]، ورأينا رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) صاحب النساء في الحرب والحج والأسفار، وكنّ يحضرن جماعته وجمعته، وكنّ يحاربن بعض الأحيان، ويضمدن الجرحى، وكانت فاطمة وزينب (عليهما السلام) وهما تلميذتان لمكتبه دافعتا عن الحق بالخطابة وما أشبه .. إلى غير ذلك مما يدل على أن المراد من (قرن) عدم الاستهتار، لا ما هو ظاهر اللفظ.

٢. وورد: ﴿**وَلا تَأْكُلُوا أَمْوالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْباطِلِ إلاّ أن تَكُونَ تِجارَةً عَنْ تَراضٍ مِنْكُمْ**﴾[2]، ورأينا رسول الله (صلى الله عليه وآله) صادر أموال الكفار المحاربين، ولو كان تحصيلهم لها من الطرق المشروعة، وأحرق مسجد

---

(١) سورة الأحزاب: ٣٣.

(٢) سورة النساء: ٢٩.

ضرار، مما يدل على أن هذا النوع من المصادرة والإتلاف ليس داخلاً في عموم ﴿لا تأكلوا﴾ ويجوز لولي أمر المسلمين مثل ذلك في ظروف مشابهة لظروف الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم).

٣. وورد: ﴿**يا أَيُّهَا النَّبِيُّ جاهِدِ الْكُفَّارَ وَالْمُنافِقِينَ**﴾(١)، بينما لم يحارب الرسول (صلى الله عليه وآله) محاربة بالسيف حتى منافقاً واحداً، مما يدل على أن المراد الجهاد بحسب المصلحة، فقد يكون بالسيف، وقد يكون بأساليب أخر، فقد جرت سيرة الرسول (صلى الله عليه وآله) حسب ما يظهر من التاريخ أنه كان يستدرج الكفار إلى النفاق، والمنافقين إلى المؤمنين، بمختلف الوسائل والسبل، وليس المراد أنه (صلى الله عليه وآله) كان يجعل كل كافر منافقاً، بل المراد أنه (صلى الله عليه وآله) كان يجمع كلهم تحت لوائه، سواء دخل في الإيمان من أعماق قلبه، أو دخله سطحياً، ﴿**قالَتِ الْأَعْرابُ آمَنَّا قُلْ لَمْ تُؤْمِنُوا وَلكِنْ قُولُوا أَسْلَمْنا ولَمَّا يَدْخُلِ الْإِيمانُ فِي قُلُوبِكُمْ**﴾(٢).

٤. وورد: ﴿**وَلا تُصَلِّ عَلى أَحَدٍ مِنْهُمْ ماتَ أَبَداً ولا تَقُمْ عَلى قَبْرِهِ**﴾(٣)، وقد صلى الرسول (صلى الله عليه وآله) على ابن أُبَيّ، وقام على قبره، مما يدل على أن المراد صلاة الرحمة وقيام الشفقة، بينما الرسول (صلى الله عليه وآله) صلى عليه صلاة العذاب، وقام على قبره قيام استدراج عشيرته إلى الإسلام.

٥. وورد أيضاً: ﴿**فَلا وَرَبِّكَ لا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيما شَجَرَ بَيْنَهُمْ**

(١) سورة التوبة: ٧٣.

(٢) سورة الحجرات: ١٤.

(٣) سورة التوبة: ٨٤.

ثُمَّ لا يَجِدُوا في أَنْفُسِهِمْ حَرَجاً مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيماً﴾[1].

ثم نراه (صلى الله عليه وآله) عامل مع الرادين عليه معاملة لينة، كما عامل ابن أبيّ في قصة البئر، وعامل حاطب في قصة فتح مكة، وعامل عمر في قصتي الحديبية والمتعة، وعامل عائشة وحفصة في قصتي نزاعهما معه (عليه السلام)، حتى أن أبابكر لطم عائشة لطمة جرت الدماء من وجهها، كما يحدثنا بذلك كتب العامة، إلى غير ذلك مما يدل على أن المراد بالآية الإيمان الكامل، فلا يحر الراد بمثل هذه الردود في زاوية الكفار.

٦. وورد أيضاً: **﴿وَمَنْ يُوَلِّهِمْ يَوْمَئِذٍ دُبُرَهُ إلاّ مُتَحَرِّفاً لِقِتالٍ أو مُتَحَيِّزاً إلى فِئَةٍ فَقَدْ باءَ بِغَضَبٍ مِنَ اللهِ﴾**[2].

ثم نراه (صلى الله عليه وآله) لم يعزر الفارين من الحروب، مع أن الفرار من الحرب معصية كبيرة، يستحق الفار بسببه التعزير، مما يدل على لزوم مراعاة قاعدة الأهم والمهم في أمثال هذه المقامات، فحيث رأى (صلى الله عليه وآله) أن قوة المسلمين تتوقف على العفو والإغماض، قدمها على إجراء الحد على أولئك الفارين.

ومنه يتبين وجود الشفاعة في الحد إذا كانت هناك أهمية في قبولها، وأن المراد بـ «لا شفاعة في الحدود»[3] ما إذا لم يصطدم بأمر أهم، ولذا لما انشدت أخت نضر لرسول الله (صلى الله عليه وآله) قصيدتها المشهورة، والتي منها:

أمحمد ولأنت نسل نجيبة   في قومها والفحل فحل معرق

(١) سورة النساء: ٦٥.

(٢) سورة الأنفال: ١٦.

(٣) انظر وسائل الشيعة: ج٢٨ ص٤٧ ب٢٤ ح٣٤١٧٩ وفيه: «ولا شفاعة ولا كفالة ولا يمين في حد».

ما كان ضرك لو مننت وربما   من الفتى وهو المغيظ المحنق[1]

قال (صلى الله عليه وآله): لو كنت سمعتها قبل أن يقتل نضر لأمرت بالكف عنه، كما يحدثنا بذلك التاريخ[2].

وكذلك عفى علي (عليه السلام) عن شمر بشفاعة الحسين (عليه السلام).

إلى غير ذلك من قصصه (صلى الله عليه وآله) وقصصهم (عليهم السلام).

إلى غير ذلك من تطبيقاته (صلى الله عليه وآله) للقرآن، وأسلوب جمعه الناس وهدايتهم، فقد عفى عن أهل مكة، وكان ذلك من خطواته الحكيمة، إذ لولا العفو لم تستقم له مكة، حتى يتمكن من حرب حنين، وقد استفاد (صلى الله عليه وآله) من خبروية أهل مكة في شؤونه الحربية لتوسيع رقعة الإسلام، كما صادق الكل، وجمع من تمكن بهم، إما لإخلاصهم أو لأجل سكوتهم من نشر الإسلام، فأعطى لهذا بنتاً، وأخذ من هذا بنتاً، وسود هذا في الحرب، وأعطى هذا المال، ومنح هذا أرضاً، وجعل هذا رئيساً على عشيرته، إلى غير ذلك مما يلزم على كل من يريد نشر الإسلام اتباعه والاقتداء به، قال سبحانه: ﴿**لَقَدْ كانَ لَكُمْ في رَسُولِ اللهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ**﴾[3].

---

(١) انظر بلاغات النساء: ص٢٣٥، وشرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ج١٤ ص١٧٢.

(٢) شرح نهج البلاغة: ج١٤ ص١٧٢ وفيه: (ورُوي أن النبي صلى الله عليه وآله لما وصل إليه شعرها رق له وقال: لو كنت سمعت شعرها قبل أن أقتله لما قتلته).

(٣) سورة الأحزاب: ٢١.

فضح الباطل من الحكام والأثرياء والعلماء

(**مسألة ٢٣**): الواجب على المسلمين اتباع القرآن الكريم في التشهير بالمزيف من الحكام، والمنحرف من الأثرياء، والمضل من العلماء، كما يجب تأييد الصالح من الحكام، وتقوية المستقيم من الأثرياء، والالتفات حول الهادي من العلماء، وذلك لوضوح أن هؤلاء الثلاثة إن صلحوا صلحت البلاد والعباد.

فالحاكم الصالح يحفظ العدل في البلاد، ويسبب نمو الأمة وتقدمها، والثري المستقيم يحفظ التوازن بين كونه مخزوناً للمال لأجل ما يحتاج إلى الأموال الضخمة، وبين كونه قائماً بالمشاريع الخيرية، والعالم الراشد يحفظ الأمة من الانزلاق في مهاوي الخرافة ومزالق الرذيلة، ثم يحثهم للتقدم إلى الأمام ليسعدوا في دنياهم وآخرتهم.

وبالعكس من كل ذلك المزيف من الحكام، والمنحرف من الأثرياء، والمضل من العلماء، فإن الأول يفسد الناس بسلطانه، والثاني يفقر الناس باحتكاره واستثماره، والثالث يضل الناس بعلمه واستحواذه على القلوب، ولذا جرد القرآن الحكيم أكبر حملة تشهيرية على هؤلاء، كما بين مقاييس الصالح منهم، فنجد مثلا في قصة موسى (عليه السلام) أنه قابل الطوائف الثلاثة:

١ : فمن الحكام العاتين قابل فرعون، وقد كان غالياً من المسرفين،

﴿يُذَبِّحُ أَبْناءَهُمْ ويَسْتَحي نِساءَهُمْ﴾[(١)]، وقد عبّد بني إسرائيل ﴿وَتِلْكَ نِعْمَةٌ تَمُنُّها عَلَيَّ أن عَبَّدْتَ بَني إِسْرائيلَ﴾[(٢)]، وقد ﴿عَلا فِي الْأَرض وجَعَلَ أَهْلَها شِيَعاً يَسْتَضْعِفُ طائِفَةً مِنْهُمْ﴾[(٣)]، إلى غيرها من الآيات.

والذين يقفون مدهوشين تحت الأهرامات في مصر يجب أن يتذكروا مئات الألوف من المظلومين والمضطهدين الذين كانوا يئنون تحت سياط فرعون لبناء الأهرامات، لا أن يمجدوا الملك الظالم الذي بنى الأهرامات.

نعم فليتذكروا قوله سبحانه:

﴿كَمْ تَرَكُوا مِنْ جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ * وَزُرُوعٍ وَمَقامٍ كَريمٍ * وَنَعْمَةٍ كانُوا فيها فاكِهينَ * كَذلِكَ وَأَوْرَثْناها قَوْماً آخَرينَ * فَما بَكَتْ عَلَيْهِمُ السَّماءُ وَالْأَرضُ وَمَا كانُوا مُنْظَرينَ﴾[(٤)].

وقد قرأ هذه الآيات الإمام أمير المؤمنين (عليه السلام) حيث مرّ على قصور كسرى في بغداد[(٥)].

٢: ومن الأثرياء الشرهين قابل قارون: ﴿إِنَّ قارُونَ كانَ مِنْ قَوْمِ مُوسى فَبَغى عَلَيْه وَآتَيْناهُ مِنَ الْكُنُوزِ مَا إن مَفاتِحَهُ لَتَنُوءُ بِالْعُصْبَةِ أُولِي الْقُوَّةِ إِذْ قالَ لَهُ قَوْمُهُ لا تَفْرَحْ إن اللهَ لا يُحِبُّ الْفَرِحينَ * وَابْتَغِ فيما آتاكَ اللهُ الدَّارَ الآخرة وَلا تَنْسَ نَصيبَكَ مِنَ الدُّنْيا وَأَحْسِنْ كَما أَحْسَنَ اللهُ إِلَيْكَ ولا تَبْغِ

(١) سورة القصص: ٤.

(٢) سورة الشعراء: ٢٢.

(٣) سورة القصص: ٤.

(٤) سورة الدخان: ٢٥ ـ ٢٩.

(٥) انظر بحار الأنوار: ج٣٢ ص٤٢٢ ب١١، والبحار: ج٨٩ ص٢٩٩ ب٦٥.

﴿الْفَسادَ فِي الْأَرض﴾(١)، لكنه لم ينفعه النصح، بل ازداد عتواً وفساداً، أخذ يمتص دماء الفقراء، ويتبختر ويخرج على قومه في زينته، ويبغي على موسى (عليه السلام) وسائر بني قومه، والغريب في الأمر أنه لم يعتبر بما رأى من نكال الله بالنسبة إلى فرعون وهامان وجنودهما حتى صار مصيره مصيرهم، **﴿فَخَسَفْنا بِهِ وبِدارِهِ الْأَرض﴾**(٢) وبقي عبرة لكل ثري مفسد يمنع حقوق الله ويمتص دماء الفقراء.

٣: ومن العلماء المضلين، قابل موسى (عليه السلام) بلعم، فقد آتاه الله آياته ـ اسم الأعظم، كما في بعض التفاسير ـ **﴿فانسَلَخَ مِنْها فَأَتْبَعَهُ الشَّيْطانُ فَكانَ مِنَ الْغاوينَ، وَلَوْ شِئْنا لَرَفَعْناهُ بِها وَلكِنَّهُ أَخْلَدَ إِلى الْأَرض وَاتَّبَعَ هَواهُ، فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ الْكَلْبِ إِنْ تَحْمِلْ عَلَيْهِ يَلْهَثْ أَوْ تَتْرُكْهُ يَلْهَثْ﴾**(٣)، وهكذا يكون شأن العالم المفسد، إنه يريد الاستحواذ على الأمة، وحيث يرى التفافهم حول المصلحين لابد وأن ينتقصهم ويتآمر عليهم، فهو كالكلب يأخذ في النباح على الإنسان، سواء تعرض له أو تركه وأخذ يمشي في طريق نفسه، وهكذا أخذ بلعم يلهث ضد موسى (عليه السلام) وينتقصه، حتى التحق بعذاب الله، وصار عبرة للعالم المفسد.

وفي آيات أخر يأخذ القرآن في ذم هؤلاء الثلاثة، تحذيراً للناس منهم، فبالنسبة إلى الحاكم المفسد يذكر قصة نمرود وملك أخدود، وعاد وغيرهم: **﴿الَّذينَ طَغَوْا فِي الْبِلادِ فَأَكْثَرُوا فيهَا الْفَسادَ فَصَبَّ عَلَيْهِمْ رَبُّكَ صوت**

(١) سورة القصص: ٧٦ ـ ٧٧.

(٢) سورة القصص: ٨١.

(٣) سورة الأعراف: ١٧٩.

عَذابٍ إنّ رَبَّكَ لَبِالْمِرْصادِ﴾[١].

وبالنسبة إلى الثرى الشره، يذكر القرآن قصة أصحاب الجنة **﴿الّتي أَصْبَحَتْ كَالصَّرِيمِ﴾**[٢] حينما منعوا حق الله عن عباد الله، وقصة الذين **﴿بَخِلُوا بِهِ وتَوَلَّوْا وَهُمْ مُعْرِضُونَ * فَأَعْقَبَهُمْ نِفاقاً في قُلُوبِهِمْ إلى يَوْمِ يَلْقَوْنَهُ﴾**[٣].

وبالنسبة إلى العالم المضل، يذكر القرآن الحكيم قصة **﴿الَّذينَ حُمِّلُوا التَّوْراةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوها﴾** مثلهم **﴿كَمَثَلِ الْحِمارِ يَحْمِلُ أَسْفاراً﴾**[٤]، إلى غيرها من القصص المعروفة.

كل ذلك، لأجل أن هؤلاء الثلاثة (الحكام والأثرياء والعلماء) يملكون قوة في المجتمع (قوة السلاح، وقوة المال، وقوة العلم) فإن أحسنوا استخدامها صلحت الأمة بصلاحهم، وإن أساؤوا استخدامها فسدت الأمة بفسادهم، ولذا ورد في حديث رسول الله (صلى الله عليه وآله): «طائفتان من أمتي إن صلحتا صلحت أمتي، وإن فسدتا فسدت أمتي، العلماء والأمراء»[٥]، ولم يذكر الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) في هذا الحديث الأثرياء، لأنهم في الدرجة الثانية، وإنما الدرجة الأولى خاصة بالحكام والعلماء.

---

(١) سورة الفجر: ١٣.

(٢) سورة القلم: ٢٠.

(٣) سورة التوبة: ٧٦ ـ ٧٧.

(٤) سورة الجمعة: ٥.

(٥) انظر بحار الأنوار: ج٢ ص٤٩ ب١١ ح١٠ وفيه: (صنفان من أمتي إذا صلحا صلحت أمتي، وإذا فسدا فسدت أمتي... الفقهاء والأمراء).

وعلى هذا فالواجب على الأمة مراقبة هؤلاء الثلاثة مراقبة دقيقة، كي لا يضلوا عن الصراط السوي، وقد جعل الإسلام لكلهم موازين دقيقة.

أ: فالحاكم يجب أن يكون مجتهداً عادلاً، ويأتي إلى الحكم باختيار الناس له، ومن المعلوم أنه إن توفر في الحاكم الوازعان، الوازع النفسي بالعدالة الكاملة، والوازع الخارجي باختيار الأمة له ورقابتهم عليه، لم يسئ التصرف، فقد ورد في الحديث الشريف: «مَن كان من الفقهاء صائناً لنفسه، حافظاً لدينه، مخالفاً لهواه، مطيعاً لأمر مولاه، فللعوام أن يقلدوه»[١].

ب: والعالم يجب أن يكون ورعاً، فقد ورد في الحديث: «الدنيا داء، والعالم طبيب، فإذا رأيتم الطبيب يجر الداء إلى نفسه فاتهموه»[٢].

وفي حديث آخر: «إذا رأيتم العلماء على أبواب الملوك فقولوا بئس العلماء وبئس الملوك، وإذا رأيتم الملوك على أبواب العلماء فقولوا نعم العلماء ونعم الملوك»، لوضوح أن الملك لا يذهب إلى بيت العالم إلاّ إذا كان معيناً من قبل الناس وكان عادلاً، وأن العالم لا يذهب إلى باب دار الملك إلاّ إذا كان الملك دكتاتوراً والعالم محباً للدنيا.

ج: والثري يجب أن يكون أخذه للمال بالحق، ووضعه للمال بالحق، ويؤدي حق الله، وإلا أوقف عند حده إذا أراد تجاوز الحد.

ففي الحديث: «إن الله جعل لكل شي حدّاً، وجعل لمن تعدى ذلك الحدّ حداً»[٣]، وحيث إنا قد ذكرنا في كتاب (الفقه: الحكم في الإسلام)

---

(١) وسائل الشيعة: ج١٨ ص٩٤ الباب ١٠ صفات القاضي ح٢٠.

(٢) انظر وسائل الشيعة: ج٢٠ ص٢٦ ب٤ ح٢٤٩٣٨. عن عيسى عليه السلام: (الدنيا داء الدين والعالم طبيب الدين، فإذا رأيتم الطبيب يجر الداء إلى نفسه فاتهموه واعلموا أنه غير ناصح لغيره).

(٣) راجع الكافي: ج٧ ص١٧٤ باب التحديد ح٤.

بعض موازين الحكام والأثرياء والعلماء، بإسهاب أو تلويحاً، فلا حاجة هنا إلى تكرار ذلك.

وإنما المهم في هذا الكتاب لزوم اتباع الأمة للقرآن الحكيم، في مراقبة الحكام والعلماء والأثرياء، ليكونوا صالحين، ولئلا يفسدوا، لأن في فسادهم فساد البلاد والعباد.

ثم إنه إذا تحالف هؤلاء الثلاثة وكانوا صالحين، كانت البلاد في تقدم، والعباد بخير، وإن تحالفوا وكانوا فاسدين، كانت البلاد في تأخر، والعباد بشر، فعلى الأمة حينئذ أن يجمعوا كل قواهم لتبديد اجتماعهم أولاً، ثم لإخراجهم عن الساحة ليخلفهم أناس صالحون، وقد أودع الله سبحانه بغض الحاكم الجائر والعالم المنحرف والثري الفاسد في قلب الإنسان، كما أودع حب الصالحين منهم في قلوب الناس، ﴿**إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ الرَّحْمَنُ وُدًّا**﴾[1]، وذلك لضمان صلاح البلاد، وراحة العباد، فإذا صلحت الثلاثة التفت القلوب حولهم، حتى يكونوا أطول أعماراً وأبعد آثاراً، وإذا فسدوا تنفرت منهم القلوب، ثم تبتعد منهم الأجسام، وتأخذ الناس في هدمهم لإخراجهم من الساحة، حتى يخلفهم أناس صالحون، والله ينصر الناس حينذاك في إخراجهم من الساحة، ﴿**سَأُلْقِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ فَاضْرِبُوا فَوْقَ الْأَعْنَاقِ وَاضْرِبُوا مِنْهُمْ كُلَّ بَنَانٍ**﴾[2].

---

(١) سورة مريم: ٩٦.

(٢) سورة الأنفال: ١٢.

الانقياد للقرآن والمعصومين عليهم السلام

(مسألة ٢٤): لا شك بالنسبة إلى المؤمن أن كل حكم وقصة وعقيدة قاله القرآن الحكيم صحيح مائة في مائة، وأنه يجب أن يؤمن بكل شيء قاله القرآن، أو قاله شراحه ومفسروه وهم المعصومون (عليهم السلام) بدون مطالبة دليل أو برهان.

وأنه لو قال أحدهم (عليهم السلام) بأن نصف هذا الرمان حلال ونصفه حرام، أو المني من ذي النفس نجس ومن غيره طاهر، أو أن أربع عشرة رضعة ونصفاً لا توجب المحرمية، وإذا وصلت إلى خمس عشرة أوجبت، إلى غير ذلك من الأحكام يجب التصديق به بدون التماس دليل، أو طلب حجة.

لكن مع ذلك اللازم على المسلم أن يتبع طريق القرآن الحكيم في بيان الفلسفة والسبب والعلة والحكمة لكل عقيدة ولكل حكم، بل وذكر الشواهد لكل قصة وتاريخ، فإن ذلك يوجب تثبيت الفؤاد أولاً، ودفع الأعداء ثانياً، والشاهد في الكتاب والسنة يجد ذلك في كل المعارف أخذاً من الألوهية وانتهاءً إلى الاستنجاء، فإن الشريعة أسست على الإقناع والدعوة بالحكمة.

١. فنرى في الألوهية الاستدلالات الكافية في القرآن: ﴿**قَالَ رَبِّيَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا أُحيي وأُميتُ، قَالَ فإن اللهَ يَأْتِي بِالشَّمْسِ مِنَ المَشْرِقِ**

فَأْتِ بِها مِنَ المَغْرِبِ فَبُهِتَ الَّذي كَفَرَ﴾[١].

وقال سبحانه: **﴿لَوْ كانَ فيهِما آلِهَةٌ إلاّ اللهُ لَفَسَدَتا﴾**[٢].

وقال تعالى: **﴿أَلا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وهُوَ اللَّطيفُ الخَبيرُ﴾**[٣].

٢. ونرى في العدل: **﴿وَمَا رَبُّكَ بِظَلاَّمٍ لِلْعَبيدِ﴾**[٤]، فإنه استدلال على عدم الظلم، إذ لو كان ظالماً كان ظلّاماً، وحيث ليس بظلام كما نشاهد في الخارج فليس بظالم، على أحد المعينين في الآية الكريمة.

٣. ونرى في الرسالة: **﴿هُوَ الَّذي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولاً مِنْهُمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آياتِهِ ويُزَكِّيهِمْ ويُعَلِّمُهُمُ الْكِتابَ والْحِكْمَةَ﴾**[٥].

: **﴿قُلْ فَأْتُوا بِعَشْرِ سُوَرٍ مِثْلِهِ مُفْتَرَياتٍ﴾**[٦].

: **﴿قُلْ لَئِنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ والْجِنُّ عَلى أن يَأْتُوا بِمِثْلِ هذَا الْقُرْآنِ لا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ ولَوْ كانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهيراً﴾**[٧].

: **﴿فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا وَلَنْ تَفْعَلُوا فَاتَّقُوا النَّارَ الَّتي وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجارَةُ أُعِدَّتْ لِلْكافِرينَ﴾**[٨].

---

(١) سورة البقرة: ٢٥٨.

(٢) سورة الأنبياء: ٢٢.

(٣) سورة الملك: ١٤.

(٤) سورة فصلت: ٤٦.

(٥) سورة الجمعة: ٢.

(٦) سورة هود: ١٣.

(٧) سورة الإسراء: ٨٨.

(٨) سورة البقرة: ٢٤.

٤. ونرى في الإمامة: ﴿يا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ ما أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِن لَمْ تَفْعَلْ فَما بَلَّغْتَ رِسالَتَهُ﴾[١]، لوضوح أنه استدلال بأنه عند عدم جعل الوصي، يأتي الانتفاعيون ليهدموا الإسلام، فلا أثر لما بلغه الرسول (صلى الله عليه وآله).

: ﴿قالَ ومِنْ ذُرِّيَّتي، قالَ لا يَنالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ﴾[٢].

٥. وفي المعاد: ﴿وَضَرَبَ لَنا مَثَلاً وَنَسِيَ خَلْقَهُ قالَ مَنْ يُحْيِي الْعِظامَ وهِيَ رَميمٌ قُلْ يُحْيِيهَا الَّذي أَنْشَأَها أَوَّلَ مَرَّةٍ وهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَليمٌ، الَّذي جَعَلَ لَكُمْ مِنَ الشَّجَرِ الْأَخْضَرِ ناراً فَإِذا أَنْتُمْ مِنْهُ تُوقِدُونَ، أو لَيْسَ الَّذي خَلَقَ السَّماواتِ والْأَرض بِقادِرٍ عَلى أن يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ، بَلى وهُوَ الخَلاَّقُ الْعَليمُ﴾[٣].

: ﴿إِنَّهُ عَلى رَجْعِهِ لَقادِرٌ﴾[٤].

: ﴿وَالسَّماءِ ذاتِ الرَّجْعِ وَالْأَرض ذاتِ الصَّدْعِ﴾[٥]، فكما ترجع السماء في دوراتها وترجع الأرض في إنبات النبات بعد موتها كذلك يرجع الإنسان.

: ﴿أَفَعَيينا بِالخَلْقِ الأوّل﴾[٦].

---

(١) سورة المائدة: ٦٧.

(٢) سورة البقرة: ١٢٤.

(٣) سورة يس: ٧٨.

(٤) سورة طه: ١٤.

(٥) سورة الطارق: ١٢.

(٦) سورة ق: ١٥.

٦. وفي الصلاة: ﴿وَأَقِمِ الصَّلاةَ لِذِكْرِي﴾[١].

: ﴿إِنَّ الصَّلاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشاءِ وَالْمُنْكَرِ﴾[٢].

٧. وفي الزكاة: ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَنْ تَزَكَّى﴾[٣].

و: ﴿إِنَّمَا الصَّدَقاتُ لِلْفُقَراءِ وَالْمَساكِينِ..﴾[٤].

٨. وفي الخمس: ﴿وَاعْلَمُوا أَنَّما غَنِمْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَأَنّ للهِ خُمُسَهُ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَى وَالْيَتامى وَالْمَساكِينِ وَابْنِ السَّبيلِ﴾[٥].

فإن في الآيات المذكورة استدلالاً لوجوب الخمس والزكاة، وإلا فمن أين يعطى للفقراء، ومن أين يؤمن الرسول (صلى الله عليه وآله) حاجات الاجتماع، وعلى قول الأصوليين: (إن تعليق الحكم بالوصف مشعر بالعلية).

٩. وفي الصوم: ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيامُ كَما كُتِبَ عَلَى الَّذينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾[٦]، فإن الصيام يوجب تقوي الروح على الرذائل بتقوية العزيمة، ويوجب تقوي الجسم عن الأمراض بتنظيفه عن الرواسب وما أشبه، ثم يذكر القرآن الاستدلال لكونه في هذا الشهر الخاص ﴿شَهْرُ رَمَضانَ الَّذي أُنْزِلَ فيهِ الْقُرْآنُ هُدىً لِلنّاسِ وَبَيِّناتٍ مِنَ الْهُدى

---

(١) سورة طه: ١٤.

(٢) سورة العنكبوت: ٤٥.

(٣) سورة الاعلى: ١٤.

(٤) سورة التوبة: ٦٠.

(٥) سورة الأنفال: ٤١.

(٦) سورة البقرة: ١٨٣.

وَالْفُرْقانِ﴾[١]، فالأحرى أن يحتفل الإنسان بنزول القرآن، بأن يأتي ما كان القرآن بصدده من تطهير الروح والجسد، في نفس الشهر الذي أنزل فيه القرآن.

١٠. وفي الحج: **﴿وَإذِنْ فِي النَّاسِ بِالحَجِّ يَأْتُوكَ رِجالاً وَعَلى كُلِّ ضامِرٍ يَأْتينَ مِنْ كُلِّ فَجٍّ عَميقٍ لِيَشْهَدُوا مَنافِعَ لَهُمْ ويَذْكُرُوا اسْمَ اللهِ في أَيّامٍ مَعْلُوماتٍ﴾**[٢].

: **﴿جَعَلَ اللهُ الْكَعْبَةَ الْبَيْتَ الحَرامَ قِياماً لِلنَّاسِ﴾**[٣].

: **﴿لَكُمْ فيها مَنافِعُ إلى أَجَلٍ مُسَمًّى ثُمَّ مَحِلُّها إلى الْبَيْتِ الْعَتيقِ﴾**[٤].

١١. وفي الجهاد: **﴿وَمَنْ جاهَدَ فإنما يُجاهِدُ لِنَفْسِهِ إنّ اللهَ لَغَنِيٌّ عَنِ الْعالَمِينَ﴾**[٥].

: **﴿وَمَنْ يُهاجِرْ في سَبيلِ الله يَجِدْ فِي الأرض مُراغَماً كَثيراً وَسَعَةً﴾**[٦].

: **﴿لا يَسْتَوِي الْقاعِدُونَ مِنَ الْمُؤْمِنينَ غَيْرُ أولي الضَّرَرِ وَالُمجاهِدُونَ في سَبيلِ الله بِأَمْوالِهِمْ وإنفُسِهِمْ فَضَّلَ اللهُ الُمجاهِدينَ بِأَمْوالِهِمْ وأنفُسِهِمْ عَلَى الْقاعِدينَ دَرَجَةً وكُلاًّ وَعَدَ اللهُ الُحسْنى وفَضَّلَ اللهُ الُمجاهِدينَ عَلَى الْقاعِدينَ**

---

(١) سورة البقرة: ١٨٥.

(٢) سورة الحج: ٢٧ و٢٨.

(٣) سورة المائدة: ٩٧.

(٤) سورة الحج: ٣٣.

(٥) سورة العنكبوت: ٦.

(٦) سورة النساء: ١٠٠.

أَجْراً عَظيماً دَرَجاتٍ مِنْهُ ومَغْفِرَةً ورَحْمَةً﴾[١].

١٢. وفي الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر: ﴿وَلْتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلى الخَيْرِ ويَأْمُرُونَ بِالمَعْرُوفِ ويَنْهَوْنَ عَنِ المُنْكَرِ وأُولئِكَ هُمُ المُفْلِحُونَ﴾[٢].

١٣. وفي المحرمات وسائر الأحكام: ﴿قُلْ فيهِما إِثْمٌ كَبيرٌ وَمَنافِعُ لِلنّاسِ وَإِثْمُهُما أكبر مِنْ نَفْعِهِما﴾[٣].

: ﴿لا يَقُومُونَ إِلاّ كَما يَقُومُ الَّذي يَتَخَبَّطُهُ الشَّيْطانُ مِنَ المَسِّ﴾[٤]، فإن المرابي كلما أراد أن يرتفع عن الرذيلة عند يقظة ضميره يسقط مرة ثانية في بوأة المرابات.

: ﴿الَّذينَ يُظاهِرُونَ مِنْكُمْ مِنْ نِسائِهِمْ ما هُنَّ أُمَّهاتِهِمْ إن أُمَّهاتُهُمْ إِلاّ اللاَّئي وَلَدْنَهُمْ وإنهُمْ لَيَقُولُونَ مُنْكَراً مِنَ الْقَوْلِ وزُوراً وإنّ اللهَ لَعَفُوٌّ غَفُورٌ﴾[٥].

١٤. وحتى في القصص والتاريخ يذكر القرآن الدليل والشاهد: ﴿وَإِنَّكُمْ لَتَمُرُّونَ عَلَيْهِمْ مُصْبِحينَ وبِاللَّيْلِ أَفَلا تَعْقِلُونَ﴾[٦].

: ﴿وَإِنَّها لَبِسَبيلٍ مُقيمٍ﴾[٧].

---

(١) سورة النساء: ٩٥.

(٢) سورة آل عمران: ١٠٤.

(٣) سورة البقرة: ٢١٩.

(٤) سورة البقرة: ٢٧٥.

(٥) سورة المجادلة: ٢.

(٦) سورة الصافات: ١٣٧.

(٧) سورة الحجر: ٧٦.

﴿وَبَدَّلْناهُمْ بِجَنَّتَيْهِمْ جَنَّتَيْنِ ذَواتَيْ أُكُلٍ خَمْطٍ وَأَثْلٍ وَشَيْءٍ مِنْ سِدْرٍ قَليلٍ﴾[1].

ثم إن هذا الأسلوب القرآني المبني على الإقناع والاستدلال وذكر الشاهد والدليل والبرهان وبيان الحكمة وفلسفة التشريع، نجده في السنة المطهرة، مع المؤمنين ومع الكافرين على حد سواء، ولا بأس بذكر نتف من ذلك:

١: يقول الإمام الرضا (عليه السلام) في فلسفة تعدد الزوجات، لا الأزواج: «علة تزويج الرجل أربع نسوة وتحريم أن تتزوج المرأة أكثر من واحد، لأن الرجل إذا تزوج أربع نسوة كان الولد منسوباً إليه، والمرأة لو كان لها زوجان أو أكثر من ذلك لم يعرف الولد لمن هو، إذ هم مشتركون في نكاحها، وفي ذلك فساد الأنساب والمواريث والمعارف»[2].

٢. ويقول الرسول (صلى الله عليه وآله) في فلسفة حرمة الزنا: «يا معشر المسلمين إياكم والزنا، فإن فيه ست خصال، ثلاث في الدنيا وثلاث في الآخرة، فأما التي في الدنيا فإنه يذهب البهاء ويورث الفقر وينقص العمر، وأما التي في الآخرة فإنه يوجب سخط الرب وسوء الحساب والخلود في النار»[3].

٣. ويقول الإمام الرضا (عليه السلام) في فلسفة الحجاب: «وحرم النظر إلى شعور النساء المحجوبات بالأزواج وإلى غيرهن من النساء لما فيه من تهييج

(١) سورة سبأ: ١٦.
(٢) علل الشرائع: ج٢ ص٥٠٤ الباب ٢٧١ ح١.
(٣) الخصال: ج١ ص٣٢٠ باب الستة ح٢.

الرجال وما يدعو إليه التهييج من الفساد والدخول فيما لا يحل ولا يجمل، وكذلك ما أشبه الشعور»[١].

٤. وفي فلسفة حرمة الغناء، يقول الرسول (صلى الله عليه وآله): «الغناء رقية الزنا»[٢].

٥. ويقول الإمام الباقر (عليه السلام) في فلسفة حرمة الميتة: «وأما الميتة فإنه لا يدنو منها أحد ولا يأكل إلاّ ضعف بدنه، ونحل جسمه، وذهبت قوته، وانقطع نسله، ولا يموت إلاّ فجأة»[٣].

إلى غيرها من الأحاديث الكثيرة، حتى قال أحد علمائنا الأخيار وهو (المولى عبد الله صاحب الحاشية على منطق التفتازاني): إنه ليس حكم في الشرع إلاّ وأنا أتمكن من إقامة برهان عقلي عليه.

ولو قيض الله سبحانه عالماً، له جماعة عندهم بطولة المجلسي (قدس الله سره) وجماعته، في ذكر فلسفة كل الأحكام وشواهد كل الآيات والأحاديث والقصص الواردة في الكتاب والسنة، وكل سيرة المعصومين (عليهم السلام) على أسلوب اليوم، لوجد العالم أنه لا بديل عن الإسلام في أي كبيرة أو صغيرة، فإن المجلسي (رحمه الله) وجماعته فعلوا ذلك بالنسبة إلى زمانهم، واليوم حيث تغير الزمان احتاج الأمر إلى تجديد ذلك حسب هذا الزمان، والله المستعان.

---

(١) بحار الأنوار: ج١٠١ ص٣٤ ب٣٤ ح١٢ عن علل الشرائع.

(٢) مستدرك الوسائل: ج١٣ ص٢١٤ الباب٧٨ من أبواب ما يكتسب به ح١٥١٥٤.

(٣) مستدرك الوسائل: ج١٦ ص١٦٣ ب١ ح١٩٤٦٧.

أسلوب القرآن التبليغي

(**مسألة ٢٥**): يلزم اتباع أسلوب القرآن بالنسبة إلى كل أجهزة التبليغ والهداية، في ربط كل الأمور بالله سبحانه، بل اللازم هذا الشيء بالنسبة إلى كل أعمال الإنسان فردياً أو اجتماعياً.

أما بالنسبة إلى التبليغ فنرى أن القرآن الحكيم يذكر في القصص والآيات والأحكام وما أشبه ذكر الله سبحانه، فيقول مثلا:

﴿**قُلْ لا يَسْتَوِي الخَبيثُ وَالطَّيِّبُ ولَوْ أَعْجَبَكَ كَثْرَةُ الخَبيثِ**﴾ ثم يردفه: ﴿**فَاتَّقُوا اللهَ يا أُولِي الْأَلْبابِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ**﴾[1].

ومثلاً: ﴿**ما كانَ لِأَهْلِ المَدينَةِ ومَنْ حَوْلَهُمْ مِنَ الْأَعْرابِ أن يَتَخَلَّفُوا عَنْ رَسُولِ اللهِ ولا يَرْغَبُوا بِأَنْفُسِهِمْ عَنْ نَفْسِهِ ذلِكَ بِأَنَّهُمْ لا يُصيبُهُمْ ظَمَأٌ وَلا نَصَبٌ وَلا مَخْمَصَةٌ في سَبيلِ اللهِ وَلا يَطَئُونَ مَوْطِئاً يَغيظُ الْكُفَّارَ وَلا يَنالُونَ مِنْ عَدُوٍّ نَيْلاً إلاّ كُتِبَ لَهُمْ بِهِ عَمَلٌ صالِحٌ إن اللهَ لا يُضيعُ أَجْرَ المُحْسِنينَ**﴾[2]، فتعدد ذكر الله وثوابه في موارد عديدة من الآية.

وحتى في آية الإرث يبدؤها بقوله سبحانه: ﴿**يَسْتَفْتُونَكَ قُلِ اللهُ يُفْتيكُمْ**﴾ ثم في آخر الآية قال: ﴿**يُبَيِّنُ اللهُ لَكُمْ أن تَضِلُّوا وَاللهُ بِكُلِّ شَيْءٍ**

---

(١) سورة المائدة: ١٠٠.

(٢) سورة التوبة: ١٢٠.

عَليمٌ﴾[1].

وحتى في سورة يوسف (عليه السلام) لما سأله الفتيان اللذان دخلا معه السجن عن رؤياهما، ذكر (عليه السلام) أولاً مسألة (الله): ﴿**يا صاحبي السجن أأرباب متفرقون خير أم الله الواحد القهار**﴾[2]، ثم أخبرهما بتفسير الرؤيا.

إلى غيرها من الأمثلة المتكررة في كل صفحة من صفحات القرآن الحكيم، فإن التذكير بالله، وعلم الإنسان بأنه يسمع ما يقول ويرى ما يعمل ويعلم حتى وساوس صدره، بل ويدرك كل شؤونه ـ كما يقوله بعض علماء الإسلام ـ والإدراك غير السمع والبصر والعلم كما هو واضح، أكبر وازع للإنسان عن الانحراف إلى الاستقامة. وحيث إن الهداية واجبة، وهذا طريق الهداية، يكون ذلك واجباً.

وأما بالنسبة إلى كل الأعمال، فقد قال علي أمير المؤمنين (عليه الصلاة والسلام):

«ما رأيت شيئاً إلاّ رأيت الله قبله وبعده ومعه».

قال سبحانه: ﴿**وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَمَا كُنْتُمْ**﴾[3].

فإن آثار الله سبحانه من علمه وقدرته وخلقه وحكمته، سارية في كل شيء سريان العطر في الورد، والماء في الورق.

وهذا الالتفات من الإنسان في كل أعماله، يجعل الإنسان في غاية

---

(١) سورة النساء: ١٧٦.

(٢) سورة يوسف: ٣٩.

(٣) سورة الحديد: ٤.

الاستقامة، ولذا قال سبحانه: ﴿فَإِذا قُضِيَتِ الصَّلاةُ فانتَشِرُوا فِي الْأَرض وَابْتَغُوا مِنْ فَضْلِ اللهِ واذْكُرُوا اللهَ كَثيراً لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾[1]، وحتى عند المعاملة والبيع والشراء ﴿اذْكُرُوا اللهَ كَثيراً﴾[2]، وبدونه حتى لا احتمال للفلاح، إذ مع الذكر احتمال الفلاح، ووجه كونه احتمالاً لا علة احتمال الانحراف فإن الأمور بعواقبها.

والحاصل:

حيث إن القرآن كتاب تشريعي والكون كتاب تكويني، فهما متطابقان في الارتباط بالله، الأول لفظاً، والثاني خارجاً، وحيث إن أعمال الإنسان، ومنها هداية الناس إنما هو ربط بالكون تشريعاً وتكويناً، فاللازم اتباع نفس مسلك الكتابين في الربط بالله ذكراً باللفظ وتوجهاً بالقلب، وهذا يسبب تأثير التبليغ كما يؤثر في مباركية العمل الذي رُبط بالله سبحانه، والمراد بالبركة الدوام والثبات والخيرية، وذلك لأن عالم المادة لا دوام له ولا خيرية مطلقة فيه، فإذا لم يربط شيء به سبحانه انقطع عن الدوام وعن الخيرية، ولذا ورد: «كل أمر ذي بال لم يبدأ فيه ببسم الله فهو أبتر»[3] لا دوام له ولا خيرية مطلقة.

لا يقال: فكيف نرى دوام أعمال الكفار وخيرتها أيضا؟

لأنه يقال: الدوام ما كان أبدياً، والخيرية ما كان مورثاً للثواب، ومن المعلوم أن كل ما لا يرتبط بالله لا ثواب دائم له، بل يصيبه الفناء في كل

(١) سورة الجمعة: ١٠.

(٢) سورة الأنفال: ٤٥.

(٣) انظر وسائل الشيعة: ج٧ ص١٧٠ ب١٧ ح٩٠٣٢.

عالم المادة، ولا أثر محمود له بعد الموت.

وما ذكرناه بحث فقهي من جهة الوجوب والاستحباب،

وفلسفي من حيث كونه حقيقة كونية،

وتجريبي من حيث ما نرى من زوال الآثار التي لم ترتبط بالله،

وعقائدي من حيث الثواب والعقاب.

لكن حيث الكتاب بصدد الفقه، لم نسهب في سائر جوانب المسألة، وإنما ذكرناها إلماعاً.

أسلوب القرآن الكريم في العلم

(مسألة ٢٦): يجب اتباع أسلوب القرآن الحكيم في باب العلم، وهو أسلوب خلطه بالإيمان، فإن القرآن والسنة على حرصهما الشديد على العلم والتعليم والتعلم، حتى أن العلوم الإسلامية والعلوم الكونية بين واجب عيني كالعلم بأصول الدين، وبين واجب كفائي كالعلم بالفقه أكثر من القدر الواجب على كل فرد، وكسائر علوم الصناعات وغيرها، حتى أن أول سورة نزلت على الرسول (صلى الله عليه وآله) على قول جملة من المفسرين هي السورة التي ذكر فيها (القراءة والكتابة): ﴿**اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذي خَلَقَ، خَلَقَ الْإنسان مِنْ عَلَقٍ، اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ، الَّذي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ، عَلَّمَ الْإنسان ما لَمْ يَعْلَمْ**﴾[1]، حيث ذكر غاية انحطاط الإنسان وهي حالة كونه علقا، ثم غاية ارتفاعه وهي وصوله إلى معرفة الكتابة، لا يريان العلم بدون الإيمان إلاّ مانعاً عن الوصول إلى الله سبحانه، كما يقول الشاعر:

لو كان في العلم من دون التقى شرف

لكان أشرف خلق الله إبليس

وقد شبه العالم بدون الإيمان الإمام أمير المؤمنين (عليه السلام): بحمار الطاحونة[2]، بعد ما شبهه القرآن الحكيم بـ ﴿**الْحِمارِ يَحْمِلُ**

(١) سورة العلق: ١ ـ ٥.

(٢) في بحار الأنوار: ج١ ص٢٠٨ ب٥ ح١٠: (المتعبد على غير فقه كحمار الطاحونة).

أَسْفاراً﴾(١)، و﴿**بالْكَلْبِ إن تَحْمِلْ عَلَيْهِ يَلْهَثْ أو تَتْرُكْهُ يَلْهَثْ**﴾(٢)، بل ورد في حديث رسول الله (صلى الله عليه وآله) أنه قال: «أول العلم معرفة الجبار، وآخر العلم تفويض الأمر إليه».

فاللازم أن يكون العلم مكتنفاً بإيمانين: إيمان المعرفة وإيمان التفويض.

وفي سورة الجمعة: ﴿**يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آياتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتابَ وَالْحِكْمَةَ**﴾(٣)، فالتعليم بعد الإيمان.

إلى غيرها من الآيات والروايات التي يصعب إحصاؤها.

وعلى هذا كان اللازم خلط العلم بالإيمان، بأن يبتدئ بالإيمان، ويكون الإيمان مقارناً مع العلم، ثم ينتهي بالإيمان أيضاً، وقد كان أسلوب الدراسة عندنا في المدارس الإسلامية، يبتدئ بالقرآن الحكيم (جزء عم) ثم يتسلسل الكتب الأدبية كالمقدمات والسيوطي والمغني والحاشية والمطول إلى غيرها، مع كتب إيمانية مثل: (آداب المتعلمين) و(طهارة الأعراق) لابن مسكويه، و(شرح الباب الحادي عشر) و(شرح التجريد) وتفسير القرآن الحكيم ودروس من نهج البلاغة والصحيفة السجادية، إلى غيرها، كل ذلك ليواكب العلم الإيمان.

وكذلك كان الأسلوب الإسلامي السابق في باب مختلف العلوم، إنها كانت تواكب دروس الإيمان، طباً وهندسةً وفلكاً وغيرها، ولذا تجد ابن سينا والطوسي والبهائي وغيرهم من الأطباء وعلماء الفلك والرياضيات

---

(١) سورة الجمعة: ٥.

(٢) سورة الأعراف: ١٧٦.

(٣) سورة آل عمران: ١٦٤.

وغيرهم، هم في قمة الإيمان إلى جانب كونهم في قمة العلم، وهذا الأسلوب بالإضافة إلى كونه يواكب الواقع، كما ذكرناه في المسألة السابقة، فيه ضمان عدم إضرار العلم، إذ العلم بدون الإيمان مثله مثل أن تعطي للسارق السيف، لأن العلم بدون الإيمان يكون آلة قوتي الغضب والشهوة، فيكون فاسداً مفسداً، فالفقيه بلا إيمان بلعم وشريح وشلمغاني، والحاكم بلا إيمان فرعون ومعاوية وهارون، والثري بلا إيمان قارون وثعلبة وفورد، والسياسي بلا إيمان هامان وابن عاص وكسينجر، وهكذا قل في الفلكي والرياضي والطبيب والمنهدس وسائر العلماء.

وقد خلطنا الحكام، وإن كانوا خارجين عن المبحث للانسياق ووحدة السياق، وقد ورد في الحديث: «لا تعلموا العلم من ليس من أهله فتظلموه، ولا تمنعوه عن أهله فتظلموهم»[1].

ولذا فمن الواجب اتخاذ سبيل القرآن في خلط العلم بالإيمان في كافة المدارس والمعاهد والكليات والجامعات، وسائر الأمور الثقافية، حتى يتخرج الجيل الجديد حاملاً مشاعل العلم إلى جنب حمله وهج الإيمان ونور الفضيلة، وما ذكرناه من أوجب الواجبات الشرعية، والله الموفق.

---

(١) الكافي: ج١ ص٤٢ ح٤ وفيه: «لاتحدثوا الجهال الحكمة فتظلموها، ولا تمنعوها أهلها فتظلموهم».

الطريقة القرآنية لتربية النفوس

(**مسألة ٢٧**): الطريقة الفضلى في تقويم النفوس وتحفيز الهمم إلى الاستقامة، هي الطريقة التي اتبعها القرآن الحكيم لأجل ذلك، وهي طريقة التعريض بثواب الدنيا والآخرة للمطيع، والإخافة من عذاب الدنيا والآخرة للعاصي، فهما من أكبر سياط النفس للاجتناب عن الدنايا واكتساب المكارم.

ولذا ترى القرآن الحكيم قد أكثر من أمثال هذه الآيات، وترى الصالحين من الأنبياء والأئمة والأولياء (عليهم السلام) يعملون رجاء ثواب الله، وخوف عقابه، ويرجّون الناس ثوابه سبحانه إن أطاعوه، ويخوفونهم عقابه إن عصوه.

ففي قصة آدم (عليه السلام): ﴿**قالا ربنا ظلمنا أنفسنا وإن لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين**﴾[1].

وفي قصة الملائكة: ﴿**وهم من خشيته مشفقون**﴾[2].

وفي قصة ابني آدم: ﴿**إذ قرّبا قُربانا فتُقُبل من أحدهما ولم يُتَقَبَّل من الآخر قال لأقتلنك قال إنما يتقبل الله من المتقين**﴾، أي إن عدم القبول من أجل عدم تقواك، لا من أجلي حتى تقتلني ﴿**لأن بسطت إلي يدك**

(١) سورة الأعراف: ٢٣.

(٢) سورة الأنبياء: ٢٨.

لتقتلني ما أنا بباسط يدي إليك لأقتلك إني أخاف الله رب العالمين﴾[١]

فالخوف من الله يسبب لي أن لا أبتدئك بالقتل، وأنت إنما تريد ابتدائي بالقتل لأنك لا تخاف الله.

وفي قصة شعيب (عليه السلام): ﴿**ويا قوم اعملوا على مكانتكم إني عامل سوف تعلمون من يأتيه عذاب يخزيه ومن هو كاذب وارتقبوا إني معكم رقيب**﴾[٢].

إلى غيرها من قصص الأنبياء (عليهم السلام).

وفي بعضها: ﴿**يدعوننا رَغَباً وَرَهَباً**﴾[٣].

وفي وصف المؤمنين: ﴿**رجال لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة يخافون يوما تتقلب فيه القلوب والأبصار**﴾[٤].

أما آيات الثواب والعذاب فهي كثيرة جداً، وقد جمعناها في كتاب، فإنها أفضل سوط للنفس إلى الانقياد والاستقامة، وقد كانت الأنبياء (عليهم السلام) تهدد أممها بعذاب الله في الدنيا، وأنهم إذا لم يرعووا أخذهم، كالغرق والخسف والرمي بالحجارة وغيرها.

وإنما ارتفعت هذه الألوان من العذاب عن البشر بعد مقدم خاتم الأنبياء (صلى الله عليه وآله) وبدلت بالعذابات الطبيعية غير الخارقة، لأن البشر وصل إلى مرحلة الرشد، والرشيد لا يطرق بالعصا، وإنما يهان إذا عصى، فقد

---

(١) سورة المائدة: ٢٧.

(٢) سورة النور: ٩٣.

(٣) سورة الأنبياء: ٩٠.

(٤) سورة النور: ٣٧.

كانت الأمم السابقة في حالة الأطفال، والأطفال بحاجة إلى إرشاد أكثر ولذا كثرت فيهم الأنبياء، وإلى عذاب طفولي ولذا عذبوا بالإعجازات.

أما وقد جاء دور رشد البشر، ولذا قال (صلى الله عليه وآله): «**إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق**»[١]، فقد انقطع الأنبياء واكتفي بإرشاد المرشدين، فلا معاجز خارقة، ولا أنبياء مرسلين، ولا أئمة في وسط الناس ظاهرين، وإنما يكتفى بالعذابات الطبيعية التي جعلها الله سبحانه في طبيعة الأشياء بالنسبة إلى المنحرف، فالقوانين التشريعية لله سبحانه حالها حال القوانين التكوينية، فكما أن من خالف قانون الجاذبية وزعم عدم وجودها فألقى بنفسه من شاهق، جرى عليه القانون وسقط إلى الأرض وتكسرت عظامه، ومن خالف قانون الحر والبرد وزعم عدم جدواها فجلس تحت شمس التموز أو تعرض للهواء البارد مرض ومات.

كذلك من خالف القوانين التشريعية، فإن مصيره الدمار، قال سبحانه: ﴿**ومن أعرض عن ذكري فإن له معيشة ضنكا**﴾[٢]، فالإعراض عن أوامره سبحانه يوجب ضيق المعيشة إما ضيقاً في الجسم أو ضيقاً في الروح.

وفي آية أخرى: ﴿**فقلت استغفروا ربكم إنه كان غفاراً، يرسل السماء عليكم مدراراً، ويمددكم بأموال وبنين ويجعل لكم جنات ويجعل لكم أنهارا**﴾[٣]، إن الاستغفار بمعنى إطاعة الله سبحانه يسبب تعاون البشر فيكثر

---

(١) مستدرك الوسائل: ج١١ ص١٨٧ ب٦ ح١٢٧٠١.

(٢) سورة طه: ١٢٤.

(٣) سورة نوح: ١١.

الزرع والضرع والاستفادة من الأمطار، بل وكثرة الأمطار الناشئة من الأراضي الخصبة، لأنها تتولد من الرطوبات الصاعدة، فيكثر مطر السماء، ويكثر الأموال بالتجارات ونحوها، ويكثر أولادهم لكثرة الزواج ولقلة موت الأولاد، باتباع المناهج الصحيحة، وتكثر الجنان والأنهار.

هذا مع غض النظر عن لطف الله المعنوي بعباده المؤمنين، ولا منافاة بين الأمرين، فإن عملية الزواج سبب ظاهري للولد، بينما السبب الواقعي هو إرادته سبحانه، وإلا فمن الواضح أن الأبوين لا يصوران الولد، ولا الطبيعة، فالأبوان لا يعلمان شيئاً من الولد، والطبيعة عاجزة جاهلة، والعاجز الجاهل لا يتمكن من خلق ما يحتاج إلى العلم والقدرة.

وكذا في كل شؤون الحياة.

ولذا قال سبحانه: ﴿**أَأَنْتُمْ تَزْرَعُونَهُ أَمْ نَحْنُ الزَّارِعُونَ**﴾[1]، وقال: ﴿**وَما رَمَيْتَ إذ رَمَيْتَ ولكِنَّ اللهَ رَمى**﴾[2]، فإن الإنسان لا يأتي إلاّ بالمعدّ، كما ثبت في الفلسفة، وإنما كل شيء بعد ذلك حسب قوانين الله المودعة في الكون مباشرة.

وكيف كان فالبشر في زمان رشدهم بعد بعثة النبي (صلى الله عليه وآله) لايعذبون بالخوارق، كما لا يأتون لأجل هدايتهم بالخوارق، وإنما رشدهم سبب إيكالهم إلى الأدلة العقلية في باب الهداية، وإلى الثواب والعقاب الدنيويين الطبيعيين للمطيع وللعاصي.

---

(١) سورة الواقعة: ٦٤.

(٢) سورة الأنفال: آية ١٧.

الدنيا والآخرة في القرآن

(مسألة ٢٨): القرآن يوجه الإنسان إلى الآخرة أكثر مما يوجهه إلى الدنيا، بل توجيهه إلى الدنيا إنما هو لأجل الآخرة أيضاً: «الدنيا مزرعة الآخرة»[١].

فقد طوى الإنسان مراحل، ويطوي مراحل، يكون مصيره النهائي الجنة أو النار، مرحلة التراب ثم النبات، ثم الحيوان الذي يأكل النبات، ثم الدم، ثم المني، ثم الجنين، ثم الدنيا، ثم البرزخ ـ والظاهر أنه مرحلة تكميلية أيضاً ـ ثم القيامة، وأخيراً: ﴿**فَرِيقٌ فِي الْجَنَّةِ وَفَرِيقٌ فِي السَّعِيرِ**﴾[٢].

وكما أن صب كل الاهتمام أو غالبه على مرحلة الجنينية خطأ، بل اللازم إعطاء مرحلة الجنينية حقها وقدرها الذي هو الاحتفاظ بالجنين، لأجل أن يكون ذا دنيا حسنة بعد أن يولد، كذلك صب كل الاهتمام أو غالبه على الدنيا خطأ، بل اللازم إعطاء مرحلة الدنيا حقها وقدرها الذي هو الاحتفاظ بالإنسان، لأجل أن يكون ذا آخرة حسنة.

وإلى هذا يلمع عيسى المسيح (عليه السلام) حيث يقول: «الدنيا قنطرة فاعبروها ولاتعمروها»[٣]، أي لا تعمروها عمران البقاء، وإنما اللازم

---

(١) غوالي اللئالي: ج١ ص٢٦٧ ف١٠ ح٦٦.

(٢) سورة الشورى: ٧.

(٣) بحار الأنوار: ج١٤ ص٣١٩ ب٢١ ح٢٠ عن الخصال.

عمرانها قدر العبور.

إذاً فالواجب الاعتبار بالقرآن الحكيم في هذه الناحية، وإشاعة هذه الناحية بين الناس، ولذا نجد أن القرآن الحكيم يقول: **﴿وَابْتَغِ فِيما آتاكَ اللهُ الدَّارَ الآخرة وَلا تَنْسَ نَصيبَكَ مِنَ الدُّنْيا﴾**[١]، فالدار الآخرة هي المقصودة أولاً وبالذات، وإنما الدنيا مقدمة لها، ولا تنافي بين هذه الآية وبين قوله تعالى: **﴿رَبَّنا آتِنا فِي الدُّنْيا حَسَنَةً وَفِي الآخرة حَسَنَةً﴾**[٢]، إذ الكلام حول المقدار، ولا شك أن الدنيا بقدر مطلوبة، إذ الدنيا حسنة مطلوبة، ولذا قال سبحانه: **﴿قُلْ مَنْ حَرَّمَ زينَةَ اللهِ الَّتي أَخْرَجَ لِعِبادِهِ والطَّيِّباتِ مِنَ الرِّزْقِ قُلْ هِيَ لِلَّذينَ آمَنُوا فِي الحَياةِ الدُّنْيا خالِصَةً يَوْمَ الْقِيامَةِ﴾**[٣]، فالدنيا مهما كانت حسنة إذا لم تكن مانعة عن نيل الآخرة الممكنة فهي حسنة يستحسن طلبها، ولذا قال (عليه السلام): «نعم العون على الدين الغنى»[٤].

وإذا كانت مانعة عن أصل الآخرة، أو عن الآخرة المرتفعة فهي سيئة، محرمة تارة ومكروهة أخرى.

وإلا فلماذا خلق الله الدنيا، هل لتهد، أو هل للأشرار؟

أما زهد الأنبياء والأئمة (عليهم السلام) فكان لأجل أنهم كانوا مشغولين بالأهم من التبليغ وما أشبه، ولأنهم إنما زهدوا «لئلا يتبيغ بالفقير فقره»، كما قاله علي (عليه الصلاة والسلام)، ومثل هذا الزهد مطلوب لكل مصلح،

---

(١) سورة القصص: ٧٧.

(٢) سورة البقرة: ٢٠١.

(٣) سورة الأعراف: ٣٢.

(٤) انظر وسائل الشيعة: ج١٧ ص٢٩ ب٦ ح٢١٨٧٩ وفيه: (نعم العون على تقوى الله الغنى).

وقد أشار الإمام أمير المؤمنين (عليه السلام) إلى الزهد المطلوب بقوله: «أن لا يملكك شيء، لا أن تملك شيئاً»، لوضوح أنه إذا ملكك شيء أخذ بزمامك، وإذا ملكت شيئاً أخذت بزمامه.

إذاً، فالتوجيه إلى الآخرة أولاً: هو حقيقة واقع النسبة بين الدنيا القليلة، وبين الآخرة الدائمة الرفيعة قدراً.

وثانياً: إنه يسبب استقامة الحياة الدنيا وتعميرها، إذ بدون ذلك يكثر الظلم ويكون أغلبية الناس في تأخر واضطهاد.

وثالثاً: إنه يسبب تعمير الآخرة التي هي أهم مطلب في الحياة.

لا يقال: إذا كان المقصود ما ذكرتم، فلماذا خلق الله الدنيا هكذا؟ حيث يكون الزهد فيها قليلاً، ورغبة الناس على الأغلب فيها دون الآخرة التي خلقوا لأجلها.

لأنه يقال: خلق الله الكون ألواناً، وهذا لون، واذا لم يخلق هكذا فهل يخلق كونا هكذا، أو لا يخلق كونا هكذا، فإن خلق فليكن ذلك الكون هو هذا الكون، وإن لم يخلق كان ذلك خلاف الحكمة، حيث يتطلب مثل هذا الكون الفيض، فلا يفاض إليه الوجود، ويدل على كونه فياضاً قوله ﴿**كُلاً نُمِدّ** ...﴾[1].

ثم إن التوجيه إلى الآخرة، وإن كان ممكناً بالأساليب الفلسفية أو البراهين المنطقية، إلاّ أن الذي ينفع الأكثرية هو أسلوب القرآن الحكيم في الاستدلالات الأولية، والتصويرات اللطيفة التي تملأ العواطف، فتسري إلى العقل، مثلاً لاحظ هذه الآية الكريمة:

---

(١) سورة الإسراء: ٢٠.

﴿وَقالُوا أَ إذا كُنَّا عِظاماً ورُفاتاً أَ إِنَّا لَمَبْعُوثُونَ خَلْقاً جَديداً، قُلْ كُونُوا حِجارَةً أو حَديداً أو خَلْقاً مِمَّا يَكْبُرُ في صُدُورِكُمْ فَسَيَقُولُونَ مَنْ يُعيدُنا قُلِ الَّذي فَطَرَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ، فَسَيُنْغِضُونَ إِلَيْكَ رُؤُوسَهُمْ ويَقُولُونَ مَتى هُوَ قُلْ عَسَى أن يَكُونَ قَريباً﴾[1].

فإنهم استبعدوا رجوع العظام بعد تفتتها إلى عظم مثل السابق، فأجابهم القرآن بأنهم إذا كانوا من الحديد أو الحجارة أو شيء أصلب مما يكبر في صدورهم صلابة ومتانة، بله العظام، كان الله قادراً على إعادتهم كما خلقهم أول مرة.

وحيث انقطعوا عن الجواب، أشاروا برؤوسهم إلى التصديق المشوب بالإنكار، وأضربوا عن السؤال السابق إلى سؤال جديد: متى هو؟.

والجواب: **﴿عَسى أن يَكُونَ قَريباً﴾**[2] وبالفعل هو قريب، إذ الميت لا يحس بالزمان، مثله مثل النائم، فإذا قام من نومه أو موته بعد مليارات السنوات رآه قريباً، كما في أصحاب الكهف حيث لبثوا مئات السنوات ومع ذلك قالوا: **﴿لَبِثْنا يَوْماً أو بَعْضَ يَوْمٍ﴾**[3]، وكما في قصة (إرميا): **﴿فأماته الله مائة عام ثم بعثه، قال كم لبثتَ، قال لبثتُ يوماً أو بعض يوم، قال بل لبثتُ مائة عام﴾**[4].

هذا إذا كان الميت نائماً، أما إذا كان في حال وعي فمقياس الزمان

(١) سورة الإسراء: ٥٠.

(٢) سورة الإسراء: ٥١.

(٣) سورة الكهف: ١٩.

(٤) سورة البقرة: ٢٥٩.

يختلف من عالم إلى عالم، فربما كان ألف سنة عندنا دقيقة في عالم ثان، وربما كان بالعكس، كما ثبت في الدين والعلم، بل ثبت أغرب من ذلك، وهو أنه من الممكن أن يسير الزمان من الجمعة إلى السبت في عالم كما في عالمنا، بينما يسير من السبت إلى الجمعة في عالم آخر، وهذا مطلب خارج عن موضوع البحث.

وكيف كان، فبهذا الأسلوب الواضح ناقش القرآن منكري البعث، من دون الشبهات الخاصة بالفلاسفة والمنطقيين.

موقف القرآن من اليأس

(مسألة ٢٩): يحرم اليأس في منطق القرآن الحكيم، كما قال سبحانه: ﴿**فإنّه لا يَيْأَسُ مِنْ رَوْحِ الله إلاّ الْقَوْمُ الْكافِرُونَ**﴾[١]، ووجه الحرمة عقلاً أن ليس كل أسباب الحياة بيد الإنسان، حتى إذا لم يجد الطريق إلى الخير ييأس، بل أكثر أسباب الحياة بيد الله سبحانه، فمن أين أن الأسباب انقطعت، وأنه لا رجاء، قال تعالى: ﴿**فإن مَعَ الْعُسْرِ يُسْراً، إنّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْراً**﴾[٢].

وكم لله من لطف خفي   يدق خفاه عن فهم الزكي
وكم يسر أتى من بعد عسر   ففرج كربة القلب الشجي
وإذا ضاقت بك الأحوال يوماً   فثق بالواحد الفرد العلي
توسل بالنبي ﷺ فكل خطب   يهون إذا توسل بالنبي
ولا تجزع إذا ما ناب خطب   فكم لله من لطف خفي

فاليأس أولاً: كذب، لأنه ليست الأسباب بيد الإنسان، ولا علم للإنسان بها أجمعها.

وثانياً: تحطيم للهمة التي تكون بها حل كثير من المشكلات.

وقد أخذ إنسان وربط بأسطوانة، وأمر الأمير بأنه يضرب عنقه، قال الرجل: التمس من الأمير أن يأمر بفكي من هذه الأسطوانة، وربطي بالأسطوانة الأخرى، ثم يأمر بضرب عنقي، واستجاب الأمير لطلبه، ولما

(١) سورة يوسف: ٨٧.

(٢) سورة الشرح: ٥ و٦.

كان بين الأسطوانتين مات الأمير فجأة، وأطلق سراح الرجل، قيل له: لماذا طلبت هذا الطلب، قال: لأني أعلم أن لله سبحانه في كل لحظة ثلاثمائة وستين رحمة، فقلت في نفسي: لعل رحمة من رحماته تشملني بين الفك من هذه الأسطوانة وربطي بالأسطوانة الثانية.

وقد أكثر القرآن الحكيم من ذكر الفرج عن الأمم بعد الشدائد التي ما كان يظن أن تفرج أصلاً، ولذا ورد عن رسول الله (صلى الله عليه وآله) أنه كان يقول: «تضايقي تنفرجي»[1] أي إذا بلغت الشدة أوجها، كان بعد ذلك الفرج.

ولا يلزم لحصول الفرج أن يأتي الله بخارق، بل يأتي الله سبحانه بقانون يخالف القانون المعسر الذي يظن بقاؤه، مثلاً إنسان حكم عليه بالسجن سنة، ولا أمل له إطلاقا ما دام هذا الظالم موجوداً، فمن أين أن الظالم سيبقى إلى السنة؟ وإن كان ربما يتدخل الله سبحانه بأمر إعجازي، كما أنقذ قوم نوح وموسى وأنقذ إبراهيم وعيسى (عليهم الصلاة والسلام) بأمور خارقة إعجازية.

ثم إن كون عمل الإنسان معداً فقط، وحيلولة الله بين المرء وقلبه، كما أشير إليهما في القرآن الحكيم في قوله سبحانه: **﴿وَاعْلَمُوا أن اللهَ يَحُولُ بَيْنَ المَرْءِ وقَلْبِهِ﴾**[2]، وفي قوله: **﴿وَما رَمَيْتَ إذ رَمَيْتَ ولكِنَّ اللهَ رَمى﴾**[3]، وفي آيات أخر مما يؤكد الرجاء أبلغ تأكيد.

---

(١) المجتنى: ص٢، وشرح نهج البلاغة: ج١٩ ص٢٦٧.

(٢) سورة الأنفال: ٢٤.

(٣) سورة الأنفال: ١٧.

أما الأول : فلأن الإنسان ليست له مادة الأشياء وذلك واضح ، ولا أحد يزعم أنه يخلق المادة ، كما ليست له صورة الأشياء ، وذلك لبرهان أن الصورة شيء ، والشيء لا بد أن يستند إلى المؤثر ، إذ لا يعقل أثر بلا مؤثر ابتداءً ولا استدامة ، فكما لا يمكن الضياء بدون الوقود ابتداءً كذلك لا يمكن بدون الوقود استدامةً ، وعليه فالصور التي ربما يزعم خلق الإنسان لها ، هي في الحقيقة خلق الله سبحانه ، وإنما من يزعم أنه مصور ليس له إلاّ المعد ، مثلا : صورة الدار ليست من البناء ، وإنما من الله الذي قرر للكون قوانين خاصة بالنسبة إلى صوره ، وإلا فإذا لم يقدر الله هذه الصور الخاصة بعد الحركات الخاصة من المصورين هل كانت هناك صورة؟

مثلاً : إذا لم يقدر الله صورة الدار بعد ترصيف الأحجار بأن لم يقرر وقوف حجر على حجر ، ولم يقرر انضباط الأحجار بالحديد والخشب ، فهل حصلت هذه الصور؟

إذاً فالصورة من الله ، كما أن المادة منه سبحانه ، وإنما البناء يأتي بالمعد ، أي يحرك يده حركات خاصة ، مما كان جعل الله الربط بين تلك الحركات وبين تلك الصور ، ولذا تجد في كل عالم ربطاً خاصاً بين المعد وبين الصور ، مثلاً إذا قفزت في الأرض علوت منها متراً مثلا ، بينما أن نفس ذلك القدر في القفز في سطح القمر يسبب علوك ستة أمتار مثلا ، وكذلك إن قفزت على حلق إنسان في الأرض أمتّه ، أما إذا قفزت باتجاه حلقه في خارج جاذبية الأرض ابتعدت عنه ، بله إنك لا تقدر بذلك قتله ، وهذا بحث طويل لا نريد منه إلاّ الإلماع إلى أن ترتب المسببات على الأسباب بيده سبحانه ، بأية كيفية قيل بالنسبة إلى الترتب ، بالتوليد أو الإعداد أو التوافي ، كما أشارت إليه

المنظومة:

وهل بتوليد أو إعداد ثبت أو بالتوافي عادة الله جرت

وجري عادة خطأ شديداً وليست العلية توليـــداً

وبعد هذا الترتب، أي يأس يمكن أن ينتاب الإنسان، ولذا أشار القرآن الحكيم إلى ذلك بقوله: ﴿**لَوْ نَشاءُ جَعَلْناهُ أُجاجاً**﴾[١]، ﴿**لَوْ نَشاءُ لَجَعَلْناهُ حُطاماً**﴾[٢].

كما أشير إليه في قصة أصحاب الجنة: ﴿**فَطافَ عَلَيْها طائِفٌ مِنْ رَبِّكَ وهُمْ نائِمُونَ فَأَصْبَحَتْ كَالصَّرِيمِ**﴾[٣].

وفي قوله سبحانه: ﴿**فَلَمْ تَقْتُلُوهُمْ ولكِنَّ اللهَ قَتَلَهُمْ**﴾[٤].

وفي قوله: ﴿**وَالَّذي هُوَ يُطْعِمُني ويَسْقينِ وإِذا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفينِ**﴾[٥].

وفي قوله: ﴿**قُلْ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ اللهِ**﴾[٦]، إلى غيرها من الآيات المباركات.

وأما الثاني: فلأن الحيلولة تمنع الشر غالباً، وهي بالإضافة إلى قلة الشر بالنسبة إلى الخير في العالم، يعطي الإنسان الرجاء الكافي، إذ الشر ـ سواء كان من مصدر الإنسان أو من مصدر الطبيعة ـ أقل من الخير، فلماذا اليأس،

---

(١) سورة الواقعة: ٧٠.

(٢) سورة الواقعة: ٦٥.

(٣) سورة القلم: ١٩ و٢٠.

(٤) سورة الأنفال: ١٧.

(٥) سورة الشعراء: ٨٠.

(٦) سورة النساء: ٧٨.

أليس الإنسان يقدم على عملٍ ما فيه الربح أكثر من الخسارة.

ولتوضيح ذلك نذكر:

١ : كون الشر في الطبيعة أقل.

٢ : وكون الشر في الإنسان أقل.

٣ : وكون قلة الشر بالنسبة إلى الخير توجب الرجاء.

أما الأول: فلأن كل ما في الكون من شمس وأنجم وبحار وأنهار وأشجار وحيوانات وأرض وغيرها خير، وكون بعض هذه الأشياء في بعض الأحيان شراً للإنسان،

أولا: إنما هو بسبب الإنسان نفسه، فهو كما لو ألقى الإنسان نفسه من شاهق، فهل يقال لذلك أن الدار شر، لأنه لولاها لم يتمكن هذا الإنسان من إلقاء نفسه من سطحها.

وثانياً: إن ذلك أحياناً نادرة، وهو يثبت ما ذكرناه من أقلية الشر.

وأما الثاني: فإذا حسبنا مجموع الإنسان، فخيرهم أكثر من شرهم، وإذا حسبنا إنساناً واحداً منحرفاً فخيره أكثر من شره أيضاً، حتى الكافر القاتل للمسلم يسبب لهذا المسلم الجنة التي لولا ذلك الكافر لم يدخل الجنة، أو لم يكن له تلك الدرجات الرفيعة.

ومن باب اللطيفة نذكر: إن إنساناً رأى حكيماً في ساحة الميدان، وقد كان كافر يجول بن الصفين، مما أرهب المسلمين، فقال للحكيم: أنت تزعم أن الوجود خير محض فما هو وجه الخير في هذا الكافر، قال الحكيم: فيه خيران لا يوجد أيهما في أي مسلم، وهما أن قاتل هذا الكافر في الجنة، ومقتوله في الجنة، فهل هناك مسلم يأتي منه أحد هذين الخيرين فكيف

بكليهما.

لا يقال: فالشمر خير لأنه سبب وصول الإمام الحسين (عليه السلام) إلى الدرجات الرفيعة.

لأنه يقال: لكن كان عمله عن داعي شر، وهو إخماد نور الهداية، والعمل الذي داعيه شر لا يكون خيراً وإن أوصل إلى الخير، أرايت لو ضربك إنسان صفعاً بداعي الشر، وكان عمله الصفع سبب ذهاب مرض (اللقوة) مثلاً عنك، فهل عمله خير؟

ولذا قال رسول الله (صلى الله عليه وآله): «إنما الأعمال بالنيات، ولكل امرئ ما نوى»[1].

لا يقال: إذا كان عمل شمر شراً، فكيف أوصل الحسين (عليه السلام) إلى الخير، مع وضوح لزوم السنخية بين العلة والمعلول، وإلا لصدر كل شيء عن كل شيء؟

لأنه يقال: الحسين (عليه السلام) وصل إلى الخير بأمر الله سبحانه، فالله أعطى الخير للحسين (عليه السلام)، لا أن عمل شمر أعطى الخير له (عليه السلام) حتى يقال كيف يكون عمل الشر منتجاً للخير، فعمل شمر سبب، لا أنه أنتج، وقاعدة السنخية في النتاج الطبيعي لا في ما توسط فعل فاعل مختار، وهذا بحث طويل نكتفي منه بهذا القدر.

وأما الثالث: فلوضوح أن أكثرية الخير توجب رجاء الإنسان، لأن الأغلب أن النتيجة خير، والعقلاء يعملون على الأكثرية في الغالب، إذ القطعيات في غير أمثال الرياضيات والمنطقيات والقوانين الكلية وما أشبه

(١) تهذيب الأحكام: ج١ ص٨٣ ب٤ ح٦٧.

قليلـة جـداً، فالتـاجر يتـاجر بظـن الـربح، والمسافر يـسافر بظـن الـسلامة، والدارس يدرس بظن النجاح والصياد يرمي الشبك بظن الإصابة، إلى غير ذلك.

إن قلت: فلماذا نرى غلبة أهل الباطل على الأغلب، ولماذا نـرى عـسر الحق ويسر الباطل على الأغلب، فالباطل كالهدم وهو أسهل من البناء.

قلت: كلا الأمرين اشتباه:

أما الأول: فحق أهـل الباطـل أكثـر مـن باطلـهم، فـصار الباطـل أقـل، مثلا حاكم جائر يعمل بألف قـانون صـحيح، وبعـشرة قـوانين باطلـة، وهـذا شيء محسوس إلاّ في أندر النوادر، ثم إذا لاحظنا كل بشر العالم يكون الحـق وأهل الحق فيه أكثر، لأن ما يظهر من الأحاديث أن دولة الإمام المهـدي (عليه السلام) تطول أكثر مما طالت دول كل الظالمين قبله.

وأما الثاني: فلأن الاشتباه نشأ من رؤيـة النـاس، إن الأخـشاب الكـثيرة تحترق بإشـعال ثقـاب واحـد، وإن العمـارة الكـبيرة الـتي عمـل لأجلـها ألـف عامل في مدة سنة، تنهدم بعامل واحد يحطمهـا بـ (بلـدوزر) في يـوم واحـد، فيقولون: ألا يدل هذا وذاك على أن عمل الهدم أسهل من عمل البناء، بـل يقال إن العامل الجاهـل يـتمكن مـن هـدم العمـارة بـسبب فـأس واحـد، وقـد عمل مهندسون واختصاصيون وخبراء.

والجواب: إن عمل البناء والهدم بقدر واحد، وإنما يأتي الباني والهـادم بالمعـد، وهـو حركـة العـضلات فقـط، وأي فـرق بـين أن يحـرك الإنـسان يـده لأجل وضع حجر في البناء، أو لأجل هدم حجر من البناء.

نعـم هنـاك يتـدخل بعـض القـوانين الكونيـة الـتي جعلـها الله سـبحانه في

الكون، فيكون عمل المعدّ من الإنسان باباً إلى ذلك القانون، فيكون العمل بحجم كبير حسب عمل ذلك القانون، لا حسب عمل الإنسان، والإحراق وهدم البناء بالبلدوزر من هذا القبيل في جانب الهدم، كما أن في جانب البناء أموراً من هذا القبيل، مثلاً إذا كان الماء في خزان فوق الجبل، فإن عمل ثقبة إلى الخزان يسبب إرواء أراضي شاسعة فيستفيد منها ألوف الناس والحيوانات، وهكذا إذا طرحت طناً من الحنطة في أرض خصبة فإنه يسبب الإنتاج الكبير الذي ربما أطعم ملايين الناس بحاصله، وكما إذا شغلت ماكنة كبيرة، فإنها تنتج إنتاجات واسعة.

وقد قرأت في كتاب: إن في بعض البلاد الصناعية ماكنة نسيج يعمل فيها مائتا إنسان، تعطي بقدر إنتاج مائتي مليون إنسان، إذا كانوا يشتغلون باليد، إلى غيرها من الأمثلة.

وربما يقال: أليست الشريعة كلها قيود، وترك القيد أهون، لكنه خطأ، فالشريعة إيجابيات وسلبيات، فنقول: صلّ وصم وحج وتزوج، إلى جانب لا تشرب الخمر، ولا تزن، ولا تقامر، ولا ترابي، وإذا قيل لمثل هذه قيود لزم أن يقال إن الحياة كلها قيود، ولذا فالأفضل الموت، لأنها توجب الأكل والشرب والنوم واللباس وغيرها وكلها قيود.

والحاصل: إن قول الشر أكثر، والأشرار أكثر، والشر أسهل، وأن الخير مثل الصعود على الجبل، بخلاف الشر الذي هو مثل السقوط من الجبل، وأن الشر عدم قيد والخير قيد، وأن النفوس أميل إلى الشر، وأن الهدم أسهل من البناء، إلى غيرها من العبارات المتعارفة في الألسنة، نشأ من عدم التعمق في المطلب، فعمل الشر وعمل الخير متساويان من حيث

(المعد)، والخير أسهل وأكثر من الشر، والنفوس إلى الخير أميل منها إلى الشر.

ويؤيد ما ذكرناه أن الحق هو مطلوب الناس، والباطل إنما يلبس لباس الحق إذا أراد ترويج نفسه، فالناس راغبون للبضائع الحسنة، كما أنهم راغبون لأصدقاء وأزواج وأساتذة وتلامذة وأولاد... يتصفون بالصفات الحسنة، إذاً فالناس إلى الحق والجمال أميل منهم إلى الباطل والقبيح، ﴿فِطْرَةَ اللهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْها﴾[١]، وقال (صلى الله عليه وآله): «كل ميسر لما خلق له»[٢]، وقد فسر «ما خلق» بما يريده الله سبحانه من الإنسان.

لا يقال: فلماذا تقدم معاوية على علي (عليه السلام)، ولماذا قال سبحانه: ﴿أَكْثَرَهُمْ لا يَعْلَمُونَ﴾[٣]؟

لأنه يقال: بل تقدم علي (عليه السلام) على معاوية، ولذا يقدسون الناس علياً (عليه السلام) منذ أربعة عشر قرناً، بينما يلعنون معاوية، إذ ليس المناط فترة محدودة من الزمان حتى يقاس بالنسبة إليها التقدم والتأخر، وكذلك ﴿أكثرهم لا يعلمون﴾ في فترة محدودة، فإنه إذا لوحظت الكلية كان الأكثر أحسن، وقد فصلنا ذلك في كتاب (الفقه: الحكم في الإسلام) حول مبحث الشورى وانتخاب الأكثرية، كما تقدم هنا الإلماع إليه أيضاً.

وكيف كان، فالرجاء هو المطابق للعقل والعرف والشرع والحقيقة، بينما اليأس يخالف كل هذه الأمور.

---

(١) سورة الروم: ٣٠.

(٢) بحار الأنوار: ج٤ ص٢٨٢ ب٤.

(٣) سورة الأنعام: ٣٧.

لا بديل للقرآن

(**مسألة ٣٠**): لا إشكال عند راسخي الإيمان من المسلمين أنه لا بديل للقرآن أصلا، وأنّ ترك القرآن واتخاذ البديل له معناه ضنك الحياة، والعذاب في الآخرة، ﴿**وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْري فإن لَهُ مَعيشَةً ضَنْكاً وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيامَةِ أَعْمَى**﴾[1].

نعم الكفار والمشايعون لهم من شباب المسلمين يرون البديل عن القرآن، أما الكفار فلا يعترفون بالقرآن، وأما المشايعون لهم فيرون أن بعض أحكام القرآن وبعض إخباراته وضعت لا عن دقة، بل الحكم كان خاصاً بزمان ما قبل الصناعة، والخبر كان نظرية لا حقيقة علمية، فإن هؤلاء المقلدة وإن اعترفوا بالقرآن في الجملة وصلّوا وصاموا، لكنهم لا يرون رأي المسلمين في القرآن، ونقول لهؤلاء إنه لا بديل للقرآن:

١: لا في تشريعاته.

٢: ولا في إخباراته.

٣: ولا في إضفائه الشخصية للإنسان.

كما أن الإشكال على القرآن:

٤: بأنه سبب تأخر المسلمين، كما هو المشاهد في دنيا اليوم حيث تأخر المسلمون.

---

(١) سورة طه: آية ١٢٤.

٥ : وأن الأجانب إنما تقدموا لأنهم لم يتقيدوا بما في القرآن من أحكام هي قيود على البشر.

٦ : وأن بعض ما في القرآن نظرية لا يصدقها العلم التجريبي.

كل ذلك إشكالات واهية نشأ من عدم التدبر في القرآن، ﴿**أفلا يتدبرون القرآن أم على قلوب أقفالها**﴾[1] أولاً، وعدم التعمق في الأمر ثانياً.

١ : أما أنه لا بديل للقرآن في تشريعاته، فلأن كل تشريع لا يستند إلى الله سبحانه، لا دليل على أنه علمي، ولا دليل على صلاحيته للبشر، كما لا دليل على وجوب اتباع البشر له، إذ البشر لا يحيط بكل جوانب المعرفة، بينما الله يحيط بكلها، ولذا فالبشر لا يعرف الصالح من غير الصالح بينما الله يعلم ذلك، ولذا قانون الله لا يُغير بينما قانون البشر يغير، حتى إذا وضعه الناس بكل أفرادهم.

ثم أي موجب للإنسان في أن يتبع القانون وإن اشترك هو في وضعه، إذ ليس اشتراكه إلاّ أنه أعطى الكلام أن يتبع ما وضعه، وأي دليل على وجوب اتباع هذا الكلام الذي أعطاه والتزم به، أما الله فحيث إنه المالك الخالق يجب اتباعه بضرورة العقل، أما الذين يشكون في أن القرآن كلام الله، فهم حائرون في مستند القانون ووجه وجوب اتباعه، كما يظهر ذلك لمن راجع كتب القانون التي ألفها كبار علماء القانون.

٢. وأما أنه لا بديل للقرآن في إخباراته، فلأن أول الخلقة وآخر الإنسان مجهولان حتى للعلماء، إذ إنهم يقولون ذلك بالفرضيات، ولذا يختلفون أولاً، ثم يخالف أحدهم نفسه في نظريته الجديدة ثانياً، ولذا ترى جماهير من

---

(١) سورة محمد ﷺ : ٢٤.

المثقفين لا يعتمدون على هذه الآراء، ويبقون في حيرة من أمرهم، ثم البصيص من العلم إذا كان فإنما هو بالنسبة إلى المبدأ، أما المصير فهو من أغمض الأمور على العلم، وإذا كان بعض الجمعيات الروحية تعترف بخلود الروح لبعض التجارب، فإن ذلك لا يعني عرفان ولو جزء من مليون جزء من المعرفة المرتبطة بالمصير، وعقلاء البشر يخافون من سوء المنقلب أي خوف، لأنهم يرون آثار العلم والقدرة فيقودهم ذلك إلى عدم العبثية.

إذاً فالمطلوب تأمين المستقبل، وهذا ما يعجز العلم عنه كل العجز، ولذا نشاهد أن الدين ـ مهما تكالب قوى الإلحاد ضده ـ مهوى أكثرية البشر، وقد أجريت أخيراً إحصاءات في الاتحاد السوفياتي لأجل معرفة التعلق بالدين، فأسفرت من تعلق أكثر من خمسين مليون من الشباب الذين ولدوا بعد ثورة أكتوبر بعشرات السنوات بالدين، مما أدهش زعماء الإلحاد، ووضعوا أدق البرامج لكفاحه.

أقول: لكنه لا يمكن أن يكافح ﴿**فِطْرَةَ اللهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْها**﴾[1].

وقد كان التخويف من المصير من أقوى وسائل الأنبياء (عليهم السلام) لتقويم الناس وإرجاعهم إلى جادة الصواب، وهذا الخوف هو الذي يقود المؤمنين إلى هذا اليوم إلى سواء السبيل، ولذا نجد أن الاستقامة عند المتدينين أكثر بكثير من الاستقامة عند غيرهم، وإن لم يكن على المتدين وازع وكان على غيره وازع من القانون وحفظته، وذلك لوضوح أن الوازع الداخلي عند المتدين يزعه عن الانحراف، بينما الوازع الخارجي على غير المتدين لا يكفي في السير به إلى الجادة دائماً، بالإضافة إلى أن نفس الشرطي الوازع هو

---

(١) سورة الروم: ٣٠.

بحاجة إلى وازع آخر، وهلم جراً، وإذا لم يصل إلى الضمير الذي هو وازع حقيقي ينحرف الكل، وازعاً كان أو موزوعاً، ولذا ينطبق عليهم:

يا حاكمي الأقوام يا ملح البلد   ما يصلح الزاد إذا الملح فسد

وعلى أي حال، فلا بديل للقرآن في إخباراته، وإنما يرتطم من لم يتخذ القرآن مصدر الإخبار، في أوحال الجهل، ويعاني من شدائد الخوف من المصير وأهواله، وفي القرآن الحكيم: ﴿**أَلَا بِذِكْرِ اللهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ**﴾[1].

فإن الاطمئنان ليس من جهة الشرائع، بل من جهة الإخبارات أيضاً، والآية إن لم تشمل الإخبارات بالإطلاق، فإنها شاملة لها بالمناط.

٣: وأما أنه لا بديل للقرآن في إضفاء الشخصية للإنسان، فهو لأن الإنسان إنما يحس بشخصيته ويتمتع بوجوده تمتعاً كاملاً، وتملأ نفسه الطمأنينة والاستقرار، إذا كان منضماً إلى جماعة محترمة، لها أهدافها ومناهجها وأساليبها التي يجعلها منهاجاً مستقراً لحياته، من مبدئها إلى منتهاها، فيعلم ما هو المنهج في الزواج والطلاق، والحمل والولادة، والإرث والقضاء، والعبادة والمعاملة، والاقتصاد والسياسة، والتجمع والانفراد، والزراعة والعمران، إلى آخر ذلك، إذ لا يمكن للإنسان أن يعيش عيشة كريمة إلاّ بهذه الأمور.

والمسلم المستند إلى القرآن في راحة كاملة من هذه الجهة، بينما غير المسلم لا مستند له إطلاقاً، إذا لم يكن منضماً إلى جماعة، أو له مستند مترجرج إذا كان مستنداً إلى جماعة، مثلا الكتلتان المعاصرتان (الشرق والغرب) كلتاهما تعيشان في حالة من اللا استقرار والاضطراب، لعدم

---

(١) سورة الرعد: ٢٨.

استقرار مستندهما، ولذا كثر أمراض القلق والشذوذ من الحياة بالهيبية ونحوها، وأمراض الأعصاب وموت الفجأة وما إلى ذلك، حتى كتب أحدهم (دع القلق وابدأ الحياة).

بل الذين شاهدوا الغرب والشرق من قريب يخبرون بأن كثيراً من الناس خصوصا الشباب، يعيشون في حالة غريبة من الضياع والانفصام، وليس ذلك إلاّ لأجل عدم وجود كتلة متينة مستقرة يتمكن الإنسان من الانضمام إليها لإبداء شخصيته، بالإضافة إلى عدم وجود قانون مستقيم مستقر يمكن الاعتماد عليه، بينما القرآن يوفر كلا الأمرين لأتباعه.

٤ : أما الإشكال على القرآن بأنه سبب تأخر أمته كما نشاهد اليوم ذلك في المسلمين، فيرد عليه هذا التساؤل:

هل المسلمون تأخروا من يوم تركوا القرآن، أو تأخروا من يوم أخذوا بالقرآن؟

إنه لا أحد يمكنه أن يقول إن المسلمين تأخروا من يوم أخذوا بالقرآن في أول الإسلام، بل الكل القريب والغريب متفقون على أن القرآن صار سبب تقدم المسلمين، بل قفزهم إلى الأمام قفزاً انبهر به العالم إلى هذا اليوم. إذاً فالتأخر إنما أصابهم من يوم تركوا القرآن.

وليس لأحد أن يقول: إن القرآن كان وسيلة التقدم في العصر البدائي، أما في عصر الصناعة فليس القرآن سبباً للتقدم، كما أن السيف سبب الفوز في الحروب البدائية، أما في عصر الصاروخ فالسيف لا يسبب الفوز في الحرب.

لوضوح الفرق، فإن قوانين القرآن قوانين تقدمية، لا فرق فيها بين

عصر وعصر، وجيل وجيل، بل الاحتياج إلى القرآن في عصر التقدم أكثر، كما سنذكر ذلك في مسألة آتية إن شاء الله تعالى.

إذاً فالقرآن لم يسبب تأخر أمته، بل ترك القرآن سبب تأخرهم، قال تعالى: ﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْري فإنّ لَهُ مَعيشَةً ضَنْكاً﴾[1]، وقال: ﴿ولكِنْ كَذَّبُوا فَأَخَذْناهُمْ﴾[2]، وقال: ﴿وَهَلْ نُجازي إلاّ الْكَفُورَ﴾[3]، إلى غيرها من الآيات.

٥ : وأما أن الأجانب إنما تقدموا لتركهم الطقوس الدينية التي التزم بها المسلمون في عملهم بالقرآن، فهو اشتباه كبير، وذلك يظهر بالتحليل.

أ: فالأجانب لم يتقدموا في إرساء المجتمع المستقر الحر الصحيح الجسم والعقل والفكر، ويدل على ذلك كثرة اضطراب العالم بالثورات والحروب في زمانهم، كما كثرت الأمراض والجرائم وغير ذلك، أما الحريات فقد فقدت في بعض المجتمعات كالمجتمعات الشيوعية، كما تقلصت في بعض المجتمعات الأخر كالمجتمعات الرأسمالية.

ب: ولكنهم تقدموا في النظام والنظافة والصناعة والزراعة وما أشبه، وذلك ليس لأجل أنهم تركوا الطقوس الدينية، بل لأجل أنهم أخذوا بالدين في هذه الجوانب، انظر إلى هذه الآيات والروايات والقواعد: ﴿إِنَّ اللهَ يُحِبُّ التَّوّابينَ ويُحِبُّ الْمُتَطَهِّرينَ﴾[4]،

(١) سورة طه: ١٢٤.

(٢) سورة الأعراف: ٩٦.

(٣) سورة سبأ: ١٧.

(٤) سورة البقرة: ٢٢٢.

: «النظافة من الإيمان»[١].

: ﴿مِنْ كُلِّ شَيْءٍ مَوْزُونٍ﴾[٢].

: «ونظم أمركم»[٣].

: ﴿وَأَنْزَلْنَا الحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ﴾[٤].

يقول الفقهاء: الصناعات واجبة كفاية.

: ﴿وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ﴾[٥].

: «من وجد ماءً وأرضاً ثم افتقر أبعده الله»[٦].

إلى غيرها وغيرها.

وعلى هذا فالمسلمون إنما تأخروا عن العالم لعدم أخذهم بهذه القواعد والأحكام، والأجانب إنما تقدموا فيما تقدموا لأخذهم بهذه القواعد والأحكام، ولعل الإمام أمير المؤمنين (عليه السلام) كان يشير إلى ذلك، حيث قال: «الله الله في القرآن، لا يسبقكم بالعمل به غيركم»[٧].

٦: وأما أن بعض ما في القرآن نظرية لا يصدقها العلم التجريبي، فهذا مجرد ادعاء.

أولاً: لا نظرية في القرآن بل كلها حقائق.

---

(١) مستدرك الوسائل: ج١٦ ص٣١٩ باب٩٢ ح٢٠٠١٦.

(٢) سورة الحجر: ١٩.

(٣) نهج البلاغة: الكتاب ٤٧.

(٤) سورة الحديد: ٢٥.

(٥) سورة الأنفال: ٦.

(٦) وسائل الشيعة: ج١٧ ص٤٠ ب٩ ح٢١٩٣٠.

(٧) نهج البلاغة: الكتاب ٤٧.

وثانياً: إن كل مورد خالف القرآن مما يسمى بالعلم، ظهر بطلان الثاني وصحة الأول، ألم تبطل نظرية فرويد وماركس ودارون وماركوز، في قصة أن المحرك للإنسان الجنس أو الاقتصاد أو أن أصل الإنسان القرد، أو أن الإنسان ذو البعد الواحد.

أليس ذلك دليلاً على أصالة القرآن في أحكامه وأخباره، وأن كل ما خالفه فهو باطل، ﴿**لا يَأْتيهِ الْباطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ ولا مِنْ خَلْفِهِ**﴾[1]، فلا النظريات السابقة على القرآن ﴿بين يديه﴾، ولا النظريات اللاحقة عليه ﴿خلفه﴾ تمكن أن تصمد أمام حقائق القرآن.

---

(١) سورة فصلت: ٤٢.

هيمنة القرآن في جميع العصور

(مسألة ٣١): هناك زعم أن القرآن أخلى مكانه للعلم، لأن القرآن كان علماً في زمان لم يكن فيه تقدم العلم، فلما جاء العلم الحديث استغنى العالم عن القرآن، فليس القرآن حتى للمسلم به إلاّ قراءة للثواب والأجر، والتبرك والزينة، وسبباً لكسب رضى الله وثواب الآخرة.

لكن هذا الزعم فاسد، فإن القرآن مهيمن، من غير فرق بين عصر العلم وبين عصر البداءة، بل الحاجة إلى القرآن في عصر العلم أكثر، وكلما تقدم العلم ازدادت الحاجة إلى القرآن أكثر فأكثر.

فإن القرآن يبين العلاقات ويطهر النفوس ويقيد الأعضاء والجوارح عن الانحراف، ولا فرق في كل ذلك بين عصري البداءة والعلم، بل الاحتياج إليه في عصر العلم أكثر، القرآن يقول: (لا تسرق)، (لا تزن)، (لا تأكل أموال الناس بالباطل)، (تصح التجارة عن تراض)، (أنت حر في حد عدم الإضرار بالآخرين)، (بع واشتر في موازين عادلة)، (لا تظلم)، (طهر نفسك عن الحسد والغل والعداوة)، (احفظ لسانك من السباب والهمز واللمز)، (انفق على الفقراء)، (دافع عن المستضعفين)، (تعاون على البر والتقوى) و (لا تعاون على الإثم والعدوان)، إلى غيرها وغيرها مما يستفاد من آيات القرآن الحكيم، فهل في هذه الأحكام فرق بين زمان وزمان، ومكان ومكان، وبشر وبشر، وجيل وجيل؟

بل الاحتياج إلى هذه الأنظمة والقوانين في عصر العلم أكثر، إن الظالم

في عصر البداوة كان بإمكانه أن يجهز الجيش فيقتل عشرة آلاف إنسان ظلماً بواسطة السيف، لكن الظالم في عصر العلم بإمكانه أن يهيأ القنبلة الذرية فيقتل عشرة ملايين، ففي أي الزمانين كان الاحتياج إلى تطهير النفس أكثر، وفي أي الزمانين تكون الحاجة إلى أن يكون رئيس الدولة عادلاً خائفاً من الله سبحانه أكثر.

وكذلك إذا فرض تقدم العلم حتى صار بإمكان قنبلة واحدة أن تقتل مائة مليون، ألا يكون الاحتياج إلى قوانين القرآن في ذلك الزمان أكثر.

وهكذا السارق في الزمان البدائي كان بإمكانه أن يكون عصابة فيسرق ألف دينار من صندوق التاجر، أو أن يسرق طناً من ثمار بستان، فلما تقدم العلم تمكن السارق أن يسرق بعصابته مصرفاً فيه مليون دينار لألف إنسان، إلاّ تكون الحاجة إلى الردع في الزمان الثاني أكث.

وإذا تقدم العلم فتمكن الإنسان أن يسرق أموال الناس بمجرد الإرادة فرضاً، ألا يكون الاحتياج إلى تنظيف النفوس وردعها عن المآثم في مثل هذا الزمان أكثر. إلى غير ذلك من الأمثلة.

وهذا هو سر تقدم الأنبياء (عليهم السلام) على كل البشر مدى الأزمان، وحتى أن المخترع والمكتشف خاضع لهم، إن الأنبياء جاؤوا إلى الناس بالنظام الذي يوجب راحة الناس في ضمائرهم وأجسادهم، والمخترع إنما يأتي بشيء من راحة الإنسان، ومن يأتي بما يريح الإنسان في كل جوانبه أفضل ممن يأتي إلى الإنسان بما يريحه في بعض جوانبه.

هذا مع الغض عن الآخرة، وإلا فيبدو المخترع أمام النبي من أصغر الأقزام أمام أكبر العمالقة، وحتى في الموازين الدنيوية الآتي بالنظام يقدر

أكثر مما يقدر المخترع، فمثلا: (لنكولن) يقدر أكثر من ما يقدر مخترع أمريكي، و(ماركس) يقدر أكثر مما يقدر مخترع روسي.

وهنا سؤال متطفل خارج عن المبحث لا بأس بإلقاء الضوء عليه، وهو لماذا يدخل المؤمن العادي الفلاني الجنة، بينما يدخل الكافر المخترع النار، وكيف صار الأول محبوباً عند الله، والثاني مبغوضاً، مع أن الأول لم يخدم حتى نفسه والثاني خدم البشرية.

والجواب أولاً: إنه ليس كل كافر يدخل النار، بل كل من تمت عليه الحجة وعاند، وإلا امتحن يوم القيامة، فإن خرج عن الامتحان ناجحاً دخل الجنة وإلا دخل النار.

وثانياً: إن الكافر بخدمته إن أراد الشهرة والمال، فأي حق له أن يطلب الأجر من الله، فهل يصح أن يعمل البناء لجارك ثم يطلب منك الأجر، أما المؤمن فدخوله الجنة دون الكافر أمر طبيعي، إنه اطاع الله فاستحق عليه الثواب، بينما الكافر لم يطعه، أرأيت لو أنك قلت لعالم بناء: اعمل لي هذا العمل، فعمل، ولم تقل لمهندس قدير: ابن هذه المدينة، فبنى المهندس مدينة كاملة، فأيهما يستحق منك الأجر؟

وكيف كان، فالقرآن في عصر الآلة هو القرآن في عصر البداءة، بل سيبقى قرآنا إلى الأبد، ولذا قال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم): «وإنهما لن يفترقا حتى يردا عليّ الحوض»[1]، بل الاحتياج إلى القرآن في عصر العلم أكثر، وكلما تقدم العلم صار الاحتياج إلى القرآن أكثر فأكثر، حتى تصل الحاجة قمتها في آخر الدنيا، حيث تنتهي الدنيا وتبدأ القيامة، والله المستعان.

---

(١) الكافي: ج٢ ص٤١٤ باب أدنى ما يكون العبد به مؤمناً ... ح١.

كيفية الدعوة إلى الإسلام

(**مسألة ٣٢**): من الواجب أن تكون الدعوة إلى الله سبحانه، سواء دعوة الكفار إلى الإسلام أو دعوة الجهال إلى تطبيق أحكامه، كما قال سبحانه: ﴿**ادْعُ إِلى سَبيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجادِلْهُمْ بِالَّتي هِيَ أَحْسَنُ**﴾[1].

فاللازم مراعاة الحكمة ـ وهي وضع كل شيء موضعه ـ في الدعوة والهداية، ثم في هذه الدائرة قد يصادف الإنسان الداعي شخصاً غير معاند، فاللازم إعمال (الموعظة الحسنة) معه بأن يكون الإرشاد بالحسنى، لا إرشاداً عادياً، وقد يصادف الإنسان الداعي شخصاً معانداً، فاللازم إعمال (الجدال الأحسن) معه لا الجدال العادي، وذلك لأن مهمة الداعي إيصال الطرف إلى المطلوب، فاللازم أن يتحرى أحسن السبل، وليست (الموعظة) بنفسها أحسن السبل، بل هي أحسن السبل إذا كانت (حسنة)، كما ليس (الجدال) مع المعاند أحسن السبل، بل إذا كان (بالتي هي أحسن)، ومن يدري فلعل المجادل المعاند انقلب إلى ولي حميم، كما قال سبحانه: ﴿**ادْفَعْ بِالَّتي هِيَ أَحْسَنُ، فَإِذَا الَّذي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَداوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَميمٌ، وَما يُلَقَّاها إِلاّ الَّذينَ صَبَرُوا وَما يُلَقَّاها إِلاّ ذُو حَظٍّ عَظيمٍ**﴾[2].

فبالصبر والحظ: (معرفة الأسلوب) ينجح الداعي، وليس المراد بـ

(١) سورة النمل: ١٢٥.

(٢) سورة القصص: ٧٩.

(الحظ) ما في اصطلاح العوام، فإنه وإن كان حقاً في الجملة، إذ ليس كل نجاح الإنسان بيد الإنسان، لكن ظاهر الآية كون الكلام في العمل لا في التقدير الخارج من يد الإنسان، إنك إذا تزوجت زوجة جامعة للشرائط، فليس بيدك أن تجتاحها الوباء فتموت، كما ليس بيدك أن ترزق منها أولاد أو لا ترزق، إلى غير ذلك من الأمثلة، إنه (الحظ) أي التقدير الذي ليس بيد الإنسان، أما أن تكون المرأة ذات حسب ونسب، ومن عائلة ولودة، وذات خلق حسن، فهي بيدك.

والحاصل: إن كلما كان في دائرة الاختيار لم يكن حظاً وقدراً وقضاءً، وكلما لم يكن في دائرة الاختيار فهو حظ وقضاء وقدر.

وكيف كان، فالإنسان الذي يقع في طرف الإنسان الداعية، قد تدرج إلى عقيدته الفاسدة في خمس مراحل، إذ الإنسان إذا رأى شيئاً، لا بد له أولاً من الملاحظة، ثم الشك نحوه، ثم الظن، ثم العاطفة، ثم الاعتقاد الذي يتدرج نحوه، واللازم أن يتقهقر في كل تلك المراحل ليصل إلى الحق، بأن ينحل الاعتقاد، ثم تزول العاطفة نحوه، ثم يتبدل الظن إلى الشك، ثم ملاحظة الحق، والتدرج إلى الاعتقاد به، وهذه المراحل نقضاً وبناءً لا بد وأن يكون بهدوء حتى لا يمس كلام الحق غرور الإنسان، ولذا قال سبحانه: ﴿**وَإِذَا قِيلَ لَهُ اتَّقِ اللهَ أَخَذَتْهُ الْعِزَّةُ بِالْإِثْمِ**﴾[1]، فإذا لم يكن الإنسان معانداً أفاده البرهان بالأحسن، وإذا كان معانداً احتاج إلى الجدل، ولكن اللازم أن يكون الجدل بالتي هي أحسن أيضاً، حتى إذا كان قابلاً للهداية قبلها.

---

(١) سورة البقرة: ٢٠٦.

نعم تبقى قلة معاندة لا تنفعهم كل شيء ﴿وَإِنْ يَرَوْ كُلَّ آيَةٍ لا يُؤْمِنُوا بِها﴾[١]، لكن تلك القلة المعاندة لا يستفزون أكثر فأكثر ليكون هدمهم مضاعفاً.

نعم لا شك في أن (الحكمة) أحياناً تقتضي الخشونة، كما نجده في القرآن الحكيم، لكنه نادر جداً، ولذا تجد القرآن الحكيم يصر على نمط (الحسنى) قال سبحانه: ﴿وَقُلْ لِعِبادي يَقُولُ الَّتي هِيَ أَحْسَنُ إنّ الشَّيْطانَ يَنْزَغُ بَيْنَهُمْ إنّ الشَّيْطانَ كانَ لِلْإنسان عَدُوًّا مُبيناً رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِكُمْ إنْ يَشَأْ يَرْحَمْكُمْ أو إنْ يَشَأْ يُعَذِّبْكُمْ وَمَا أَرْسَلْناكَ عَلَيْهِمْ وَكيلاً﴾[٢]، فالشيطان الشيطان، ولذا كرر بلفظه في الآية المباركة، يريد أن ينفذ، ونفوذه يكون إذا لم يكن بـ (التي هي أحسن).

ثم الله أعلم بنواياكم وأساليبكم إن اتبعتم أوامره «شاء أن يرحمكم» وإلا «شاء أن يعذبكم» وأنت يا رسول الله عليك التبليغ سمعوا أو لم يسمعوا، فلست وكيلاً عليهم مأموراً بحفظهم، فإنه لا يأتي منك ذلك، ﴿فَذَكِّرْ إِنَّما أَنْتَ مُذَكِّرٌ لَسْتَ عَلَيْهِمْ بِمُسَطيرٍ﴾[٣]، وكل داع كذلك إنما هو مذكر، فلا يطلب منه ما ليس بمقدوره، فإذا رأى عدم الفائدة لا يهتم، ﴿فَلا تَذْهَبْ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ حَسَراتٍ﴾[٤].

ويقول سبحانه في آية أخرى بصدد الدعوة بالحسنى: ﴿وَعِبادُ الرَّحْمنِ

---

(١) سورة الأعراف: ١٤٦.

(٢) سورة الإسراء: ٥٤.

(٣) سورة الغاشية: ٢٢.

(٤) سورة فاطر: ٨.

الَّذينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأرض هَوْناً وَإِذا خاطَبَهُمُ الْجاهِلُونَ قالُوا سَلاماً﴾[١]، ما يوجب سلامة الجاهل وسلامة أنفسهم، لكن ذلك إذا لم يكن من الحكمة (الشدة) وإلاّ فاللازم الشدة: **﴿مُحَمَّدٌ رَسُولُ الله وَالَّذينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَماءُ بَيْنَهُمْ﴾**[٢]، فهم اكتسبوا الصفة من الله سبحانه، فإنه «أرحم الراحمين في موضع العفو والرحمة، وأشد المعاقبين في موضع النكال والنقمة»[٣]، إنه ليس برحم أن تترك الظالم ليظلم الناس، وإنما الرحم أن يكون ذلك إذا لم يكن مزيد من الظلم، يقول السعدي في شعر له ــ ما معناه ــ:

الترحم على النمر العضوض ظلـــم على الأغنام[٤]

ويقول سبحانه في آية أخرى: **﴿وَلا تُجادِلُوا أَهْلَ الْكِتابِ إلاّ بِالَّتي هِيَ أَحْسَنُ إلاّ الَّذينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ﴾**[٥] فإنهم بحاجة إلى الخشونة، أو اللازم تركهم وشأنهم، **﴿وَقُولُوا آمَنَّا بِالَّذي أُنْزِلَ إِلَيْنا وَأُنزِلَ إِلَيْكُمْ وَإِلهُنا وَإِلهُكُمْ واحِدٌ ونَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ﴾**[٦]، فإذا كنا جميعاً أتباع إله واحد، ونؤمن بالكتب المنزلة، فلماذا الخصام بعد توفر الحجة على أن محمداً (صلى الله عليه وآله) وقرآنه مثل الكليم وتوراته والمسيح وإنجيله؟

ويقول في آية أخرى: **﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ اللهُ مَثَلاً كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ**

---

(١) سورة الفرقان: ٦٣.

(٢) سورة الفتح: ٢٩.

(٣) الإقبال: ص٥٨، دعاء الافتتاح.

(٤) أصل الشعر بالفارسية: ترحم بر بلنك تيز دندان ستمكاري بود بر كوسفندان

(٥) سورة العنكبوت: ٤٦.

(٦) سورة العنكبوت: ٤٦.

طَيِّبَةٍ أَصْلُها ثابِتٌ وَفَرْعُها فِي السَّماءِ تُؤْتِي أُكُلَها كُلَّ حينٍ بِإِذْنِ رَبِّها وَيَضْرِبُ اللهُ الْأَمْثالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ، وَمَثَلُ كَلِمَةٍ خَبيثَةٍ كَشَجَرَةٍ خَبيثَةٍ اجْتُثَّتْ مِنْ فَوْقِ الْأَرض مَا لَهَا مِنْ قَرارٍ﴾(١) ، الشجرة الصحيحة النضرة لها أساس ثابت بجذورها في أعماق الأرض، ولها فروع ممتدة إلى أجواء السماء، ولها ثمار طيبة، وكذلك بالنسبة إلى الكلمة الطيبة، من باب تشبيه المعقول بالمحسوس ليكون أدخل في النفس، فلها جذور ثابتة في النفوس لأنها توافق الفطرة، ولها رفعة معنوية فكل من سمعها قال: إنها كلام رفيع، أما فائدتها التي هي بمنزلة الثمار فهي دائمة في كل حين، ليست كثمار الأشجار خاصة بفصل وزمان مخصوصين، بل الكلمة الطيبة تؤثر وتعطي ثماراً طيبة في كل زمان ومكان، بإذن الله فإن الله جعل الكلمة الطيبة هكذا، أما الكلمة الخبيثة، فلا تعرفها النفوس فليس لها جذور ولا لها رفعة، فهو كلام ساقط سافل، فهي كالشجرة اليابسة المجتثة فهي فوق الأرض فقط، وليس لها ثبات بل تنقلها الريح من هنا إلى هناك حتى تتحطم وتتهشم ولا تعطي الثمر.

وهكذا يؤدب القرآن المسلمين عامة، خصوصاً إذا كانوا دعاة إلى الله سبحانه، باستعمال أفضل السبل في سبيل الدعوة، وفي سبيل نقاء الاجتماع عن المنازعة والخصام، حتى يكون الذي بينك وبينه عداوة ينقلب إلى ولي حميم، لكن ذلك ليس من نصيب كل إنسان، بل إنه نصيب الذي صبر، وكان ذا حظ عظيم في سلوكه وأعماله وأقواله.

---

(١) سورة إبراهيم: ٢٤ .

انتصار القلة المحقة

(مسألة ٣٣): من أهم ما يجب على أهل الحق تعلّمه واتباعه من القرآن الحكيم، هو تعلم أن القلة تغلب الكثرة إذا كانت القلة مع الحق، وتعلم لزوم التطبيق العملي للإقدام مقابل الباطل، فأول الأمرين نفسي، وثاني الأمرين خارجي، فإن الانهزام أول ما يقع هو في النفس، ثم يتبعه الانهزام في العمل.

فاللازم أولاً: أن يعلم الإنسان أن الباطل ليس ذا كثرة، وإن توهم الإنسان ذلك في بادي الرأي، بل الباطل ذا قلة، وإنما سكوت الناس عنه يجعله في عين الجاهل ذا كثرة، إن الناس غالباً يتبعون مصالحهم، وحيث يأخذ الباطل بالزمام يسكتون عليه، فيتوهم الجاهل أنهم معه، بينما ليسوا معه، ولذا ترى أنه بمجرد أخذ الحق بالزمام التف نفس أولئك الناس حوله.

وأحسن مثال لذلك، مكة حاربت رسول الله (صلى الله عليه وآله) أكثر من عشرين سنة، وفي نفس يوم الفتح انقلب المحاربون على رسول الله (صلى الله عليه وآله) إلى محاربين مع رسول الله (صلى الله عليه وآله) في حنين، فالمهم أن تسقط السلاح من يد الباطل القليل العدد.

وفي تاريخنا القريب رأينا كيف انقلب الموالون معادين حين سقطت السلاح من يد حكومة إلى حكومة أخرى، وقد ذكر القرآن الحكيم هذه الحقيقة، أو قريباً منها، في قصة (طالوت وجالوت) حيث إنه لما سقط اللواء

من يد جالوت انهزم أصحابه، قال سبحانه: ﴿**وَقَتَلَ داوُدُ جالُوتَ وَآتاهُ اللهُ الْمُلْكَ**﴾[١]، فالقتل الواحد سبب الانهزام لجماهير مع أن الجماهير كانوا كفرة، وكان صف طالوت مؤمنين قلة.

وثانياً: يلزم أن يعلم أن الباطل وإن كان ذا كثرة حقيقية، فإن القلة تغلب الكثرة بإذن الله، وذلك لتفكك جبهة الباطل حقيقة وإن ظهرت متراصة، بينما جبهة الحق المجاهدة متراصة حقيقة وإن ظهرت مفككة، ﴿**كَمْ مِنْ فِئَةٍ قَليلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثيرَةً بِإِذْنِ اللهِ**﴾[٢] وإذن الله (تكويني) بأن تهيأ الفئة القليلة أسباب النصر، إذ حينذاك يأذن الله حيث أخذ الناس بأسباب النصر، و(غيبي) إذ لا شك في نصرة الله لعباده المؤمنين:

﴿**إِنْ تَنْصُرُوا اللهَ يَنْصُرْكُمْ ويُثَبِّتْ أَقْدامَكُمْ**﴾[٣].

: ﴿**إِنْ يَنْصُرْكُمُ اللهُ فَلا غالِبَ لَكُمْ**﴾[٤].

: ﴿**إِذْ يُوحي رَبُّكَ إِلى الْمَلائِكَةِ أَنِّي مَعَكُمْ فَثَبِّتُوا الَّذينَ آمَنُوا سَأُلْقي في قُلُوبِ الَّذينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ فَاضْرِبُوا فَوْقَ الْأَعْناقِ وَاضْرِبُوا مِنْهُمْ كُلَّ بَنانٍ**﴾[٥]، ضرب العنق لإذلالهم، وضرب البنان لرجفة أصابعهم حتى لا تحمل السلاح.

وثالثاً: حيث تقوى معنويات المسلمين لقوة قلوبهم وعلمهم بأنهم مع

---

(١) سورة البقرة: ٢٥١.

(٢) سورة البقرة: ٢٤٩.

(٣) سورة محمد ﷺ: ٧.

(٤) سورة آل عمران: ١٦٠.

(٥) سورة الأنفال: ١٢.

الله، وحيث تضعف معنويات الكافرين لأنهم يدخلون الميدان بدون سلاح الإيمان، فالكفار يرون واقع المؤمنين القليل حساً، والمؤمنون يرون الكفار قلة، لعرفانهم تفككهم، لأن الجهات النفسية عند المؤمنين تتدخل في أبصارهم، كما تتدخل النفس في المدارك كثيراً، مما يسبب إقدام المؤمنين مع قلتهم على الكفاح، «يقللكم في أعينهم ويقللهم في أعينكم».

وهذا أيضاً من لوازم الإيمان في جهة المؤمنين، ومن لوازم الكفر في جهة الكفار، لأن الغرور يتبع الكفر، فإنه من لوازمه وتوابعه، فاللازم على المؤمنين وإن كانوا قلة في مقابل المفسدين، أن يعلموا أنهم قلة أولاً، وأنهم على تقدير كونهم كثرة فهم (أفئدتهم وقلوبهم هواء) ثانياً، وأنهم حيث تقوى معنويات المؤمنين فهم غالبون على كل حال، إن أقدموا ﴿**قَالَ رَجُلانِ مِنَ الَّذينَ يَخافُونَ أَنْعَمَ اللهُ عَلَيْهِمَا ادْخُلُوا عَلَيْهِمُ الْبابَ فَإِذا دَخَلْتُمُوهُ فإنكُمْ غالِبُونَ وعَلَى اللهِ تَوَكَّلُوا أن كُنْتُمْ مُؤْمِنينَ**﴾[1]، ثالثاً.

(وقد ورد أنه قيل للإمام أمير المؤمنين (عليه السلام): كيف تغلب على كل من حاربته، قال: «لأمرين، الأول إني أذعن على قتله، والثاني إنه يعاونني على نفسه»[2]، فإنه حيث يعلم أنه في قبال الإمام (عليه السلام) ينهزم نفسياً، وبذلك فهو يعاون الإمام على قتل نفسه.

والقرآن الحكيم تذخر بقصص الأقليات التي غلبت الأكثريات وكانت العاقبة للأقلية الصالحة في قبال الأكثرية الفاسدة، فموسى (عليه السلام) غلب فرعون، وعيسى (عليه السلام) غلب ميردوس، وكل من نوح وإبراهيم وصالح

(١) سورة المائدة: ٢٣.

(٢) انظر نهج البلاغة: الحكمة ٣١٨.

وشعيب ويونس ولوط (عليهم السلام) وغيرهم غلبوا أقوامهم، وإن كان أولئك الأنبياء قليلين وتلك الطغاة كثيرين، وأصحاب الكهف القلة: ﴿**سَيَقُولُونَ ثَلاثَةٌ رابِعُهُمْ كَلْبُهُمْ**﴾[1] غلبوا الملك الجبار (دقيانوس)، وبعد نوم لم يشعروا بقدره ـ لأن النائم لا يشعر بمرور الزمان ـ وإذا بهم يفتحون عيونهم على قوم مؤمنين، وقد كتبت على أبواب المدينة اسم الله واسم عيسى روح الله في القصة المشهورة، إلى غيرها من القصص القرآنية التي تعطي للمؤمنين هذه الحقيقة الواقعية المشجعة.

ثم إنه كثيراً ما يتصور المصلحون أن في الإقدام مهلكة، فينسحبون خوف الهلاك، لكن اللازم أن يعلموا، أن المهلكة في ترك الإقدام أكثر من المهلكة في الإقدام، إذ الطغاة إذا غلبوا يكونون كما قالت الصديقة الطاهرة (عليها السلام): «وأبشروا بسيف صارم، وسطوة معتد غاشم... يدع فيئكم زهيداً، وجمعكم حصيداً»[2]، فالهلاك تحت سلطة الظالم أكثر من الهلاك في مواجهة الظالم.

نعم سنة الله في خلقه أن يكون الأرفع نفساً والمجهز باللوازم هو المقدم، فاللازم أن ترفع معنويات الفئة المجاهدة، وأن يحصلوا على أكبر قدر مقدور من الأهبة والاستعداد، حتى إذا كانت الأهبة في الفرار لتهيئة الظروف المواتية فروا، كما فعل موسى (عليه السلام): ﴿**ففررتُ منكم لما خفتكم**﴾[3]، وحتى إذا كانت الأهبة الانسحاب الوقتي لمزيد من الاستعداد انسحبوا، كما

---

(١) سورة الكهف: ٢٢.

(٢) بحار الأنوار: ج٤٣ ص١٥٩ ب٧ ح٩.

(٣) سورة الشعراء: ٢١.

فعل الإمام الحسن (عليه السلام) كما ذكرناه في كتاب ثورة الإمام الحسن (عليه السلام)، وإليه الإلماع في قوله سبحانه: ﴿**وَمَنْ يُوَلِّهِمْ يَوْمَئِذٍ دُبُرَهُ إلاّ مُتَحَرِّفاً لِقِتالٍ أو مُتَحَيِّزاً إلى فِئَةٍ فَقَدْ باءَ بِغَضَبٍ مِنَ الله**﴾[1]، فتحري السلاح الأفضل، وتحري فئة ينضم إليهم ليس فراراً من الزحف وإنما إلقاء الأمور على عواتقها، والانتظار بدون الاستعداد هو المحكوم عليه بغضب الله.

إن (انتظار الفرج) ليس بالسلبيات وإنما بالإيجابيات، أرأيت إن وجدت زارعاً في الصحراء، فقلت له: ما ذا تصنع، قال: انتظر الزرع، نظرت فإن كان كرب الأرض وأجرى الماء وعمل بما يؤدي إلى الزرع، صدقت كلامه، ورأيت أنه يصدق في قوله انتظر الزرع، أما إذا رأيته لم يعمل شيئاً، وإنما ينتظر الغيب أن يأتيه بالزرع، رأيته منحرفاً وعلمت كذب كلامه، وقلت له كلا إنك لا تنتظر الزرع.

وكذلك بالنسبة إلى من يقول أنتظر الولد وهو لا يتزوج، ومن يقول أنتظر الربح وهو لا يتاجر، ومن يقول أنتظر النجاح في المدرسة وهو لايدرس، إلى غير ذلك، فإن كلام هؤلاء لا يعدو كونه هراءً.

وهكذا حال المتزي بزي المصلح، إن كان تهيأ وأعد واستعد، كان قوله بأنه يريد الإصلاح صحيحاً، وإلا كان خارجاً من هذا الصف وإن تزي بزي المصلحين، أصلح الله حالنا ومآلنا، ووفق المسلمين لإعادة دور الإصلاح تحت لواء الإسلام وحكم القرآن، وقيادة الرسول والأئمة الطاهرين (عليهم السلام)، ما ذلك على الله بعزيز.

---

(١) سورة الأنفال: ١٦.

حرمة التفسير بالرأي

(مسألة ٣٤): لا يجوز تفسير القرآن بالرأي، ويدل عليه الأدلة الأربعة:

فمن الكتاب: قوله سبحانه: ﴿**وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ**﴾[١]، وقوله: ﴿**لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنْبِطُونَهُ مِنْهُمْ**﴾[٢]، إلى غيرهما.

ومن السنة: متواتر الروايات المذكورة في كتابي القرآن والقضاء من الوسائل والمستدرك وغيرهما.

ومن الإجماع: ما لا يخفى على من راجع كتب الأصول وغيرها في بحث حجية ظواهر القرآن.

ومن العقل: إنه لا يجوز تفسير مراد أحد من كلامه إذا لم يكن له ظاهر، أو كان له ظاهر لكنه أراد خلاف بعض تلك الظواهر بقرائن منفصلة، ومن المعلوم أن القرآن اشتمل على كلا الأمرين، إذ بعض آيات القرآن متشابهات، مثل فواتح السور، ومثل قوله: ﴿**ثَلاثَةَ قُرُوءٍ**﴾[٣] وغيرهما، كما أن كثيراً من المطلقات والعامات وغيرها قيدت وخصصت وأريد بها غير ظواهرها، فكيف يجوز الاستقلال بالتفسير.

إذاً فالواجب مراجعة الأحاديث الواردة سواء في شؤون القرآن، أو في شؤون الأصول، أو في شؤون الأحكام، وبعد ذلك جاز العمل بالظواهر

---

(١) سورة آل عمران: ٧.

(٢) سورة النساء: ٨٣.

(٣) سورة الروم: ٣٠.

التي لم تتعرض الأحاديث لها، وذلك لأن القرآن نزل لتفهيم الناس، كما قال سبحانه: ﴿ما أَرْسَلْنا مِنْ رَسُولٍ إلاّ بِلِسانِ قَوْمِهِ﴾[1]، فجاز للناس أن يفهموا من ظواهر القرآن التي لم تتعرض لها الروايات بالتقييد والتخصيص وما أشبه ذلك.

أما الأحاديث الواردة في شؤون القرآن فهي مثلما ما ورد في تفسير النعماني من تصنيف آيات القرآن.

وأما الأحاديث الواردة في شؤون الأصول فهي مثلما ورد حول آيات العقيدة المرتبطة بالإله وبصفاته وما أشبه ذلك.

فإن العقل وإن دل ـ على الأغلب ـ على المعقول وغير المعقول من صفاته وذاته سبحانه، إلاّ أن العقل إنما يتدخل فيما من شأنه فهمه وجوداً أو عدماً، لا في ما ليس من شأنه فهمه لا وجوداً ولا عدماً، فإن الأشياء إذا لو حظ ارتباط العقل بإيجابه وسلبه على ثلاثة أقسام:

ما يدرك العقل وجوبه، كذات الباري.

أو إمكانه، كالممكنات.

وما يدرك العقل عدم إمكانه، كشريك الباري وكالتناقض وكتساوي الزائد والناقص، أو عدم وجوبه كالممكنات، وما لا يدركه العقل ولا يصل إليه، كخصوصيات المبدأ والمعاد.

ومن الواضح أن طريق فهم الثالث النقل، مثلاً العقل دل على أنه سبحانه قادر، ودل على أنه سبحانه ليس له شريك، لكن العقل لا يدل على أنه سبحانه هل هو مبتهج أو ليس بمبتهج، ولذا اختلف الحكماء في

(١) سورة إبراهيم: ٤.

إثبات هذه الصفة له سبحانه أو نفيها عنه، إلى غير ذلك من الأمثلة.

وأما الأحاديث الواردة في شؤون الأحكام، فهي مثل ما ورد في خصوصيات الصلاة والصيام والنكاح والطلاق والحدود والديات إلى غير ذلك مما ذكر في فقه الإسلام، فإن كل ذلك شروح للآيات الواردة بهذه الشؤون، فهل يعقل الاستغناء عن العترة بالقرآن فقط، ولذا قال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم): «كتاب الله وعترتي»[1]، وقد تقدم أن المراد من العترة أعم من سنته (صلى الله عليه وآله)، كما أن ما ورد بلفظ: «كتاب الله وسنتي» ـ لو سلم ذلك ـ يراد بالسنة أعم من العترة، فإذا الإنسان لم يأخذ بأقوال العترة (عليهم السلام) فإمامه في الأحكام: أقوال الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) الواردة عن غير طريق أهل البيت (عليهم السلام) وذوي الاتصال بهم كسلمان وأبي ذر، والقياس والرأي والاستحسان، والكل غير صالح.

إذ أقوال الرسول (صلى الله عليه وآله) الواردة ـ عن غير الطرق المعتبرة ـ لا يمكن الأخذ بها لما فيها من الخلط والتشويش مما لا يخفى على من راجع ميزان الاعتدال للذهبي واللئالي المصوغة للسيوطي وغيرهما.

وإذا عرفت أن من أصح الروايات عند الصحاح الستة للعامة ما رواها أبو هريرة، وعرفت حال أبي هريرة ـ على ما ذكره شرف الدين (رحمه الله) وأبو رية ـ عرفت حال بقية الروايات في الكتب الستة، فكيف بغير الستة.

والقياس والرأي والاستحسان لا يمكن الأخذ بها حتى إذا لم ينه عنها، فكيف وقد نهي عنها.

والحاصل: إن أمام المسلم ثلاثة طرق: أن يأخذ بالقرآن وحده، وهذا

---

(١) الكافي: ج٢ ص٤١٤ باب أدنى ما يكون به العبد مؤمنا... ح١.

ما قامت الأدلة الأربعة على بطلانه، أو أن يأخذ بما يأخذ به العامة، وقد عرفت بطلانه، أو أن يأخذ بالكتاب والعترة وهذا هو الذي قام عليه الدليل.

ومن نافلة القول بعد ذلك أن يقال:

إن أقوال الصحابة بما هم صحابة ليست بحجة، لعدم قيام الدليل على حجيتها، وحديث (أصحابي كالنجوم) مختلق كما ذكره المحققون، بالإضافة إلى أنه يوجب التناقض في موارد تناقض الصحابة، ويوجب قبول أقوال المنافقين وما أكثرهم في أصحاب الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم)، وذلك باطل بالقطع، بل في نفس الحديث دليل اختلاقه، إذ ليس الاقتداء بكل نجم في السماء يوجب الهداية، وحيث إن هذا المبحث مرتبط بالإمامة نترك التوسع فيه إلى كتبها.

فتحصل:

إنه لا يحق للإنسان تفسير القرآن إلاّ بعد مراجعة العترة، ولا يحق للإنسان أن يأخذ بالقرآن وحده، لأن معنى ذلك عدم معرفة الأصول وعدم معرفة الفروع، ولذا قال (صلى الله عليه وآله): «كتاب الله وعترتي»[1].

لا يقال: لكن العترة مغنية عن الكتاب، لأنهم ذكروا كل الأصول والفروع؟

لأنه يقال: الكتاب إعجاز النبي (صلى الله عليه وآله وسلم)، فإذا سقط سقط أصل العترة، ولذا يجب التمسك به، بالإضافة إلى مزايا أخر في الكتاب لسنا الآن بصدد بيانها، وعلى هذا فمن قال: إنه تمسك بالكتاب دون العترة لم يتمسك بالكتاب أيضاً، ومن قال: إنه تمسك بالعترة دون الكتاب لم يتمسك

---

(١) الكافي: ج٢ ص٤١٤ باب أدنى ما يكون به العبد مؤمنا... ح١.

بالعترة أيضا.

وقد تقدم في بعض المباحث السابقة أن ظاهر الغاية في قوله (صلى الله عليه وآله وسلم): «حتى يردا عليّ الحوض»[1] أنهما مورد احتياج الأمة حتى في القبر والمحشر، ولا بعد في ذلك لبعض ما يستفاد منه أن البرزخ أيضاً محل الاكتمال، والله سبحانه العالم.

(١) الكافي: ج٢ ص٤١٤ باب أدنى ما يكون به العبد مؤمنا... ح١.

خاتمة

روايات في شأن القرآن

نذكر هنا بعض الروايات الواردة في شأن القرآن الكريم.

فصل في الترجمة واللحن

عن الحجال، عمن ذكره، عن أحدهما (عليهما السلام) قال: سألته عن قول الله عز وجل: ﴿بِلِسانٍ عَرَبِيٍّ مُبينٍ﴾[1]، قال: «يبين الألسن ولا تبينه الألسن»[2].

وعن مسعدة بن صدقة، قال: سمعت جعفر بن محمد (عليه السلام) يقول: «إنك قد ترى من المحرم من العجم لا يراد منه ما يراد من العالم الفصيح، وكذلك الأخرس في القراءة في الصلاة والتشهد وما أشبه ذلك، فهذا بمنزلة العجم المحرم لا يراد منه ما يراد من العاقل المتكلم الفصيح، ولو ذهب العالم المتكلم الفصيح حتى يدع ما قد علم أنه يلزمه ويعمل به وينبغي له أن يقوم به حتى يكون ذلك منه بالنبطية والفارسية فحيل بينه وبين ذلك وبالآداب حتى يعود إلى ما قد علمه وعقله، قال ولو ذهب من لم يكن في

(١) سورة الشعراء: ١٩٥.

(٢) الكافي: ج٢ ص٦٣٢ كتاب فضل القرآن ح٢٠.

مثل حال العجم المحرم ففعل فعال الأعجمي والأخرس على ما قد وصفنا إذا لم يكن أحد فاعلاً لشيء من الخير ولا يعرف الجاهل من العالم»[١].

فصل

لزوم قراءة القرآن كما في المصحف

في وجوب قراءة القرآن كما في المصحف.

عن سالم بن أبي سلمة قال: قرأ رجل على أبي عبد الله (عليه السلام) وأنا أستمع حروفاً من القرآن ليس على ما يقرؤها الناس، فقال أبو عبد الله (عليه السلام): «كفّ عن هذه القراءة، اقرأ كما يقرأ الناس حتى يقوم القائم، فإذا قام القائم قرأ كتاب الله على حده وأخرج المصحف الذي كتبه علي (عليه السلام)» الحديث[٢].

وعن سفيان بن السمط، قال: سألت أبا عبد الله (عليه السلام) عن ترتيل القرآن؟ فقال: «اقرؤوا كما علمتم»[٣].

وعن الشيخ الطوسي، قال: «روي عنهم (عليهم السلام) القراءة بما اختلف القراء فيه»[٤].

---

(١) قرب الإسناد: ص٢٤.

(٢) وسائل الشيعة: ج٤ ص٨٢١ الباب ٧٤ ح١ ط الإسلامية.

(٣) الكافي: ج٢ باب النوادر ح١٥ ـ وسائل الشيعة: ج٤ ص٨٢١ ح٣.

(٤) وسائل الشيعة: ج٤ ص٨٢١ الباب ٧٤ ح٥.

وعن الهاشمي، عن أبيه، عن آبائه (عليهم السلام) قال: قال رسول الله (صلى الله عليه وآله): «أتاني آت من الله فقال: إن الله يأمرك أن تقرأ القرآن على حرف واحد. فقلت: يا رب وسع على أمتي؟ فقال: إن الله يأمرك أن تقرأ القرآن على حرف واحد. فقلت: يا رب وسع على أمتي؟ فقال: إن الله يأمرك أن تقرأ القرآن على سبعة أحرف»[١].

أقول: المراد بتعليم القرآن ما فيه التفسير، كما ورد في حديث مجيء علي (عليه السلام) بقرآنه بعد فوت الرسول (صلى الله عليه وآله)، ورواية الطوسي محمولة على التقية، ولعل المراد بسبعة من لهجات العرب، فالطلب من الرسول (صلى الله عليه وآله) كان قبل نزول القرآن.

(١) وسائل الشيعة: ج٤ ص٨٢٢ الباب٧٤ ح٦.

فصل

فضل القرآن تعلماً وتعليماً وعملاً

في فضل القرآن تعلماً وتعليماً وعملاً ووجوب إكرامه.

عن سعد الخفاف، عن أبي جعفر (عليه السلام)، إنه قال: «يا سعد تعلموا القرآن، فإن القرآن يأتي يوم القيامة في أحسن صورة نظر إليها الخلق»، إلى أن قال: «حتى ينتهي إلى رب العزة، فيناديه تبارك وتعالى: يا حجتي في الأرض وكلامي الصادق الناطق ارفع رأسك وسل تعط واشفع كيف رأيت عبادي؟ فيقول: يا رب منه من صانني وحافظ عليّ ولم يضيع شيئاً، ومنهم من ضيعني واستخف بي وكذب بي وأنا حجتك على جميع خلقك، فيقول الله عز وجل: وعزتي وجلالي وارتفاع مكاني لأثيبن اليوم عليك أحسن الثواب ولأعاقبن عليك اليوم أليم العقاب».

إلى أن قال: «فيأتي الرجل من شيعتنا فيقول: ما تعرفني أنا القرآن الذي أسهرت ليلك وانصبت عيشك، فينطلق به إلى رب العزة فيقول: يا رب عبدك وكان نصابي مواظباً علي يعادي لسببي ويحب في ويبغض، فيقول الله عز وجل: أدخلوا عبدي جنتي واكسوه حلة من حلل الجنة يقولونه بتاج، فإذا فعل ذلك به عرض على القرآن فيقال له: هل رضيت بما صنع بوليك، فيقول: يا رب إني أستقل هذا له فزده مزيد الخير كله، فيقول: وعزتي وجلالي وعلوي وارتفاع مكاني لأنحلن له اليوم خمسة أشياء مع المزيد له ولمن كان بمنزلته إلاّ أنهم شباب لا يهرمون وأصحاء

لايسقمون وأغنياء لا يفتقرون وفرحون لا يحزنون وأحياء لا يموتون» الحديث[١].

وعن جابر، عن أبي جعفر (عليه السلام) قال: «يفيء القرآن يوم القيامة في أحسن منظور إليه صورة»، إلى أن قال: «حتى ينتهي إلى رب العزة فيقول: يا رب فلان بن فلان أظمات هو أجره وأسهرت ليله في دار الدنيا، وفلان بن فلان لم أظمأ هو أجره ولم أسهره ليله، فيقول تبارك وتعالى: أدخلهم الجنة على منازلهم، فيقوم فيتبعونه، فيقول للمؤمن: اقرأ وارقه، قال: فيقرأ ويرقا حتى يبلغ كل رجل منهم منزلته إلى منى له فينزلها»[٢].

وعن يونس بن عمر قال: قال أبو عبد الله (عليه السلام) في حديث: «يدعى ابن آدم المؤمن للحساب فيقدم القرآن أمامه في أحسن صورة، فيقول: يا رب أنا القرآن وهذا عبدك المؤمن قد كان يتعب نفسه بتلاوتي ويطيل ليله بترتيلي وتفيض عيناه إذا هجد، فأرضه كما أرضاني، قال فيقول العزيز الجبار: عبدي أبسط يمينك، فيملأها من رضوان الله ويملأ شماله من رحمة الله، ثم يقال: هذه الجنة مباحة لك فاقرأ واصعد، فإذا قرأ آية صعد درجة»[٣].

وعن سليم الفراء، عن رجل، عن أبي عبد الله (عليه السلام) قال: «ينبغي للمؤمن أن لا يموت حتى يتعلم القرآن، أو أن يكون في تعلّمه»[٤].

---

(١) الكافي: ج٢ ص٥٩٦ باب فضل القرآن ح١.
(٢) الكافي: ج٢ ص٦٠١ باب فضل القرآن ح١١.
(٣) الكافي: ج٢ ص٦٠١ باب فضل القرآن ح١٢.
(٤) الكافي: ج٢ ص٦٠١ باب من بتعلم القرآن بمشقة ح٣.

وعن عقبة بن عمار، قال: قال رسول الله (صلى الله عليه وآله): «لا يعذب الله قلباً وعى القرآن»[١].

وعن النعمان بن سعد، عن علي (عليه السلام): إن النبي (صلى الله عليه وآله) قال: «خياركم من تعلم القرآن وعلمه»[٢].

وفي نهج البلاغة، عن أمير المؤمنين (عليه السلام)، أنه قال في خطبة له: «وتعلموا القرآن فإنه ربيع القلوب، واستشفوا بنوره فإنه شفاء الصدور، وأحسنوا تلاوته فإنه أنفع القصص (أحسن القصص)، فإن العالم العامل بغير علمه كالجاهل الحاير الذي لا يستفيق من جهله، بل الحجة عليه أعظم والحسرة له ألزم، وهو عند الله ألوم»[٣].

وفي مجمع البيان، عن معاذ، قال: سمعت رسول الله (صلى الله عليه وآله) يقول: «ما من رجل علّم ولده القرآن إلاّ توج الله أبويه يوم القيامة بتاج الملك، وكسيا حليتن لم ير الناس مثلهما»[٤].

وعن النبي (صلى الله عليه وآله): «أهل القرآن هم أهل الله وخاصته»[٥].

وعنه (عليه السلام): «أفضل العبادة قراءة القرآن»[٦].

وعنه (عليه السلام): «القرآن غنى لا غنى دونه، ولا فقر بعده»[٧].

---

(١) أمالي الطوسي: ج١ ص٥.
(٢) أمالي الطوسي: ج١ ص٣٦٧.
(٣) وسائل الشيعة: ج٤ ص٨٢٥ الباب١ ح٧.
(٤) مجمع البيان: ج١ في مقدمة الكتاب، الوسائل: ج٤ ص٨٢٥ ح٨.
(٥) مجمع البيان: ج١ ص١٥ في ذكر فضائل القرآن.
(٦) مجمع البيان: ج١ ص١٥ في ذكر فضائل القرآن.
(٧) مجمع البيان: ج١ ص١٥ في ذكر أخبار فضل القرآن ح٢.

وعنه (عليه السلام): «أشراف أمتي حملة القرآن وأصحاب الليل»[١].

وعنه (عليه السلام): «إن هذا القرآن مأدبة الله، فتعلموا مأدبته ما استطعتم، إن هذا القرآن حبل الله وهو النور المبين والشفاء النافع عصمة لمن تمسك به ونجاة لمن تبعه» الحديث[٢].

وعنه (عليه السلام): «من قرأ القرآن حتى يستظهره ويحفظه أدخله الله الجنة وشفعه في عشرة من أهل بيته كلهم قد وجبت له النار»[٣].

وعنه (عليه السلام) قال: «حملة القرآن عرفاء أهل الجنة يوم القيامة»[٤].

وعنه (عليه السلام) قال: «إذا قال المعلم للصبي قل: بسم الله الرحمن الرحيم، فقال الصبي: بسم الله الرحمن الرحيم، كتب الله براءة للصبي وبراءة لأبويه وبراءة للمعلم من النار»[٥].

وعن إسحاق بن غالب قال: قال أبو عبد الله (عليه السلام): «إذا جمع الله عز وجل الأولين والآخرين إذا هم بشخص قد أقبل لم ير قط أحسن صورة منه، فإذا نظر إليه المؤمنون وهو القرآن قالوا هذا منا، هذا أحسن شيء رأينا، فإذا انتهى إليهم جازهم، إلى أن قال: حتى يقف عن يمين العرش فيقول الجبار عز وجل: وعزتي وجلالي وارتفاع مكاني لأكرمن اليوم من أكرمك ولأهينن من أهانك»[٦].

وعن أبي الجارود، قال: قال أبو جعفر (عليه السلام): قال رسول الله

---

(١) مجمع البيان: ج١ ص١٦ في ذكر أخبار فضل القرآن ح٢.

(٢) مجمع البيان: ج١ ص١٦ في ذكر أخبار فضل القرآن ح٢.

(٣) مجمع البيان: ج١ ص١٦ في فضل القرآن.

(٤) الكافي: ج٢ باب فضل حامل القرآن ح١١.

(٥) وسائل الشيعة: ج٤ ص٨٢٦ الباب ١ ح١٦.

(٦) الكافي: ج٢ الباب الأول كتاب فضل القرآن ح١٤.

(صلى الله عليه وآله): «أنا أول وافد على العزيز الجبار يوم القيامة وكتابه وأهل بيتي، ثم أمتي، ثم أسألهم ما فعلتم بكتاب الله وأهل بيتي»[1].

وفي مجمع البيان، عن النبي (صلى الله عليه وآله) أنه قال: «من قرأ القرآن فظن أن أحداً أعطي أفضل مما أعطي فقد حقر ما عظم الله وعظم ما حقر الله»[2].

فصل

التفكر في القرآن

يستحب التفكر في معاني القرآن وأمثاله ووعده ووعيده، وما يقتضي الاعتبار والتأثر والاتعاظ، وسؤال الجنة والاستعاذة من النار عند آيتيهما، كما يحرم استخفاف أهل القرآن.

عن طلحة بن زيد، عن أبي عبد الله (عليه السلام) قال: «إن هذا القرآن فيه منار الهدى ومصابيح الدجى، فيجل جال بصره ويفتح للضياء نظره، فإن التفكر حياة قلب البصير، كما يمشي المستنير في الظلمات بالنور»[3].

وعن سماعة قال: قال أبو عبد الله (عليه السلام): «ينبغي لمن قرأ القرآن إذا مر بآية من القرآن فيها مسألة أو تخوف، أن يسأل عند ذلك خير ما يرجو ويسأله العافية من النار والعذاب»[4].

---

(1) وسائل الشيعة: ج٤ ص٨٢٧ الباب٢ ح٢.

(2) مجمع البيان: ج١ ص١٦ في ذكر فضائل القرآن.

(3) الكافي: ج٢ باب فضل القرآن.

(4) وسائل الشيعة: ج٤ ص٨٢٨ الباب ٣ ح٢.

وعن السكوني، عن أبي عبد الله (عليه السلام)، عن آبائه (عليهم السلام) قال: قال رسول الله (صلى الله عليه وآله) في حديث: «إذا التبست عليكم الفتن كقطع الليل المظلم، فعليكم بالقرآن، فإنه شافع مشفّع، وماحل مصدق، ومن جعله أمامه قاده إلى الجنة، ومن جعله خلفه ساقه إلى النار، وهو الدليل يدل على خير سبيل وهو كتاب فيه تفصيل وبيان وتحصيل، وهو الفصل ليس بالهزل وله ظهر وبطن، فظاهره حكم وباطنه علم، ظاهره أنيق وباطنه عميق، له نجوم وعلى نجومه نجوم، لا تحصى عجائبه ولاتبلى غرائبه، مصابيح الهدى ومنار الحكمة، ودليل على المعرفة لمن عرف الصفة، فليجل جال بصره وليبلغ الصفة نظره، ينج من عطب، ويتخلص من نشب، فإن التفكر حياة قلب البصير، كما يمشي المستنير في الظلمات بالنور فعليكم بحسن التخلص وقلة التربص»[(١)].

وعن ميمون القداح، عن أبي جعفر (عليه السلام) في حديث قال: قال رسول الله (صلى الله عليه وآله): «إني لأعجب كيف لا أشيب إذا قرأت القرآن»[(٢)].

وعن ابن عباس قال: قال أبو بكر: يا رسول الله أسرع إليك الشيب، قال: «شيبتني هود والواقعة والمرسلات وعم يتسائلون»[(٣)].

أقول: لعل ذلك لما فيها من الأمر بالاستقامة وذكر الأهوال والعذاب.

وعن الهاشمي، عن جعفر بن محمد (عليه السلام)، عن آبائه (عليهم السلام)، عن أمير المؤمنين (عليه السلام)، في كلام طويل في وصف المتقين قال: «أما

(١) الكافي: ج٢ باب النوادر ح١٩.

(٢) وسائل الشيعة: ج٤ ص٨٢٩ الباب ٣ ح٥.

(٣) وسائل الشيعة: ج٤ ص٨٢٩ الباب ٣ ح٦.

الليل فصافون أقدامهم تالين لأجزاء القرآن يرتلونه ترتيلا ، يحزنون به أنفسهم ويستثيرون به تهييج أحزانهم ، بكاء على ذنوبهم ووجع كلوم جراحهم ، وإذا مروا بآية فيها تخويف أصغوا إليها مسامع قلوبهم وأبصارهم ، فاقشعرت منها جلودهم ووجلت قلوبهم ، فظنوا أن صهيل جهنم وزفيرها وشهيقها في أصول آذانهم ، وإذا مروا بآية فيها تشويق ركنوا إليها طمعاً ، وتطلعت أنفسهم إليها شوقا ، وظنوا أنها نصب أعينهم»[١].

وعن أبي حمزة الثمالي ، عن أبي جعفر (عليه السلام) قال : قال أمير المؤمنين (عليه السلام) : «ألا أخبركم بالفقيه حقاً ، من لم يقنط الناس من رحمة الله ، ولم يؤمنهم من عذاب الله ، ولم يؤيسهم من روح الله ، ولم يرخص لهم في معاصي الله ولم يترك القرآن رغبة عنه إلى غيره ، ألا لا خير في علم ليس فيه تفهم ، ألا لا خير في قراءة ليس فيها تدبر ، ألا لا خير في عبادة ليس فيها تفقه»[٢].

وفي مجمع البيان ، عن أبي عبد الله (عليه السلام) قال : «إذا مررت بآية فيها ذكر الجنة فاسأل الله الجنة ، وإذا مررت بآية فيها ذكر النار فتعوذ بالله من النار»[٣].

وعن السكوني ، عن أبي عبد الله (عليه السلام) قال : قال رسول الله (صلى الله عليه وآله) : إن أهل القرآن في أعلا درجة من العليين ما خلا النبيين والمرسلين فلا تستضعفوا أهل القرآن حقوقهم فإن لهم من العزيز الجبار

---

(١) الكافي : ج٢ ص٥٩٨ باب فضل القرآن ح٢.

(٢) وسائل الشيعة : ج٤ ص٨٣٩ الباب ٣ ح٧.

(٣) وسائل الشيعة : ج٤ ص٨٣٠ الباب ٤ ح١.

لمكانا»[١].

وعن عبد الله بن عباس، عن رسول الله (صلى الله عليه وآله) قال: «أشراف أمتي حملة القرآن وأصحاب الليل»[٢].

وعن الحسن العسكري (عليه السلام) في تفسيره، عن آبائه (عليهم السلام)، عن النبي (صلى الله عليه وآله) قال: «حملة القرآن المخصوصون برحمة الله، الملبسون نور الله، المعلمون كلام الله، المقربون عند الله، من والاهم فقد والى الله، ومن عاداهم فقد عادى الله، يدفع الله عن مستمع القرآن بلوى الدنيا، وعن قاريه بلوى الآخرة» إلى أن قال: «ولسامع آية من كتاب الله وهو معتقد، والذي نفس محمد (صلى الله عليه وآله) بيده، أعظم أجراً من ثبير ذهباً يتصدق به، ولقارئ آية من كتاب الله معتقد أفضل مما دون العرش إلى أسفل النجوم»[٣].

---

(١) الكافي: ج٢ ص٦٠٣ باب فضل حامل القرآن ح١.

(٢) مجمع البيان: ج١ ص١٦ في ذكر أخبار القرآن.

(٣) مجمع البيان: ج١ ص١٦ في ذكر أخبار القرآن.

فصل

تعلم القرآن في سن الشباب

يستحب تعلم القرآن في الشباب وتعاهده وحفظه وتعليمه للأولاد.

عن الفضيل بن يسار، عن أبي عبد الله (عليه السلام) قال: «الحافظ للقرآن العامل به مع السفرة الكرام البررة»[١].

وعن أبي عبد الله (عليه السلام) قال: سمعته يقول: «إن الذي يعالج القرآن ويحفظه بمشقة منه وقلة حفظه، له أجران»[٢].

وعن الصباح بن سيابة قال: سمعت أبا عبد الله (عليه السلام) يقول: «من شدد عليه القرآن كان له أجران، ومن يسر عليه كان مع الأولين»[٣].

وعن منهال القصاب، عن أبي عبد الله (عليه السلام) قال: «من قرأ القرآن وهو شاب مؤمن اختلط القرآن بلحمه ودمه، وجعله الله مع السفرة الكرام البررة، وكان القرآن حجيزاً عنه يوم القيامة، يقول: يا رب إن كل عامل قد أصاب أجر عمله غير عاملي فبلغ به أكرم عطائك، قال: فيكسوه الله العزيز الجبار حلتين من حلل الجنة ويوضع على رأسه تاج الكرامة، ثم يقال له: هل أرضيناك فيه، فيقول القرآن: يا رب قد كنت أرغب له فيما هو أفضل من هذا، قال: فيعطى الأمن بيمينه والخلد بيساره ثم يدخل الجنة فيقال له:

(١) الكافي: ج٢ باب فضل حامل القرآن ح٢.

(٢) وسائل الشيعة: ج٤ ص٨٣٢ الباب ٥ ح٢.

(٣) وسائل الشيعة: ج٤ ص٨٣٢ الباب ٥ ح٣.

اقرأ آية فاصعد درجة، ثم يقال له: هل بلغنا به وأرضيناك، فيقول: نعم، قال: ومن قرأه كثيراً وتعاهده بمشقة من شدة حفظه أعطاه الله عز وجل هذا مرتين»[(١)].

وعن أبان بن تغلب، عن أبي عبد الله (عليه السلام) قال في حديث: «من أوتي القرآن والإيمان فمثله كمثل الأترجة ريحها طيب وطعمها أطيب، وأما الذي لم يؤت القرآن ولا الإيمان فمثله كمثل الحنظلة طعمها مر ولا ريح لها»[(٢)].

وعن معاوية بن عمار، قال: قال لي أبو عبد الله (عليه السلام): «من قرأ القرآن فهي غنى لا فقر بعده، وإلا ما به غنى»[(٣)].

وعن الفضيل بن يسار، عن أبي عبد الله (عليه السلام) قال: قال رسول الله (صلى الله عليه وآله): «تعلموا القرآن فإنه يأتي يوم القيامة صاحبه في صورة شاب جميل شاحب اللون فيقول له: أنا القرآن الذي كنت أسهرت ليلك وأظمأت هواجرك وأجففت ريقك وأسبلت دمعتك»، إلى أن قال: «فأبشر، فيؤتى بتاج فيوضع على رأسه ويعطى الأمان بيمنه والخلد في الجنان بيساره ويكسى حلتين، ثم يقال له: اقرأ وارقأ، فكلما قرأ آية صعد درجة، ويكسى أبواه حلتين إن كانا مؤمنين، ثم يقال لهما: هذا لما علمتماه القرآن»[(٤)].

وعن الأصبغ بن نباته قال: قال أمير المؤمنين (عليه السلام): «إن الله ليهم

---

(١) الكافي: ج٢ ص٦٠٣ باب فضل حامل القرآن ح٤.
(٢) الكافي: ج٢ ص٦٠٤ باب فضل حامل القرآن ح٦.
(٣) الكافي: ج٢ ص٦٠٥ باب فضل حامل القرآن ح٨.
(٤) الكافي: ج٢ ص٦٠٣ باب فضل حامل القرآن ح٣.

بعذاب أهل الأرض جميعا حتى لا يحاشى منهم أحد إذا عملوا بالمعاصي واجترحوا السيئات، فإذا نظر إلى الشيب ناقلي أقدامهم إلى الصلوات، والولدان يتعلمون القرآن رحمهم، فأخر ذلك عنهم»[١].

فصل

آداب حمل القرآن

ما يستحب لحامل القرآن من الخشوع والصفات الحسنة والعبادات.

عن عمرو بن جميع، عن أبي عبد الله (عليه السلام) قال: قال رسول الله (صلى الله عليه وآله): «إن أحق الناس بالتخشع في السر والعلانية لحامل القرآن، وإن أحق الناس في السر والعلانية بالصلاة والصوم لحامل القرآن، ثم نادى بأعلى صوته: يا حامل القرآن تواضع به يرفعك الله، ولا تعزّز به فيذلّك الله، يا حامل القرآن تزين به لله يزينك الله به، ولا تزين به للناس فيشينك الله به، من ختم القرآن فكأنما أدرجت النبوة بين جنبيه ولكنه لا يوحى إليه، ومن جمع القرآن فَنَوْلُهُ لا يجهل في من يجهل عليه، ولا يغضب في من يغضب عليه، ولا يجد في من يجد، ولكنه يعفو ويصفح ويغفر ويحلم لتعظيم القرآن، ومن أوتي القرآن فظن أن أحداً من الناس أوتي أفضل مما أوتي فقد عظم ما حقر الله وحقر ما عظم الله»[٢].

وعن يعقوب الأحمر، عن أبي عبد الله (عليه السلام) في حديث قال: «إن

---

(١) وسائل الشيعة: ج٤ ص٨٣٥ الباب ٧ ح٢، ثواب الأعمال: ص٢١ و١٦.

(٢) الكافي: ج٢ ص٦٠٤ باب فضل حامل القرآن ح٥.

من الناس من يقرأ القرآن ليقال فلان قارئ، ومنهم من يقرأ القرآن ليطلب به الدنيا ولا خير في ذلك، ومنهم من يقرأ القرآن لينتفع به في صلاته وليله ونهاره»[١].

وعن أبي جعفر (عليه السلام) قال: «قراء القرآن ثلاثة، رجل قرأ القرآن فاتخذه بضاعة واستدر به الملوك واستطال به على الناس، ورجل قرأ القرآن فحفظ حروفه وضيع حدوده وأقامه إقامة القِدح، فلا كثّر الله هؤلاء من حملة القرآن، ورجل قرأ القرآن فوضع دواء القرآن على داء قلبه فأسهر به ليله وأظمأ به نهاره وقام به في مساجده وتجافى به عن فراشه، فبأولئك يدفع البلاء، وبأولئك يديل الله من الأعداء، وبأولئك ينزل الله الغيث من السماء، فو الله لهؤلاء في قراء القرآن أعز من الكبريت الأحمر»[٢].

وعن الصادق (عليه السلام)، عن آبائه (عليهم السلام)، عن النبي (صلى الله عليه وآله) في حديث المناهي قال: «من قرأ القرآن ثم شرب عليه حراماً أو آثر عليه حب الدنيا وزينتها، استوجب عليه سخط الله إلاّ أن يتوب، ألا وإنه إن مات على غير توبة حاجّه يوم القيامة فلا يزايله إلاّ مدحوضا»[٣].

وعن هشام بن سالم، عن أبي عبد الله (عليه السلام) قال: «قراء القرآن ثلاثة، قارئ قرأ القرآن ليستدر به الملوك ويستطيل به على الناس فذلك من أهل النار، وقارئ قرأ القرآن فحفظ حروفه وضيع حدوده فذلك من أهل النار، وقارئ قرأ القرآن فاستتر به تحت برنسه فهو يعمل بمحكمه ويؤمن بمتشابهه ويقيم فرائضه ويحل حلاله ويحرم حرامه فهذا ممن ينقذه الله من

---

(١) وسائل الشيعة: ج٤ ص٨٣٦ الباب ٨ ح٢.

(٢) الكافي: ج٢ باب النوادر ح١.

(٣) وسائل الشيعة: ج٤ ص٨٣٦ الباب ٨ ح٤.

مضلات الفتن وهو من أهل الجنة ويشفع فيمن يشاء»[١].

وعن السكوني، عن أبي عبد الله، عن أبيه، عن آبائه (عليهم السلام)، قال: «من قرأ القرآن يأكل به الناس جاء يوم القيامة ووجهه عظم لا لحم فيه»[٢].

وعن رسول الله (صلى الله عليه وآله) في حديث قال: «من تعلم القرآن فلم يعمل به وآثر عليه حب الدنيا وزينتها استوجب سخط الله وكان في الدرجة مع اليهود والنصارى الذين ينبذون كتاب الله وراء ظهورهم، ومن قرأ القرآن يريد به سمعته والتماس الدنيا لقي الله يوم القيامة ووجهه عظم ليس عليه لحم وزج القرآن في قفاه حتى يدخله النار ويهوى فيها مع من هوى، ومن قرأ القرآن ولم يعمل به حشره الله يوم القيامة أعمى فيقول يا رب لم حشرتني أعمى وقد كنت بصيرا، قال كذلك أتتك آياتنا فنسيتها وكذلك اليوم تنسى، فيؤمر به إلى النار، ومن قرأ القرآن ابتغاء وجه الله وتفقهاً في الدين كان له من الثواب مثل جميع ما أعطي الملائكة والأنبياء والمرسلون، ومن تعلم القرآن يريد به رياء وسمعة ليماري به السفهاء ويباهي به العباد ويطلب به الدنيا بدد الله عظامه يوم القيامة ولم يكن في النار أشد عذاباً منه، وليس نوع من أنواع العذاب إلاّ سيعذب به من شدة غضب الله عليه وسخطه، ومن تعلم القرآن وتواضع في العلم وعلم عباد الله وهو يريد ما عند الله لم يكن في الجنة أعظم ثواباً منه ولا أعظم منزلة منه، ولم يكن في الجنة منزل ولا درجة رفيعة ولا نفيسة إلاّ وكان له فيها أوفر النصيب

(١) وسائل الشيعة: ج٤ ص٨٣٧ الباب ٨ ح٥.

(٢) وسائل الشيعة: ج٤ ص٨٣٧ الباب ٨ ح٧.

وأشرف المنازل»[1]، أقول: المراد مثل قراءتهم (عليهم السلام) للقرآن.

وعن النبي (صلى الله عليه وآله) قال: «إن في جهنم وادياً يتسغيث أهل النار كل يوم سبعين ألف مرة منه»، إلى أن قال: فقيل له: لمن يكون هذا العذاب؟ قال: «لشارب الخمر من أهل القرآن وتارك الصلاة»[2].

فصل

ما يستحق قارئ القرآن من بيت المال

عن أبي الأشهب النخعي، قال: قال علي بن أبي طالب (عليه السلام): «من دخل في الإسلام طائعاً، وقرأ القرآن ظاهراً، فله في كل سنة مائتا دينار من بيت مال المسلمين، وإن منع في الدنيا أخذها يوم القيامة وافية أحوج ما يكون إليها»[3].

---

(١) وسائل الشيعة: ج٤ ص٨٣٧ الباب ٨ ح٨.

(٢) وسائل الشيعة: ج٤ ص٨٣٨ الباب ٨ ح٩.

(٣) وسائل الشيعة: ج٤ ص٨٣٨ الباب ٩ ح١.

فصل

تعليم النساء السور

عن محمد بن علي بن الحسين، قال: قال أبو عبد الله (عليه السلام): «لاتنزلوا النساء الغرف، ولا تعلموهن الكتابة، وعلموهن المغزل وسورة النور، ولا تعلموهن سورة يوسف» الحديث[١].

أقول: عدم إنزالهن وعدم تعليمهن إذا كان في ذلك خوف الفتنة، كما يدل على ذلك بعض القرائن.

فصل

كثرة قراءة القرآن

يستحب كثرة قراءة القرآن والاستماع إليه، وختمه.

عن معاوية بن عمار، عن أبي عبد الله (عليه السلام) في وصية النبي (صلى الله عليه وآله) لعلي (عليه السلام) قال: «وعليك بتلاوة القرآن على كل حال»[٢].

وعن الزهري قال: قلت لعلي بن الحسين (عليه السلام): أي الأعمال أفضل، قال: «الحال المرتحل»، قلت: وما الحال المرتحل، قال: «فتح القرآن وختمه، كلما جاء بأوله ارتحل بآخره» وقال: قال رسول الله (صلى الله عليه

---

(١) وسائل الشيعة: ج٤ ص٨٣٩ الباب ١٠ ح١.

(٢) وسائل الشيعة: ج٤ ص٨٤٠ الباب ١١ ح١.

وآله): «من أعطاه الله القرآن فرأى أن رجلا أعطي أفضل مما أعطي فقد صغر عظيماً وعظم صغيرا»[١].

وعن حفص قال: سمعت موسى بن جعفر (عليه السلام) يقول في حديث: «إن درجات الجنة على قدر آيات القرآن، يقال له اقرأ وارقأ، فيقرأ ثم يرقأ»[٢].

وعن عبد الله بن سليمان، عن أبي جعفر (عليه السلام) قال: «من قرأ القرآن قائماً في صلاته كتب الله له بكل حرف مائة حسنة، ومن قرأ في صلاته جالساً كتب الله له بكل حرف خمسين حسنة، ومن قرأ في غير صلاة كتب الله له بكل حرف عشر حسنات»[٣].

وعن الحسين بن علي (عليهما السلام) قال: «من قرأ آية من كتاب الله عزوجل في صلاته قائماً يكتب الله بكل حرف مائة حسنة، فإن قرأها في غير صلاة كتب الله له بكل حرف عشر حسنات، وإن استمع القرآن كتب الله له بكل حرف حسنة، وإن ختم القرآن ليلاً صلت عليه الملائكة حتى يصبح، وإن ختمه نهاراً صلت عليه الحفظة حتى يمسي وكانت له دعوة مجابة وكان خيراً له مما بين السماء إلى الأرض»، قلت: هذا لمن قرأ القرآن فمن لم يقرأ؟، قال: «يا أخا بني أسد إن الله جواد ماجد كريم إذا قرأ ما معه أعطاه الله ذلك»[٤].

وعن أبي عبد الله (عليه السلام) قال: «من استمع حرفاً من كتاب الله من

---

(١) الكافي: ج٢ باب فضل حامل القرآن ح٧.

(٢) وسائل الشيعة: ج٤ ص٨٤٠ الباب ١١ ح٣.

(٣) الكافي: ج٢ باب ثواب قراء القرآن ح١.

(٤) الكافي: ج٢ باب ثواب قراءة القرآن ح٣.

غير قراءة كتب الله له حسنة ومحا عنه سيئة ورفع له درجة، ومن قرأ نظراً من غير صلاة كتب الله له بكل حرف حسنة ومحى عنه سيئة ورفع له درجة، ومن تعلم منه حرفاً ظاهراً كتب الله له عشر حسنات ومحى عنه عشر سيئات ورفع له عشر درجات»، قال: «لا أقول بكل آية ولكن بكل حرف باء أو تاء وشبههما»، قال: «ومن قرأ حرفاً وهو جالس في صلاة كتب الله له به خمسين حسنة ومحا عنه خمسين سيئة ورفع له خمسين درجة، ومن قرأ حرفاً وهو قائم في صلاته كتب الله له مائة حسنة ومحى عنه مائة سيئة ورفع له مائة درجة، ومن ختمه كانت له دعوة مستجابة مؤخرة أو معجلة»، قال قلت: جعلت فداك ختمه كله، قال: «ختمه كله»[(١)].

وعن منصور، عن أبي عبد الله (عليه السلام) قال: سمعت أبي يقول: قال رسول الله (صلى الله عليه وآله): «ختم القرآن إلى حيث يعلم»[(٢)].

وعن عمرو بن أبي المقدام، عن أبي عبد الله (عليه السلام) في حديث قال: «ما من عبد من شيعتنا يتلو القرآن في صلاته قائماً إلا وله بكل حرف مائة حسنة، ولا قرأ في صلاته جالساً إلا وله بكل حرف خمسون حسنة، ولا في غير صلاة إلا وله بكل حرف عشر حسنات»[(٣)].

وعن المفضل بن عمر، عن الصادق (عليه السلام) قال: «عليكم بتلاوة القرآن، فإن درجات الجنة على عدد آيات القرآن، فإذا كان يوم القيامة يقال لقارئ القرآن: اقرأ وارقأ، فكلما قرأ آية رقا درجة»[(٤)].

---

(١) الكافي: ج٢ باب ثواب قراءة القرآن ح٦.

(٢) الكافي: ج٢ باب ثواب قراءة القرآن ح٧.

(٣) وسائل الشيعة: ج٤ ص٨٤٢ الباب ١١ ح٨.

(٤) وسائل الشيعة: ج٤ ص٨٤٢ الباب ١١ ح١٠.

وعن إسحاق بن عمار، عن أبي عبد الله (عليه السلام) قال: «من قرأ مائة آية يصلي بها في ليلة، كتب الله له بها قنوت ليلة، ومن قرأ مائتي آية في غير صلاة الليل كتب الله له في اللوح قنطاراً من الحسنات، والقنطار ألف ومائتا أوقية، والأوقية أعظم من جبل أُحُد»[(١)].

وعن الحسن بن علي العسكري (عليه السلام)، عن آبائه (عليهم السلام) في حديث قال: «إن فاتحة الكتاب أشرف ما في كنوز العرش»، إلى أن قال: «ألا فمن قرأها معتقداً لموالاة محمد وآله أعطاه الله بكل حرف منها حسنة، كل واحد منها أفضل من الدنيا وما فيها، من أصناف أموالها وخيراتها، ومن استمع إلى قارئ يقرأها كان له قدر ما للقارئ فليستكثر أحدكم من هذا الخير»[(٢)].

وعن أبي جعفر (عليه السلام) قال: «إنما شيعة علي الناحلون الشاحبون الذابلون ذابلة شفاههم من الصيام»، إلى أن قال: «كثيرة صلاتهم، كثيرة تلاوتهم للقرآن، يفرح الناس ويحزنون»[(٣)].

أقول: هذه الأمور كناية، فلا يقال إنهم (عليهم السلام) لم يكونوا كذلك.

وفي مجمع البيان، عن النبي (صلى الله عليه وآله) قال: «أفضل العبادة قراءة القرآن»[(٤)].

وعنه (عليه السلام)، إنه قال في حديث: «إن هذا القرآن حبل الله وهو النور البين والشفاء النافع»، إلى أن قال: «فاتلوه فإن الله يأجركم على

(١) وسائل الشيعة: ج٤ ص٨٤٢ الباب ١١ ح١١.
(٢) وسائل الشيعة: ج٤ ص٨٤٣ الباب ١١ ح١٣.
(٣) وسائل الشيعة: ج٤ ص٨٤٣ الباب ١١ ح١٤.
(٤) مجمع البيان: ج١ باب في فضل القرآن.

تلاوته بكل حرف عشر حسنات، أما إني لا أقول ألم عشر، ولكن ألف عشر ولام عشر وميم عشر»[١].

وعنه (عليه السلام) إنه قال: «يقال لصاحب القرآن اقرأ وارقه، ورتل كما كنت ترتل في الدنيا، فإن ذلك آخر آية تقرأها»[٢].

وعنه (عليه السلام) قال: «من قرأ القرآن فكأنما أدرجت النبوة بين جنبيه إلاّ أنه لا يوحى إليه»[٣].

وعن أحمد بن فهد في عدة الداعي، عن النبي (صلى الله عليه وآله) قال: قال الله تبارك وتعالى: «من شغل بقراءة القرآن عن مسألتي أعطيته أفضل ثواب الشاكرين»[٤].

وعن محمد بن إسماعيل، رفعه إلى أبي عبد الله (عليه السلام) في وصية النبي (صلى الله عليه وآله) لعلي (عليه السلام) قال: «وعليك بقراءة القرآن على كل حال»[٥].

---

(١) وسائل الشيعة: ج٤ ص٨٤٣ الباب ١١ ح١٦.
(٢) وسائل الشيعة: ج٤ ص٨٤٤ الباب ١١ ح١٧.
(٣) وسائل الشيعة: ج٤ ص٨٤٤ الباب ١١ ح١٨.
(٤) وسائل الشيعة: ج٤ ص٨٤٤ الباب ١١ ح٢٠.
(٥) وسائل الشيعة: ج٤ ص٨٤٤ الباب ١١ ح٢١.

فصل

عدم ترك القرآن

اللازم أن لا يترك الإنسان القرآن حتى ينساه فإنه يورث الحسرة، وإذا ترك عمداً اختياراً السورة الواجبة في الصلاة حتى نسيها فعل حراماً.

فعن يعقوب الأحمر، قال: قلت لأبي عبد الله (عليه السلام): جعلت فداك إني كنت قرأت القرآن فتفلت مني فادع الله عز وجل أن يعلمنيه، قال: فكأنه فزع لذلك، ثم قال: «علّمك الله هو وإنا جميعاً»، وقال: «ونحن نحو من عشرة» ثم قال: «السورة تكون مع الرجل قد قرأها ثم تركها فتأتيه يوم القيامة في أحسن صورة وتسلم عليه فيقول: من أنت، فتقول: أنا سورة كذا وكذا، فلو أنك تمسكت بي وأخذت بي لأنزلتك هذه الدرجة، فعليكم بالقرآن»[1].

وعن أبي بصير، قال: قال أبو عبد الله (عليه السلام): «من نسي سورة من القرآن مثلت له في صورة حسنة ودرجة رفيعة في الجنة، فإذا رآها قال: ما أنت فما أحسنك ليتك لي، فتقول: أما تعرفني أنا سورة كذا وكذا لو لم تنسني لرفعتك إلى هذا المكان»[2].

وعن يعقوب الأحمر، قال: قلت لأبي عبد الله (عليه السلام): جعلت فداك إنه أصابني هموم وأشياء لم يبق شيء من الخير إلا وقد تفلت مني منه

---

(١) الكافي: ج٢ باب من حفظ القرآن ثم نسيه.

(٢) وسائل الشيعة: ج٤ ص٨٤٥ الباب ١٢ ح٢.

طائفة، حتى القرآن لقد تفلت مني طائفة منه، قال: ففزغ عند ذلك حين ذكرت القرآن، ثم قال: «إن الرجل لينسى السورة من القرآن فتأتيه يوم القيامة حتى تشرف عليه من درجة من بعض الدرجات فتقول: السلام عليك، فيقول: وعليك السلام من أنت، فتقول: أنا سورة كذا وكذا، ضيعتني وتركتني، أما لو تمسكت بي لبلغت بك هذه الدرجة، ثم أشار بإصبعه، ثم قال: عليكم بالقرآن فتعلموه فإن من الناس من يتعلم القرآن ليقال به فلان قارئ، ومنهم من يتعلمه فيطلب به الصوت فيقال فلان حسن الصوت وليس في ذلك خير، ومنهم من يتعلمه فيقوم به في ليله ونهاره لا يبالي من علم ذلك ومن لم يعلمه»[1].

وعن سعيد بن عبد الله الأعرج، قال: سألت أبا عبد الله (عليه السلام) عن الرجل يقرأ القرآن ثم ينساه ثم يقرأ ثم ينساه أ عليه فيه حرج، فقال: «لا»[2].

وعن الحسين بن زيد، عن الصادق (عليه السلام)، عن آبائه (عليهم السلام) في حديث المناهي، إن رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) قال: «ألا ومن تعلّم القرآن ثم نسيه لقي الله يوم القيامة مغلولاً، يسلط الله عليه بكل آية منها حية تكون قرينه إلى النار إلى أن يغفر له»[3].

---

(١) الكافي: ج٢ باب من حفظ القرآن ونسيه ح٦.

(٢) الكافي: ج٢ باب النوادر ح٢٤.

(٣) أمالي الصدوق: ج١ ص٢٥٦.

فصل

آداب قراءة القرآن وأوقاتها

في استحباب قراءة القرآن ليلاً ونهاراً، واستحباب أن يكون عند القراءة متطهراً ويتعوذ، وكراهة تعطيل المنزل عن القراءة.

عن محمد بن الفضيل، عن أبي الحسن (عليه السلام) قال: سألته أقرأ المصحف ثم يأخذني البول فأقوم فأبول واستنجي وأغسل يدي وأعود إلى المصحف فأقرأ فيه، قال: «لا حتى تتوضأ للصلاة»[١].

وعن علي (عليه السلام) في حديث الأربعمائة، قال: «لا يقرأ العبد القرآن إذا كان على غير طهور حتى يتطهر»[٢].

وعن أحمد بن فهد في عدة الداعي قال: قال (عليه السلام): «لقارئ القرآن بكل حرف يقرؤه في الصلاة قائماً مائة حسنة، وقاعداً خمسون، ومتطهراً في غير صلاة خمس وعشرون حسنة، وغير متطهر عشر حسنات، أما إني لا أقول ألمر، بل بالألف عشر وباللام عشر وبالميم عشر وبالراء عشر»[٣].

وعن الحسن بن علي العسكري (عليه السلام) في تفسيره، قال: «أما قوله الذي ندبك الله إليه، وأمرك به عند قراءة القرآن، أعوذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم، فإن أمير المؤمنين (عليه السلام) قال: أعوذ بالله أي أمتنع

---

(١) وسائل الشيعة: ج٤ ص٨٤٧ الباب ١٣ ح١.

(٢) وسائل الشيعة: ج٤ ص٨٤٧ الباب ١٣ ح٢.

(٣) وسائل الشيعة: ج٤ ص٨٤٨ الباب ١٣ ح١٣.

بالله» إلى أن قال: «والاستعاذة هي ما قد أمر الله به عند قراءتهم القرآن بقوله: وإذا قرأت القرآن فاستعذ بالله من الشيطان الرجيم، ومن تأدب بأدب الله أداه إلى الفلاح الدائم».

ثم ذكر حديثاً طويلاً عن رسول الله (صلى الله عليه وآله) يقول فيه:

«إن أردت أن لا يصيبك شرهم ولا يبدأك مكروههم فقل إذا أصبحت: أعوذ بالله من الشيطان الرجيم، فإن الله يعيذك من شرهم»[(١)].

وعن الحلبي، عن أبي عبد الله (عليه السلام) قال: سألته عن التعوذ من الشيطان عند كل سورة يفتتحها، قال: «نعم فتعوذ بالله من الشيطان الرجيم»[(٢)].

وعن حريز، عن أبي عبد الله (عليه السلام) قال: «القرآن عهد الله إلى خلقه، فقد ينبغي للمرء المسلم أن ينظر في عهده وأن يقرأ منه في كل يوم خمسين آية»[(٣)].

وعن الزهري قال: سمعت علي بن الحسين (عليه السلام) يقول: «آيات القرآن خزاين، كلما فتحت خزانة ينبغي لك أن تنظر ما فيها»[(٤)].

وعن معمر بن خلاد، عن الرضا (عليه السلام) قال: سمعته يقول: «ينبغي للرجل إذا أصبح أن يقرأ بعد التعقيب خمسين آية»[(٥)].

---

(١) وسائل الشيعة: ج٤ ص٨٤٨ الباب ١٤ ح١.
(٢) وسائل الشيعة: ج٤ ص٨٤٨ الباب ١٤ ح٢، تفسير الإمام العسكري عليه السلام: ص٥.
(٣) الكافي: ج٢ باب من قراءة القرآن ح١.
(٤) الكافي: ج٢ باب قراءة القرآن ح٢.
(٥) وسائل الشيعة: ج٤ ص٨٤٩ الباب ١٥ ح٣.

وعن عبد الأعلى مولى سام، عن أبي عبد الله (عليه السلام) قال: «إن البيت إذا كان فيه المسلم يتلو القرآن ينير لأهل السماء كما تنير لأهل الدنيا الكوكب الدري في السماء»[١].

وعن ابن القداح، عن أبي عبد الله (عليه السلام) قال: قال أمير المؤمنين (عليه السلام): «البيت الذي يقرأ فيه القرآن ويذكر الله عز وجل فيه تكثر بركته وتحضره الملائكة وتهجره الشياطين ويضيء لأهل السماء كما تضيء الكواكب لأهل الأرض، وإن البيت الذي لا يقرأ فيه القرآن ولا يذكر الله عز وجل فيه تقل بركته وتهجره الملائكة وتحضره الشياطين»[٢].

وعن أبي عبد الله (عليه السلام)، عن أبيه (عليه السلام) في حديث قال: «كان يجمعنا فيأمرنا بالذكر حتى تطلع الشمس، ويأمر بالقراءة من كان يقرأ منا، ومن كان لا يقرأ منا أمره بالذكر، والبيت الذي يقرأ فيه القرآن ويذكر الله عز وجل فيه تكثر بركته» وذكر نحوه[٣].

وعن ليث بن أبي سليم رفعه، قال: قال النبي (صلى الله عليه وآله): «نوروا بيوتكم بتلاوة القرآن ولا تتخذوها قبوراً كما فعلت اليهود والنصارى، صلوا في الكنايس والبيع وعطلوا بيوتهم، فإن البيت إذا كثر فيه تلاوة القرآن كثر خيره واتسع أهله وأضاء لأهل السماء كما تضيء نجوم السماء لأهل الدنيا»[٤].

وعن أحمد بن فهد في عدة الداعي، عن الرضا (عليه السلام) يرفعه إلى

(١) الكافي: ج٢ باب قراءة القرآن في البيوت ح٢.
(٢) وسائل الشيعة: ج٤ ص١٨٥٠ الباب ١٦ من قراءة القرآن ح٢.
(٣) وسائل الشيعة: ج٤ ص١٨٥٠ الباب ١٦ ح٣.
(٤) وسائل الشيعة: ج٤ ص١٨٥٠ الباب ١٦ ح٤.

النبي (صلى الله عليه وآله) قال: «اجعلوا لبيوتكم نصيباً من القرآن، فإن البيت إذا قرئ فيه القرآن تيسر على أهله وكثر خيره، وكان سكانه في زيادة، وإذا لم يقرأ فيه القرآن ضيق على أهله وقل خيره وكان سكانه في نقصان»[١].

وعن أبي هارون، قال: كنت ساكناً دار الحسن بن الحسين، فلما علم انقطاعي إلى أبي جعفر وأبي عبد الله (عليهما السلام) أخرجني من داره، قال: فمر بي أبو عبد الله (عليه السلام) فقال: «يا أبا هارون بلغني أن هذا أخرجك من داره»، قلت: نعم، قال: «بلغني أنك كنت تكثر فيها تلاوة كتاب الله، والدار إذا تلي فيها كتاب الله كان لها نور ساطع في السماء وتعرف من بين الدور»[٢].

وعن الفضيل بن يسار، عن أبي عبد الله (عليه السلام) قال: ما يمنع التاجر منكم المشغول في سوقه إذا رجع إلى منزله أن لا ينام حتى يقرأ سورة من القرآن فيكتب له مكان كل آية يقرؤها عشر حسنات وتمحى عنه عشر سيئات[٣].

وعن سعد بن طريف، عن أبي جعفر (عليه السلام) قال: قال رسول الله (صلى الله عليه وآله): «من قرأ عشر آيات في ليلة لم يكتب من الغافلين، ومن قرأ خمسين آية كتب من الذاكرين، ومن قرأ مائة آية كتب من القانتين، ومن قرأ مائتي آية كتب من الخاشعين، ومن قرأ ثلاثمائة آية كتب من الفائزين، ومن قرأ خمسمائة آية كتب من المجتهدين، ومن قرأ ألف آية كتب له قنطار، القنطار خمسة عشر ألف مثقال من ذهب، المثقال أربعة وعشرون قيراطاً،

---

(١) وسائل الشيعة: ج٤ ص٨٥٠ الباب ١٦ ح٥، وعدة الداعي: ص٢١٢.

(٢) وسائل الشيعة: ج٤ ص٨٥١ الباب ١٦ ح٦.

(٣) وسائل الشيعة: ج٤ ص٨٥١ الباب ١٧ ح١.

أصغرها مثل جبل أحد، وأكبرها ما بين السماء والأرض»[١].

فصل
كثرة قراءة القرآن في مكة ورمضان

يستحب كثرة قراءة القرآن بمكة وفي شهر رمضان، ويستحب اتخاذ المصحف في البيت والقراءة منه والنظر إليه.

عن أبي حمزة الثمالي، عن أبي جعفر (عليه السلام) قال: «من ختم القرآن بمكة من جمعة إلى جمعة أو أقل من ذلك أو أكثر، وختمه في يوم جمعة كتب الله له من الأجر والحسنات من أول جمعة كانت في الدنيا إلى آخر جمعة تكون فيها، وإن ختمه في ساير الأيام فكذلك»[٢].

وعن جابر، عن أبي جعفر (عليه السلام) قال: «لكل شيء ربيع، وربيع القرآن شهر رمضان»[٣].

وعن يعقوب بن يزيد، رفعه إلى أبي عبد الله (عليه السلام) قال: «من قرأ القرآن في المصحف متع ببصره وخفف على والديه وإن كانا كافرين»[٤].

وعن النبي (صلى الله عليه وآله) قال: «ليس شيء أشد على الشيطان من القراءة في المصحف نظراً»[٥].

---

(١) وسائل الشيعة: ج٤ ص٨٥١ الباب١٧ ح٢.
(٢) الكافي: ج٢ باب قراءة القرآن في المصحف ح٤، ووسائل الشيعة: ج٤ ص٨٢٥ الباب ١٨ ح١.
(٣) وسائل الشيعة: ج٤ ص٨٥٣ الباب ١٨ ح٢.
(٤) وسائل الشيعة: ج٤ ص٨٥٣ الباب ١٩ ح١.
(٥) وسائل الشيعة: ج٤ ص٨٥٣ الباب ١٩ ح٢.

وعن أبي عبد الله (عليه السلام) قال: «في قراءة القرآن في المصحف تخفف العذاب عن الوالدين وإن كانا كافرين»[١].

وعن إسحاق بن عمار، عن أبي عبد الله (عليه السلام) قال: قلت: جُعلت فداك إني أحفظ القرآن على ظهر قلبي، فاقرأُه على ظهر قلبي أفضل أو أنظر في المصحف، قال: فقال لي: «بل اقرأه وانظر في المصحف فهو أفضل، أما علمت أن النظر في المصحف عبادة»[٢].

وعن أبي عبد الله (عليه السلام) قال: «ثلاثة يشكون إلى الله عز وجل، مسجد خراب لا يصلى فيه أهله، وعالم بين جهال، ومصحف معلق قد وقع عليه الغبار لا يقرأ فيه»[٣].

وعن الحسين بن علوان، عن جعفر، عن أبيه (عليهما السلام): «إنه كان يستحب أن يُعلّق المصحف في البيت يتقى به من الشياطين، قال: ويستحب أن لا يترك من القراءة فيه»[٤].

وعن أبي ذر قال: سمعت رسول الله (صلى الله عليه وآله) يقول: «النظر إلى علي بن أبي طالب (عليه السلام) عبادة، والنظر إلى الوالدين برأفة ورحمة عبادة، والنظر في الصحيفة يعني صحيفة القرآن عبادة، والنظر إلى الكعبة عبادة»[٥].

وعن محمد بن علي بن الحسين، قال: «روي أن النظر إلى الكعبة

(١) وسائل الشيعة: ج٤ ص٨٥٤ الباب ١٩ ح٣.

(٢) الكافي: ج٢ باب قراءة القرآن في المصحف ح٥.

(٣) الكافي: ج٢ باب قراءة القرآن في المصحف ح٣.

(٤) قرب الإسناد: ص٤٢.

(٥) أمالي الطوسي: ج٢ ص٧٠.

عبـادة»، إلى أن قـال: «والنظـر إلى المـصحف مـن غـير قـراءة عبـادة»، الحديث[١].

وعن حماد بن عيسى، عن أبي جعفر (عليه السلام)، عـن أبيـه (عليه السلام) قـال: «إنـه ليعجبني أن يكـون في البيـت مـصحف يطـرد الله عـز وجـل بـه الشياطين»[٢].

فصل

ترتيل القرآن

يـستحب ترتيـل القـرآن وقراءتـه بـالحزن، ويكـره إظهـار الغـشية فيـه، ويستحب الإنـصات إلى القـاري، والبكـاء والتبـاكي عنـد استماعه، ويحرم الغناء فيه.

عن عبد الله بن سليمان، قال: سألت أبا عبـد الله (عليه السلام) عـن قـول الله عز وجل: ﴿وَرَتِّلِ الْقُرْآنَ تَرْتِيلاً﴾[٣] قال: قال أمير المؤمنين (عليه السلام): «بينـه تبيانـاً، ولا تـذه هـذ الـشعر، ولا تنثـره نثر الرمـل، ولكـن اقرعـوا بـه قلوبكم القاسية، ولا يكن همّ أحدكم آخر السورة»[٤].

وعن أبي عبد الله (عليه السلام) قال: «أعرب القرآن فإنه عربي»[٥].

---

(١) وسائل الشيعة: ج٤ ص٨٥٤ الباب ١٩ ح٦.

(٢) الكافي: ج٢ باب قراءة القرآن في المصحف ح٢.

(٣) سورة المزمل: ٤.

(٤) الكافي: ج٢ ص٦١٤ باب ترتيل القرآن ح١.

(٥) الكافي: ج٢ ص٦١٤ باب ترتيل القرآن ح٥.

وعن محمد بن الفضيل، قال أبو عبد الله (عليه السلام): «يكره أن يقرأ قل هو الله في نفس واحد»[١].

وعن أبي بصير، عن أبي عبد الله (عليه السلام) في قوله تعالى: ﴿**وَرَتِّلِ الْقُرْآنَ تَرْتِيلاً**﴾[٢]، قال: «هو أن تتمكث فيه وتحسن به صوتك»، وعن أم سلمة قالت: «كان النبي (صلى الله عليه وآله) يقطع قراءته آية آية»[٣].

وعن ابن أبي عمير، عمن ذكره، عن أبي عبد الله (عليه السلام) قال: «إن القرآن نزل بالحزن، فاقرءوه بالحزن»[٤].

وعن عبد الله بن سنان، عن أبي عبد الله (عليه السلام) قال: «إن الله عز وجل أوحى إلى موسى بن عمران (عليه السلام) إذا وقفت بين يدي فقف موقف الذليل الفقير، وإذا قرأت التوراة فأسمعنيها بصوت حزين»[٥].

وعن حفص قال: ما رأيت أحداً أشد خوفاً على نفسه من موسى بن جعفر (عليه السلام) ولا أرجى للناس منه، وكانت قراءته حزناً فإذا قرأ فكأنه يخاطب إنساناً»[٦].

وعن أبي جعفر (عليه السلام) قال: «من قرأ ﴿**إنا أنزلناه في ليلة القدر**﴾[٧] يجهر بها صوته كان كالشاهر سيفه في سبيل الله، ومن قرأها سراً كان كالمتشحط بدمه في سبيل الله، ومن قرأها عشر مرات مرت له على نحو ألف

---

(١) الكافي: ج٢ ص٦١٤ باب ترتيل القرآن ح١٢.

(٢) سورة المزمل: ٤.

(٣) مجمع البيان: ج١٠ ص٣٧٨.

(٤) الكافي: ج٢ ص٦١٤ باب ترتيل القرآن بالصوت الحسن ح٢.

(٥) الكافي: ج٢ ص٦١٥ باب ترتيل القرآن بالصوت الحسن ح٦.

(٦) وسائل الشيعة: ج٤ ص٨٥٧ الباب ٢٢ ح٣.

(٧) سورة القدر.

ذنب من ذنوبه»[١].

وعن معاوية بن عمار قال: قلت لأبي عبد الله (عليه السلام): الرجل لا يرى أنه صنع شيئاً في الدعاء وفي القراءة حتى يرفع صوته، فقال: «لا بأس إن علي بن الحسين (عليه السلام) كان أحسن الناس صوتاً بالقرآن وكان يرفع صوته حتى يسمعه أهل الدار، وأن أبا جعفر (عليه السلام) كان أحسن الناس صوتاً بالقرآن وكان إذا قام من الليل وقرأ رفع صوته فيمر به مار الطريق من الساقين وغيرهم فيقومون فيستمعون إلى قراءته»[٢].

وعن أبي ذر، عن النبي (صلى الله عليه وآله) في وصيته له قال: «يا أباذر أخفض صوتك عند الجنايز وعند القتال وعند القرآن»[٣].

وعن عبد الله بن سنان، عن أبي عبد الله (عليه السلام) قال: قال رسول الله (صلى الله عليه وآله): «اقرؤوا القرآن بألحان العرب وأصواتها، وإياكم ولحون أهل الفسق وأهل الكبائر فإنه سيجيء من بعدي أقوام يرجعون بالقرآن ترجيع الغناء والنوح والرهبانية لا يجوز تراقيهم، قلوبهم مقلوبة وقلوب من يعجبه شأنهم»[٤].

وعن علي بن محمد النوفلي، عن أبي الحسن (عليه السلام) قال: ذكرت الصوت عنده، فقال: «إن علي بن الحسين (عليه السلام) كان يقرأ، فربما مر به المار فصعق من حسن صوته»[٥].

---

(١) الكافي: ج٢ ص٦٢١ باب من فضل القرآن ح٦.

(٢) في بحار الأنوار: عن السرائر ص٤٧٦.

(٣) وسائل الشيعة: ج٤ ص٨٥٨ الباب٢٣ ح٣.

(٤) الكافي: ج٢ باب ترتيل القرآن ح٣.

(٥) الكافي: ج٢ باب ترتيل القرآن ح٤.

وعن عبد الله بن سنان، عن أبي عبد الله (عليه السلام) قال: قال النبي (صلى الله عليه وآله): «لكل شيء حلية وحلية القرآن الصوت الحسن»[(١)].

وعن أبي عبد الله (عليه السلام) قال: «كان علي بن الحسين (عليه السلام) أحسن الناس صوتاً بالقرآن، وكان السقاؤون يمرون فيقفون ببابه يستمعون قراءته»[(٢)].

وعن أبي بصير، قال: قلت لأبي جعفر (عليه السلام): إذا قرأت القرآن فرفعت به صوتي جاءني الشيطان فقال: إنما ترائي بهذا أهلَك والناس، فقال: «يا أبا محمد اقرأ قراءة ما بين القراءتين تسمع أهلك ورجّع بالقرآن صوتك، فإن الله عز وجل يحب الصوت الحسن يرجع فيه ترجيعاً»[(٣)].

وعن الرضا (عليه السلام)، قال: قال رسول الله (صلى الله عليه وآله): «حسّنوا القرآن بأصواتكم فإن الصوت الحسن يزيد القرآن حسناً»[(٤)].

وعن جابر، عن أبي جعفر (عليه السلام)، قال: قلت: إن قوماً إذا ذكروا شيئاً من القرآن أو حدثوا به صعق أحدهم حتى ترى أن أحدهم لو قطعت يداه أو رجلاه لم يشعر بذلك، فقال: «سبحان الله ذاك من الشيطان، ما بهذا نعتوا إنما هو اللين والرقة والدمعة والوجل»[(٥)].

وعن أبي كهمس، عن أبي عبد الله (عليه السلام) قال: «قرأ ابن الكوا خلف أمير المؤمنين (عليه السلام) ﴿لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ

---

(١) الكافي: ج٢ باب ترتيل القرآن ح٩.

(٢) الكافي: ج٢ باب ترتيل القرآن ح١١.

(٣) الكافي: ج٢ باب ترتيل القرآن ح١٣.

(٤) عيون الأخبار: ج٢ ص٦٩.

(٥) الكافي: ج٢ باب في من يظهر الغشية عند قراءة القرآن ح١.

الْخَاسِرِينَ﴾[١] فأنصت له أمير المؤمنين (عليه السلام)»[٢].

وعن عبد الله بن أبي يعفور، عن أبي عبد الله (عليه السلام) قال: قلت له: الرجل يقرأ القرآن أيجب على من سمعه الإنصات له والاستماع، قال: «نعم إذا قرئ عندك القرآن وجب عليك الإنصات والاستماع»[٣].

وعن زرارة قال: قال أبو جعفر (عليه السلام): «وإذا قرئ القرآن في الفريضة خلف الإمام فاستمعوا له وأنصتوا لعلكم ترحمون»[٤].

وعن زرارة قال: سمعت أبا عبد الله (عليه السلام) يقول: «يجب الإنصات للقرآن في الصلاة وغيرها، وإذا قرئ عندك القرآن وجب عليك الإنصات والاستماع»[٥].

وعن سليمان بن خالد، عن الصادق (عليه السلام) قال: «إن رسول الله (صلى الله عليه وآله) أتى شبابا من الأنصار فقال: إني أريد أن أقرأ عليكم فمن بكى فله الجنة، فقرأ آخر الزمر: **﴿وَسِيقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إلى جَهَنَّمَ زُمَراً﴾**[٦]، إلى آخر السورة، فبكى القوم جميعاً إلاّ شاباً، فقال: يا رسول الله (صلى الله عليه وآله) قد تباكيت فما قطرت عيني، قال: إني معيد عليكم فمن تباكى فله الجنة، فأعاد عليهم فبكى القوم وتباكى الفتى فدخلوا الجنة جميعاً»[٧].

---

(١) سورة الزمر: ٦٥.
(٢) تفسير العياشي: ج٢ ص٤٤.
(٣) بحار الأنوار، عن السرائر: ج٤٦.
(٤) تفسير العياشي: ج٢ ص٤٤ ح١٣١.
(٥) تفسير العياشي: ج٢ ص٤٤ ح١٣٢.
(٦) سورة الزمر: ٧١.
(٧) وسائل الشيعة: ج٤ ص٨٦٥ الباب ٢٩ ح١.

فصل

إهداء قراءة القرآن إلى المعصومين عليهم السلام

يستحب قراءة كل القرآن في كل شهر، وأقل من الشهر، ويستحب إهداء ثوابه إلى النبي (صلى الله عليه وآله) وسائر المعصومين (عليهم السلام) والمؤمنين.

عن محمد بن عبد الله، قال: قلت لأبي عبد الله (عليه السلام): اقرأ القرآن في ليلة؟ فقال: «لا يعجبني أن تقرأه في أقل من شهر»[١].

وعن حسين بن خالد، عن أبي عبد الله (عليه السلام) قال: قلت له: في كم أقرأ القرآن، فقال: «اقرأه أخماساً، اقرأه أسباعاً، أما إن عندي مصحفاً مجزءاً أربعة عشر جزءاً»[٢].

وعن علي بن أبي حمزة، قال: سأل أبو بصير أبا عبد الله (عليه السلام) وأنا حاضر، فقال له: جعلت فداك أقرأ القرآن في ليلة؟ فقال: «لا». قال: في ليلتين، فقال: «لا»، حتى بلغ ست ليال، فأشار بيده: فقال ها، ثم قال:

«يا أبا محمد إن من كان قبلكم من أصحاب محمد (صلى الله عليه وآله) كان يقرأ القرآن في شهر وأقل، إن القرآن لا يقرأ هذرمة ولكن يرتل ترتيلا، إذا مررت بآية فيها ذكر النار وقفت عندها وتعوذ بالله من النار»، فقال له أبو بصير: أقرأ بالقرآن في رمضان في ليلة، فقال: «لا»، فقال: ففي ليلتين،

(١) الكافي: ج٢ ص٦١٧ ح١ باب في كم يقرأ القرآن ويختم.

(٢) الكافي: ج٢ ص٦١٧ ح٣ باب في كم يقرأ القرآن ويختم.

فقال: «لا»، فقال: ففي ثلاث، فقال: ها وأومأ بيده نعم، «شهر رمضان لا يشبهه شيء من الشهور، له حق وحرمة، أكثر من الصلاة ما استطعت»[1].

وعن رجاء بن أبي الضحاك، عن الرضا (عليه السلام)، أنه كان يكثر بالليل في فراشه من تلاوة القرآن، فإذا مر بآية فيها ذكر الجنة أو النار بكى، وسأل الله الجنة وتعوذ به من النار[2].

وعن إبراهيم بن العباس، قال: ما رأيت الرضا (عليه السلام) سئل عن شيء قط إلاّ علمه، ولا رأيت أعلم منه بما كان في الزمان الأول إلى وقته وعصره، وكان المأمون يمتحنه بالسؤال عن كل شيء فيجيب فيه، وكان كلامه كله وجوابه وتمثله انتزاعات من القرآن، وكان يختمه في كل ثلاث، ويقول: «لو أردت أن أختمه في أقرب من ثلاثة لختمت، ولكني ما مررت بآية قط إلاّ فكرت فيها، وفي أي شيء أنزلت وفي أي وقت، فلذلك صرت أختم في كل ثلاثة»[3].

وفي مجمع البيان، عن الصادق (عليه السلام) في قوله تعالى: ﴿**الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَتْلُونَهُ حَقَّ تِلاوَتِهِ**﴾[4]، قال: «حق تلاوته وهو الوقوف عند ذكر الجنة والنار يسأل في الأولى ويستعيذ من الأخرى»[5].

وعن وهب بن حفص، عن أبي عبد الله (عليه السلام) قال: سألت الرجل

(١) وسائل الشيعة: ج٤ ص٨٦٢ الباب ٢٧ ح٣.

(٢) عيون الأخبار: ج٢ ص١٨٣ ح٥.

(٣) أمالي الصدوق: ص٣٩٢.

(٤) سورة البقرة: ١٢١.

(٥) مجمع البيان: ج١ تفسير الآية، العدد ١٢١.

في كم يقرأ القرآن؟ قال: «في ست فصاعداً»، قلت: في شهر رمضان؟ قال: «في ثلاث فصاعدا»[(١)].

وعن علي بن المغيرة، عن أبي الحسن (عليه السلام)، قال: قلت له: «إن أبي سأل جدك عن ختم القرآن في كل ليلة، فقال له جدك: «في كل ليلة». فقال له: في شهر رمضان، فقال له جدك: «في شهر رمضان»، فقال له أبي: نعم ما استطعت، فكان أبي يختمه أربعين ختمة في شهر رمضان، ثم ختمته بعد أبي فربما زدت وربما نقصت على قدر فراغي وشغلي ونشاطي وكسلي، فإذا كان في يوم الفطر جعلت لرسول الله (صلى الله عليه وآله) ختمة، ولعلي (عليه السلام) أخرى، ولفاطمة (عليها السلام) أخرى، ثم للأئمة (عليهم السلام) حتى انتهيت إليك فصيرت لك واحدة منذ صرت في هذه الحال، فأي شيء لي بذلك، قال: «لك بذلك أن تكون معهم يوم القيامة»، قلت: الله أكبر فلي بذلك، قال: «نعم، ثلاث مرات»[(٢)].

---

(١) وسائل الشيعة: ج٤ ص٨٦٤ الباب ٢٧ ح٨. في الإقبال ص١١٠.

(٢) الكافي: ج٢ ص٦١٨ في كم يقرأ القرآن ح٤.

فصل

القدر الواجب من تعلم القرآن

يجب تعلّم القدر الواجب قراءته من القرآن، ويستحب تعلم آدابه، ويستحب تعلم إعراب غير القدر الواجب من القرآن، ويجوز القراءة الملحون إذا لا يعرف الصحيح.

عن عمرو بن جميع، عن جعفر بن محمد (عليه السلام)، عن أبيه (عليه السلام)، عن آبائه (عليهم السلام) قال: قال رسول الله (صلى الله عليه وآله): «تعلموا القرآن بعربيته وإياكم والنبز فيه يعني الهمز»، قال الصادق (عليه السلام): «الهمز زيادة في القرآن إلاّ الهمز الأصلي مثل قوله: ألا يسجدوا لله الذي يخرج الخبء، وقوله: لكم فيها دفء، وقوله: فادارأتم فيها»[1].

وعن أبي عبد الله (عليه السلام) قال: «تعلموا العربية فإنها كلام الله الذي كلم به خلقه ونطق به للماضين»[2].

وعن أبي جعفر الجواد (عليهما السلام) قال: «ما استوى رجلان في حسب ودين قط إلاّ كان أفضلهما عند الله عز وجل آدبهما»، قال: قلت: قد علمت فضله عند الناس في النادي والمجلس فما فضله عند الله، قال: «بقراءة القرآن كما أنزل، ودعائه الله من حيث لا يلحن، فإن الدعاء الملحون لا يصعد إلى الله»[3].

---

(١) وسائل الشيعة: ج٤ ص٨٦٥ الباب ٣٠ ح١، معاني الأخبار: ص٩٨.

(٢) وسائل الشيعة: ج٤ ص٨٦٦ الباب ٣٠ ح٢، الخصال: ج١ ص١٢٤.

(٣) وسائل الشيعة: ج٤ ص٨٦٦ الباب ٣٠ ح٣، عدة الداعي: ص١٠.

وعن السكوني، عن أبي عبد الله (عليه السلام)، قال: قال النبي (صلى الله عليه وآله): «إن الرجل الأعجمي من أمتي ليقرأ القرآن بعجميته فترفعه الملائكة على عربيته»[١].

أقول: أي إذا كان الدعاء الملحون لعدم الاعتناء.

فصل
سور يستحب قراءتها

بعض ما يستحب قراءته من سور القرآن، وأن سورة الحمد شفاء من الأسقام، وجواز كتابة القرآن وغسله وشرب مائه للشفاء.

عن أبي جعفر (عليه السلام) قال: «من قرأ ﴿قل هو الله أحد﴾[٢] مرة بورك عليه، ومن قرأها مرتين بورك عليه وعلى أهله، ومن قرأها ثلاث مرات بورك عليه وعلى جيرانه، ومن قرأها اثنتي عشرة مرة بنى الله له اثنتي عشرة قصراً في الجنة، فتقول الحفظة اذهبوا بنا إلى قصور أخينا فلان فننظر إليها، ومن قرأها مائة مرة غفرت له ذنوب خمسة وعشرين سنة ما خلا الدماء والأموال، ومن قرأها أربعمائة مرة كان له أجر أربعمائة شهيد كلهم قد عقر جواده وأريق دمه، ومن قرأها ألف مرة في يوم وليلة لم يمت حتى يرى مقعده من الجنة أو ترى له»[٣].

وعن السكوني، عن أبي عبد الله (عليه السلام): إن النبي (صلى الله عليه وآله)

(١) الكافي: ج٢ باب أن القرآن يرفع كما نزل ح١.

(٢) سورة الإخلاص.

(٣) الكافي: ج٢ باب فضل القرآن ح١.

صلى على سعد بن معاذ، فقال: لقد وافى من الملائكة سبعون ألفا ومنهم جبرئيل يصلون عليه، فقلت له: يا جبرئيل بم يستحق صلاتكم عليه، فقال: بقراءة ﴿قل هو الله أحد﴾ قائماً وقاعداً وراكباً وماشياً وذاهباً وجائياً»[1].

وعن يعقوب بن شعيب، عن أبي عبد الله (عليه السلام) قال: كان أبي (عليه السلام) يقول: «قل هو الله أحد ثلث القرآن، وقل يا أيها الكافرون ربع القرآن»[2].

وعن مفضل بن عمر قال: قال أبو عبد الله (عليه السلام): يا مفضل احتجز من الناس كلهم ببسم الله الرحمن الرحيم، وقل هو الله أحد، اقرأها عن يمينك وعن شمالك ومن بين يديك ومن خلفك ومن فوقك ومن تحتك، فإذا دخلت على سلطان جائر فاقرأها حين تنظر إليه ثلاث مرات، واعقد بيدك اليسرى ثم لا تفارقها حتى تخرج من عنده»[3].

وعن أبي بصير، عن الصادق (عليه السلام)، عن آبائه (عليهم السلام) في حديث، عن سلمان أنه قال: سمعت رسول الله (صلى الله عليه وآله) يقول: «من قرأ ﴿قل هو الله أحد﴾ مرة فقد قرأ ثلث القرآن، ومن قرأها مرتين فقد قرأ ثلثي القرآن، ومن قرأها ثلاثاً فقد ختم القرآن»[4].

وعن هارون بن خارجة قال: سمعت أبا عبد الله (عليه السلام) يقول: «من نابه مرض أو شدة لم يقرأ في مرضه أو شدته ﴿قل هو الله أحد﴾ ثم

---

(١) الكافي: ج٢ باب فضل القرآن ح١٣.
(٢) الكافي: ج٢ باب فضل القرآن ح٧.
(٣) الكافي: ج٢ باب فضل القرآن ح٢٠.
(٤) أمالي الصدوق: ص٢٢، البحار: ج٨٩ ص٣٤٦.

مات في مرضه أو في تلك الشدة التي نزلت به فهو من أهل النار»[١].

أقول: هذا محمول على المعرض عنها.

وعن حفص بن غياث، قال: سمعت أبا عبد الله (عليه السلام) يقول للرجل: أتحب البقاء في الدنيا، قال: نعم قال: ولم، قال: لقراءة قل هو الله أحد، فسكت عنه ثم قال لي بعد ساعة: «يا حفص من مات من أوليائنا وشيعتنا ولم يحسن القرآن علم القرآن في قبره ليرفع الله به في درجته، فإن درجات الجنة على قدر عدد آيات القرآن، فيقال لقارئ القرآن اقرأ وارقأ»[٢].

وعن أبي بصير، عن أبي عبد الله (عليه السلام) قال: «من قرأ ﴿قل هو الله أحد﴾ مرة واحدة فكأنما قرأ ثلث القرآن وثلث التوراة وثلث الإنجيل وثلث الزبور»[٣].

وعن جابر قال: سمعت أبا جعفر (عليه السلام) يقول: «من قرأ المسبحات كلها قبل أن ينام لم يمت حتى يدرك القائم، وأن مات كان في جوار محمد (صلى الله عليه وآله)»[٤].

وعن أبي أسامة، عن أبي عبد الله (عليه السلام) قال: سمعته يقول: «من قرأ قل هو الله أحد مائة مرة حين يأخذ مضجعه غفر الله له ما قبل ذلك خمسين عاماً»[٥].

(١) ثواب الأعمال: ص١١٥ و٢١٣، البحار ج٨٩ ص٣٤٥.

(٢) ثواب الأعمال: ص١١٦.

(٣) توحيد الصدوق: ص٥٤.

(٤) ثواب الأعمال: ص١٠٧.

(٥) ثواب الأعمال: ص١١٥.

وعن أبي عبد الله (عليه السلام) قال: «من آوى إلى فراشه فقرأ ﴿قل هو الله أحد﴾ عشرة مرة حفظ في داره وفي دويرات حوله»[١].

وعن سليمان الجعفري، عن أبي الحسن (عليه السلام) قال: سمعته يقول: «ما من أحد في حد الصبى يتعهد في كل ليلة قراءة ﴿قل أعوذ برب الفلق﴾، ﴿قل أعوذ برب الناس﴾ كل واحدة ثلاث مرات، و﴿قل هو الله أحد﴾ مائة مرة فإن لم يقدر فخمسين، إلا صرف الله عنه كل لمم أو عرض من أعراض الصبيان والعطاش وفساد المعدة ويدور الدم أبداً ما تعوهد بهذا حتى يبلغه الشيب، فإن تعهد نفسه بذلك أو تعوهد كان محفوظاً إلى يوم يقبض الله عز وجل نفسه»[٢].

وعن أبي عبد الله (عليه السلام) إنه قال: «من قرأ إذا أوى إلى فراشه: ﴿قل يا أيها الكافرون﴾ و﴿قل هو الله أحد﴾ كتب الله له براءة من الشرك»[٣].

وعن درست، عن أبي عبد الله (عليه السلام) قال: قال رسول الله (صلى الله عليه وآله): «من قرأ ﴿ألهيكم التكاثر﴾ عند النوم وقي فتنة القبر»[٤].

وعن أبي الحسن موسى (عليه السلام) قال: «إنه يستحب أن يقرأ الإنسان عند النوم إحدى عشر مرة ﴿إنا أنزلناه في ليلة القدر﴾»[٥].

وعن عامر بن عبد الله بن جذاعة، عن أبي عبد الله (عليه السلام) قال:

---

(١) ثواب الأعمال: ص١١٦.

(٢) الكافي: ج٢ باب فضل القرآن ح١٧.

(٣) الكافي: ج٢ باب فضل القرآن ح٢٣.

(٤) الكافي: ج٢ باب فضل القرآن ح١٤.

(٥) وسائل الشيعة: ج٤ ص٨٧٣ الباب ٣٤ ح٤.

«ما من عبد يقرأ آخر الكهف حين ينام استيقظ في الساعة التي يريد»[١].

وروي عن النبي (صلى الله عليه وآله) أنه قال: «من قرأ عند منامه ﴿قل إنما أنا بشر مثلكم يوحى إلي﴾[٢] الآية، سطع له نور إلى المسجد الحرام حشو ذلك النور ملائكة يستغفرون حتى يصبح»[٣].

وعن أمير المؤمنين (عليه السلام) قال: «ما من عبد يقرأ ﴿قل إنما أنا بشر مثلكم﴾ إلى آخر السورة إلاّ كان له نور من مضجعه إلى بيت الله الحرام، فإن كان في البيت الحرام كان له نور إلى بيت المقدس»[٤].

وعن الحسن بن علي بن أبي حمزة، رفعه قال: قال أبو عبد الله (عليه السلام): «إن سورة الأنعام نزلت جملة، شيعها سبعون ألف ملك حتى أنزلت على محمد (صلى الله عليه وآله) فعظموها وتجلوها، فإن اسم الله عز وجل فيها في سبعين موضعها، ولو علم الناس ما في قراءتها ما تركوها»[٥].

وعن معاوية بن عمار، عن أبي عبد الله (عليه السلام) قال: «لو قرأت الحمد على ميت سبعين مرة ثم ردت فيه الروح ما كان ذلك عجبا»[٦].

وفي رواية: «ما قرأت الفاتحة على وجع سبعين مرة إلاّ سكن».

وعن سلمة بن محرز، قال: سمعت أبا جعفر (عليه السلام) يقول: «من لم تبرأه الحمد لم يبرأه شيء»[٧].

---

(١) الكافي: ج٢ باب النوادر ح٢١، وسائل الشيعة: ج٤ ص٨٧٢ الباب ١ ح١.

(٢) سورة الكهف: ١١٠.

(٣) بحار الأنوار: ج٨٩ ص٢٨٢ ح٣.

(٤) بحار الأنوار: ج٨٩ ص٢٨٢ ح٢.

(٥) الكافي: ج٢ باب فضل القرآن ح١٢.

(٦) الكافي: ج٢ باب فضل القرآن ح١٦.

(٧) الكافي: ج٢ باب فضل القرآن ح٢٢، طب الأئمة: ص٣٩.

وعن السكوني، عن أبي عبد الله (عليه السلام) قال: «كان رسول الله (صلى الله عليه وآله) إذا كسل أو أصابته عين أو صداع بسط يديه فقرأ فاتحة الكتاب والمعوذتين ثم يمسح بهما وجهه فيذهب عنه ما كان يجده»[١].

وعن الباقر (عليه السلام) قال: «كل من لم تبرأه سورة الحمد وقل هو الله أحد لم يبرأه شيء، وكل علة تبرأ بهاتين السورتين»[٢].

وعن أحدهم (عليهم السلام) قال: «ما قرأت الحمد على وجع سبعين مرة إلا سكن بإذن الله، وإن شئتم فجربوا ولا تشكوا»[٣].

وعن الصادق (عليه السلام) قال: «من نالته علة فليقرأ في جيبه الحمد سبع مرات، فإن ذهب العلة وإلا فليقرأها سبعين مرة، وأنا الضامن له العافية»[٤].

وعن محمد بن المسعود العياشي، بإسناده: إن النبي (صلى الله عليه وآله) قال لجابر: «ألا أعلمك أفضل سورة أنزلها الله في كتابه»، قال: بلى علمنيها، فعلمه الحمد ثم قال: «هي شفاء من كل داء إلا السام، والسام الموت»[٥].

وعن سدير، عن أبي جعفر (عليه السلام) قال: «سورة الملك هي المانعة، تمنع من عذاب القبر، وهي مكتوبة في التوراة سورة الملك، ومن قرأها في ليلته فقد أكثر وأطاب ولم يكتب من الغافلين، وإني لأركع بها بعد عشاء الآخرة وأنا جالس، وإن والدي (عليه السلام) كان يقرأها في يومه وليلته ومن

(١) في بحار الأنوار، عن طب الأئمة: ص٣٩.

(٢) في بحار الأنوار، عن طب الائمة: ص٣٩.

(٣) في بحار الأنوار، عن طب الأئمة: ص٥٤.

(٤) مكارم الأخلاق: ص٤١٨.

(٥) تفسير العياشي: ج١ ص٢.

قرأها، إذا دخل عليه في قبره ناكر ونكير من قبل رجليه قالت رجلاه لهما: ليس لكما إلى ما قبلي سبيل قد كان العبد يقوم علي فيقرأ سورة الملك في كل يوم وليلة، وإذا آتياه من قبل جوفه قال لهما: ليس لكما إلى ما قبلي سبيل قد كان العبد أوعاني سورة الملك، وإذا آتياه من قبل لسانه قال لهما: ليس لكما إلى ما قبلي سبيل قد كان هذا العبد يقرأ في كل يوم وليلة سورة الملك»[١].

وعن أبي بصير، عن أبي عبد الله (عليه السلام) قال: «من قرأ ﴿تبارك الذي بيده الملك﴾ في المكتوبة قبل أن ينام لم يزل في أمان الله حتى يصبح، وفي أمانه يوم القيامة حتى يدخل الجنة إن شاء الله»[٢].

وعن الأصبغ بن نباتة، عن أمير المؤمنين (عليه السلام) في حديث: إن رجلاً قال له: إن في بطني ماء أصفر فهل من شفاء، فقال: «نعم اكتب على بطنك آية الكرسي وتغسلها وتشربها وتجعلها ذخيرة في بطنك فتبرأ بإذن الله»[٣].

---

(١) الكافي: ج٢ باب النوادر ح٣٦.

(٢) ثواب الأعمال: ص١٠٨.

(٣) في بحار الأنوار: ج٨٩ ص٢٧٢ ح٢٣ عن عدة الداعي.

فصل

الاستخارة والعوذة بالقرآن

في الاستخارة بالقرآن، وكراهة محو رسمه بالبزاق، وجواز العوذة به.

عن اليسع القمي قال: قلت لأبي عبد الله (عليه السلام): أريد الشيء وأستخير الله فيه فلا يوفق فيه الرأي، فقال: «افتتح المصحف فانظر إلى أول ما ترى فخذ به إن شاء الله»[١].

وعن محمد بن عيسى، عن بعض رجاله، عن أبي عبد الله (عليه السلام) قال: «لا تتفأل بالقرآن»[٢].

قال في الوسائل: الاستخارة طلب الخيرة ومعرفة الخير في ترجيح أحد الفعلين على الآخر ليعمل به، والتفأل معرفة عواقب الأمور وأحوال غايب ونحو ذلك.

ويأتي في أحاديث الاستخارة ما يدل على استحباب الاستخارة بالقرآن[٣].

وعن الحسين بن زيد، عن الصادق (عليه السلام)، عن آبائه (عليهم السلام)، في حديث المناهي قال: «نهى رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) أن يمحا شيء من كتاب الله بالبزاق ويكتب به»[٤].

---

(١) وسائل الشيعة: ج٤ ص٨٧٥ الباب ٣٨.

(٢) وسائل الشيعة: ج٤ ص٨٧٥ الباب ٣٨.

(٣) وسائل الشيعة: ج٤ ص٨٧٥ الباب ٣٨.

(٤) أمالي الصدوق: ٢٥٤.

وعن عبد الله بن سنان، عن أبي عبد الله (عليه السلام) قال: سألته عن رقية العقرب والحية والنُشرة، ورقية المجنون والمسحور الذي يعذّب، فقال: «يا بن سنان لا بأس بالرقية والعوذة والنشرة إذا كانت من القرآن، ومن لم يشفه القرآن فلا شفاء الله، وهل شيء أبلغ في هذه الأشياء من القرآن، أو ليس الله يقول: ﴿وَنُنَزِّلُ مِنَ الْقُرْآنِ ما هُوَ شِفاءٌ وَرَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنينَ﴾[1]، أليس يقول الله جل ثناؤه: ﴿لَوْ أَنْزَلْنا هذَا الْقُرْآنَ عَلى جَبَلٍ لَرَأَيْتَهُ خاشِعاً مُتَصَدِّعاً مِنْ خَشْيَةِ اللهِ﴾[2]، وسلونا نعلّمكم ونوقفكم على قوارع القرآن لكل داء»[3].

وعن أبي بصير، عن أبي عبد الله (عليه السلام) قال: «لا بأس بالرقي من العين والحمّى والضرس وكل ذات هامة لها حُمَة إذا علم الرجل ما يقول، لا يدخل في رقيته وعوذته شيئاً لا يعرفه»[4].

وعن محمد بن مسلم، قال: سألت أبا جعفر (عليه السلام): أنتعوذ بشيء من هذه الرقي؟ قال: «لا، إلا من القرآن، إن علياً (عليه السلام) كان يقول: إن كثيراً من الرقي والتمايم من الإشراك»[5].

وعن القسم، قال: قال أبو عبد الله (عليه السلام): «إن كثيراً من التمايم شرك»[6].

---

(١) سورة الإسراء: ٨٢.

(٢) سورة الحشر: ٢١.

(٣) في بحار الأنوار، عن طب الأئمة: ص٤٨.

(٤) وسائل الشيعة: ج٤ ص٨٧٨ الباب ٤١ ح٢.

(٥) وسائل الشيعة: ج٤ ص٨٧٨ الباب ٤١ ح٣.

(٦) وسائل الشيعة: ج٤ ص٨٧٨ الباب ٤١ ح٤.

وعن زرارة بن أعين، قال: سألت أبا جعفر (عليه السلام)، عن المريض هل يعلق عليه تعويذ أو شيء من القرآن؟ قال: «نعم لا بأس به إن قوارع القرآن تنفع فاستعملوها»[(١)].

وعن إسحاق بن عمار، عن أبي عبد الله (عليه السلام)، في الرجل تكون به العلة، فيكتب له القرآن فيعلق عليه، أو يكتب له فيغسله ويشربه، قال: «لا بأس به كله»[(٢)].

وعن الحلبي قال: سألت جعفر بن محمد (عليه السلام) هل نعلق شيئاً من القرآن والرقي على صبياننا ونسائنا، فقال: «نعم إذا كان في أديم تلبسه الحائض، وإذا لم يكن في أديم لم تلبسه المرأة»[(٣)].

وعن عبد الرحمن بن أبي عبد الله، قال: سألت أبا عبد الله (عليه السلام)، عن المريض هل يعلق عليه شيء من القرآن والتعويذ، قال: «لا بأس»، قلت: ربما أصابته الجنابة، قال: «إن المؤمن ليس ينجس، ولكن المرأة لا تلبسه إذا لم يكن في أديم، وأما الرجل والصبي فلا بأس»[(٤)]، أقول: لأن النساء غالباً لا يواظبن عدم تنجيسه.

وعن الحسين بن علوان، عن جعفر، عن أبيه (عليهما السلام)، قال: «أصاب رجل لرجل بالعين فذكر ذلك لرسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) فقال: التمسوا له من يرقيه»[(٥)].

---

(١) في بحار الأنوار، عن طب الأئمة: ص٤٩ ـ وسائل الشيعة: ج٤ ص٨٧٨ الباب ٤١ ح٥.

(٢) وسائل الشيعة: ج٤ ص٨٧٨ الباب ٤١ ح٦.

(٣) وسائل الشيعة: ج٤ ص٨٧٨ الباب ٤١ ح٨.

(٤) وسائل الشيعة: ج٤ ص٨٧٩ الباب ٤١ ح٩.

(٥) وسائل الشيعة: ج٤ ص٨٧٩ الباب ٤١ ح١٠.

وعن جعفر (عليه السلام) عن أبيه (عليه السلام): «إن علياً (عليه السلام) سئل عن التعويذ يعلق على الصبيان، فقال: علقوا ما شئتم إذا كان فيه ذكر الله»[1].

وعن عبد الله بن الحسن، عن علي بن جعفر (عليه السلام)، عن أخيه موسى بن جعفر (عليه السلام) قال: سألته عن المريض يكوى أو يسترقى، قال: «لا بأس إذا استرقى بما يعرفه»[2].

(١) وسائل الشيعة: ج٤ ص٨٧٩ الباب ٤١ ح١١.
(٢) وسائل الشيعة: ج٤ ص٨٧٩ الباب ٤١ ح١٢.

فصل

سجود التلاوة

في سجود التلاوة، واجبه ومستحبه.

عن عبد الله بن سنان، عن أبي عبد الله (عليه السلام) قال: «إذا قرأت شيئاً من العزائم التي يسجد فيها فلا تكبر قبل سجودك، ولكن تكبر حين ترفع رأسك، والعزائم أربعة: حم السجدة، وألم تنزيل، ووالنجم، واقرأ باسم ربك»[1].

وعن أبي بصير، عن أبي عبد الله (عليه السلام) قال: قال: «إذا قُرأ شيء من العزائم الأربع فسمعتها فاسجد وإن كنت على غير وضوء، وإن كنت جنباً، وإن كانت المرأة لا تصلي، وسائر القرآن أنت فيه بالخيار إن شئت سجدت وإن شئت لم تسجد»[2].

وعن الوليد بن صبيح، عن أبي عبد الله (عليه السلام)، قال: فيمن قرأ السجدة وعنده رجل على غير وضوء؟ قال: «يسجد»[3].

وعن عبد الله بن سنان، عن أبي عبد الله (عليه السلام)، قال: «العزائم ألم تنزيل، وحم السجدة، والنجم، واقرأ باسم ربك، وما عداها في جميع القرآن مسنون وليس بمفروض»[4].

---

(١) وسائل الشيعة: ج٤ ص٨٨٠ الباب ٤٢ ح١.

(٢) وسائل الشيعة: ج٤ ص٨٨٠ الباب ٤٢ ح٢.

(٣) وسائل الشيعة: ج٤ ص٨٨١ الباب ٤٢ ح٥.

(٤) وسائل الشيعة: ج٤ ص٨٨١ الباب ٤٢ ح٩.

وعن علي بن جعفر، في كتابه، عن أخيه (عليه السلام) قال: سألته عن الرجل يكون في صلاة في جماعة فيقرأ إنسان السجدة كيف يصنع، قال: «يؤمي برأسه»[1].

قال: وسألته عن الرجل يكون في صلاته فيقرأ آخر السجدة؟ فقال: «يسجد إذا سمع شيئاً من العزائم الأربع ثم يقوم فيتم صلاته، إلاّ أن يكون في فريضة فيؤمي برأسه إيماءً»[2].

وعن جابر، عن أبي جعفر (عليه السلام) قال: «إن أبي علي بن الحسين (عليه السلام) ما ذكر لله نعمة عليه إلاّ سجد، ولا قرأ آية من كتاب الله فيها سجدة إلاّ سجد» إلى أن قال: «فسمي السجاد لذلك»[3].

وعن محمد بن مسلم، قال: سألته عن الرجل يقرأ بالسورة فيها السجدة فينسى فيركع ويسجد سجدتين ثم يذكر بعد؟ قال: «يسجد إذا كانت من العزائم، والعزائم أربع: ألم تنزيل، وحم السجدة، والنجم، واقرأ باسم ربك، وكان علي بن الحسين (عليه السلام) يعجبه أن يسجد في كل سورة فيها سجدة»[4].

وعن محمد بن مسلم، عن أبي جعفر (عليه السلام) قال: سألته عن الرجل يعلم السورة من العزائم فتعاد عليه مراراً في المقعد الواحد، قال: «عليه أن يسجد كلما سمعها، وعلى الذي يعلمه أيضاً أن يسجد»[5].

(١) وسائل الشيعة: ج٤ ص٨٨٢ الباب ٤٣ ح٣.
(٢) وسائل الشيعة: ج٤ ص٨٨٢ الباب ٤٣ ح٤.
(٣) وسائل الشيعة: ج٤ ص٨٨٣ الباب ٤٤ ح١.
(٤) وسائل الشيعة: ج٤ ص٨٨٣ الباب ٤٤ ح٢.
(٥) وسائل الشيعة: ج٤ ص٨٨٤ الباب ٤٥ ح١.

وعن أبي عبيدة الحذاء، عن أبي عبد الله (عليه السلام) قال: «إذا قرأ أحدكم السجدة من العزائم فليقل في سجوده: سجدتُ لك تعبّداً ورقّاً، لا مستكبراً عن عبادتك ولا مستنكفاً ولا مستعظماً، بل أنا عبد ذليل خائف مستجير»[١].

وعن محمد بن علي بن الحسين، قال: روي أنه يقول في سجدة العزائم: «لا إله إلاّ الله حقاً حقاً، لا إله إلاّ الله إيماناً وتصديقا، لا إله إلاّ الله عبوديةً ورقّاً، سجدتُ لك يا رب تعبداً وَرِقّاً، لا مستنكفاً ولا مستكبراً، بل أنا عبد ذليل خائف مستجير»، ثم يرفع رأسه ثم يكبر[٢].

وعن عمار، قال: سئل أبو عبد الله (عليه السلام)، عن الرجل إذا قرأ العزايم كيف يصنع، قال: «ليس فيها تكبير إذا سجدت، ولا إذا قمت، ولكن إذا سجدت قلت ما تقول في السجود»[٣].

وعن الحلبي، عن أبي عبد الله (عليه السلام)، قال: سألته عن الرجل يقرأ السجدة وهو على ظهر دابته؟ قال: «يسجد حيث توجَّهَت به، فإن رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) كان يصلي على ناقته وهو مستقبل المدينة، يقول الله عز وجل: ﴿فَأَيْنَما تُوَلُّوا فَثَمَّ وَجْهُ اللهِ﴾[٤] »[٥].

(١) وسائل الشيعة: ج٤ ص٨٨٤ الباب ٤٦ ح١.

(٢) وسائل الشيعة: ج٤ ص٨٨٤ الباب ٤٦ ح٢.

(٣) وسائل الشيعة: ج٤ ص٨٨٤ الباب ٤٦ ح٣.

(٤) سورة البقرة: ١١٥.

(٥) وسائل الشيعة: ج٤ ص٨٨٧ الباب ٤٩ ح١.

فصل

مواضع كراهة قراءة القرآن

في المواضع التي يكره قراءة القرآن فيها

عن السكوني، عن جعفر بن محمد (عليه السلام)، عن آبائه (عليهم السلام)، عن علي (عليه السلام) قال: «سبعة لا يقرؤون القرآن، الراكع والساجد وفي الكنيف وفي الحمام والجنب والنفساء والحايض»[١].

قال الصدوق: هذا على الكراهة، لا على النهي، وذلك أن الجنب والحائض والنفساء مطلوبهم قراءة القرآن إلاّ العزائم الأربع، وقد جاء الإطلاق للرجل في قراءة القرآن في الحمام ما لم يرد به الصوت إذا كان عليه ميزر، وأما الركوع والسجود فلا يقرأ فيهما، لأن الموظف فيهما التسبيح، إلاّ ما ورد في صلاة الحاجة، وأما الكنيف فيجب أن يصان القرآن عن أن يقرأ فيه، انتهى[٢].

---

(١) وسائل الشيعة: ج٤ ص٨٨٥ الباب ٤٧ ح١.

(٢) الخصال: ص٣٥٨ ذيل ح٤٢.

فصل

في كراهة السفر بالقرآن إلى أرض العدو.

عن ابن عمر: أن النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) نهى أن يسافر بالقرآن إلى أرض العدو، مخافة أن يناله العدو[١].

فصل

في ثواب بعض سور القرآن وآياته

عن أبي بصير، عن أبي عبد الله (عليه السلام) قال: «من قرأ البقرة وآل عمران جاء يوم القيامة تظلانه على رأسه مثل الغمامتين، أو مثل الغبابتين»[٢].

وعن عمرو بن جُميع، رفعه إلى علي بن الحسين (عليه السلام) قال: قال رسول الله (صلى الله عليه وآله): «من قرأ أربع آيات من أول البقرة وآية الكرسي وآيتين بعدها، وثلاث آيات من آخرها، لم ير في نفسه وماله شيئاً يكرهه ولا يقربه الشيطان ولا ينسى القرآن»[٣].

وعن أبي الجارود، عن أبي جعفر (عليه السلام) قال: «من قرأ سورة المائدة في كل خميس لم يلبس إيمانه بظلم ولم يشرك به أبداً»[٤].

---

(١) أمالي الطوسي: ج١ ص٣٩٢، وسائل الشيعة: ج٤ ص٨٨٧.

(٢) ثواب الأعمال: ص٩٤.

(٣) ثواب الأعمال: ص٩٤.

(٤) ثواب الأعمال: ص٩٥.

وعن أبي بصير، عن أبي عبد الله (عليه السلام) قال: «من قرأ سورة الأنفال وسورة براءة كل شهر لم يدخله نفاق أبداً، وكان من شيعة أمير المؤمنين (عليه السلام)»[1].

وعن أبي عبد الله (عليه السلام) قال: «من قرأ سورة يونس في كل شهرين أو ثلاثة لم يخف عليه أن يكون من الجاهلين وكان يوم القيامة من المقربين»[2].

وعنه، عن أبيه، عن أبي بصير، عن أبي عبد الله (عليه السلام) قال: «من قرأ سورة يوسف في كل يوم أو في كل ليلة بعثه الله يوم القيامة وجماله مثل جمال يوسف (عليه السلام)، ولا يصيبه فزع يوم القيامة، وكان من خيار عباد الله الصالحين».

وقال: «إنها كانت في التوراة مكتوبة»[3].

وعنه، عن الحسين بن أبي العلاء، عن أبي عبد الله (عليه السلام) قال: «من أكثر قراءة سورة الرعد لم يصبه الله بصاعقة أبداً ولو كان ناصباً، وإذا كان مؤمناً أدخل الجنة بلا حساب وشفع في جميع من يعرف من أهل بيته وإخوانه»[4].

وعنه، عن عاصم الخياط، عن محمد بن مسلم، عن أبي جعفر (عليه السلام) قال: «من قرأ سورة النحل في كل شهر كفى المغرم في الدنيا وسبعين نوعاً من أنواع البلايا، أهونها الجنون والجذام والبرص، وكان مسكنه في

(١) ثواب الأعمال: ص٩٦.

(٢) ثواب الأعمال: ص٩٦.

(٣) ثواب الأعمال: ص٩٦.

(٤) ثواب الأعمال: ص٩٦.

جنة عدن وهي وسط الجنان»[١].

وعن عمر، عن أبان، عن أبي عبد الله (عليه السلام) قال: «من أدمن قراءة سورة مريم لم يمت حتى يصيب منها ما يغنيه في نفسه وماله وولده، وكان في الآخرة من أصحاب عيسى بن مريم، وأعطي في الآخرة مثل ملك سليمان بن داود في الدنيا»[٢].

وعن إسحاق بن عمار، عن أبي عبد الله (عليه السلام) قال: «لا تدعوا قراءة سورة طه، فإن الله يحبها ويحب من قرأها، ومن أدمن قراءتها أعطاه الله يوم القيامة كتابه بيمينه ولم يحاسبه بما في عمل الإسلام، وأعطى في الآخرة من الأجر حتى يرضى»[٣].

وعن فضيل بن يسار، عن أبي عبد الله (عليه السلام) قال: «من قرأ سورة الأنبياء حباً لها كان ممن يرافق النبيين أجمعين في جنات النعيم، وكان مهيباً في أعين الناس في الحياة الدنيا»[٤].

وعنه، عن علي بن سودة، عن أبيه، عن أبي عبد الله (عليه السلام) قال: «من قرأ سورة الحج في كل ثلاثة أيام لم تخرج سنة حتى يخرج إلى بيت الله الحرام، وإن مات في سفره دخل الجنة»، قلت: فإن كان مخالفاً، قال: «يخفف عنه بعض ما هو فيه»[٥].

وعنه، عن أبي عبد الله المؤمن، عن ابن مسكان، عن أبي عبد الله (عليه

---

(١) ثواب الأعمال: ص٩٧.

(٢) ثواب الأعمال: ص٩٧.

(٣) ثواب الأعمال: ص٩٨.

(٤) ثواب الأعمال: ص٩٨.

(٥) ثواب الأعمال: ص٩٨.

السلام) قال: «حصنوا أموالكم وفروجكم بتلاوة سورة النور، وحصنوا بها نساءكم، فإن من أدمن قراءتها في كل يوم أو في كل ليلة لم يزن أحد من أهل بيته أبداً حتى يموت، فإذا هو مات شيّعه إلى قبره سبعون ألف ملك، كلهم يدعون ويستغفرون الله له حتى يدخل إلى قبره»[١].

وعنه، عن سيف بن عميرة، عن إسحاق بن عمار، عن أبي الحسن (عليه السلام) قال: «يا بن عمار لا تدع قراءة سورة تبارك الذي نزل الفرقان على عبده فإن من قرأها في كل ليلة لم يعذبه الله أبداً ولم يحاسبه وكان منزله في الفردوس الأعلى»[٢].

وعنه، عن عمرو بن جبير العزرمي، عن أبيه، عن أبي جعفر (عليه السلام) قال: «من قرأ سورة لقمان في كل ليلة وكل الله به في ليلته ملائكة يحفظونه من إبليس وجنوده حتى يصبح، فإذا قرأها بالنهار لم يزالوا يحفظونه من إبليس وجنوده حتى يمسي»[٣].

وعنه، عن عبد الله بن سنان، عن أبي عبد الله (عليه السلام) قال: «من كان كثير القراءة لسورة الأحزاب كان يوم القيامة في جوار محمد (صلى الله عليه وآله) وأزواجه»، الحديث[٤].

وعنه، عن أحمد بن عايذ، عن ابن أذينة، عن أبي عبد الله (عليه السلام) قال: «من قرأ الحمدين جميعاً حمد سبأ وحمد فاطر، من قرأهما في ليلة واحدة لم يزل في ليلته في حفظ الله وكلائه، ومن قرأهما في نهاره لم يصبه

(١) ثواب الأعمال: ص٩٩.
(٢) ثواب الأعمال: ص١٠٠.
(٣) ثواب الأعمال: ص١٠٠.
(٤) ثواب الأعمال: ص١٠٢.

في نهاره مكروه، وأعطي من خير الدنيا وخير الآخرة ما لم يخطر على قلبه ولم يبلغ مناه»[١].

وعن هارون بن خارجة، عن أبي عبد الله (عليه السلام) قال: «من قرأ سورة الزمر استخفها من لسانه أعطاه الله من شرف الدنيا والآخرة، وأعزه بلا مال ولا عشيرة حتى يهابه من يراه، وحرم جسده على النار، وبنى له في الجنة ألف مدينة» الحديث، وفيه ثواب جزيل[٢].

وعن أبي الصباح، عن أبي جعفر (عليه السلام) قال: «من قرأ حم المؤمن في كل ليلة غفر الله له ما تقدم من ذنبه وما تأخر، وألزمه كلمة التقوى وجعل الآخرة خيراً له من الدنيا»[٣].

وعنه، عن أبي المعزا، عن ذريح المحاربي قال: قال أبو عبد الله (عليه السلام): «من قرأ سورة حم السجدة كانت له نوراً في يوم القيامة مد بصره وسروراً، وعاش في الدنيا محموداً مغبوطا»[٤].

وعنه، عن سيف بن عميرة، عن أبي عبد الله (عليه السلام) قال: «من قرأ سورة حم عسق بعثه الله يوم القيامة ووجهه كالثلج أو كالشمس حتى يقف بين يدي الله فيقول: عبدي أدمت قراءة حم عسق»، إلى أن قال: «أدخلوه الجنة»، الحديث[٥].

وعنه عن أبي المعزا، عن أبي بصير، قال: قال أبو جعفر (عليه السلام):

---

(١) ثواب الأعمال: ص١٠٢.
(٢) وسائل الشيعة: ج٤ ص٨٩١ ح١٨.
(٣) وسائل الشيعة: ج٤ ص٨٩١ ح١٩.
(٤) ثواب الأعمال: ص١٠٢.
(٥) ثواب الأعمال: ص١٠٢.

«من أدمن قراءة حم الزخرف آمنه الله في قبره من هوام الأرض ومن ضمة القبر حتى يقف بين يدي الله، ثم جاءت حتى تكون هي التي تدخله الجنة بأمر الله»[١].

وعنه عن عاصم، عن أبي بصير، عن أبي عبد الله (عليه السلام) قال: «من قرأ سورة الجاثية كان ثوابها أن لا يرى النار أبداً، ولا يسمع زفير جهنم ولا شهيقها، وهو مع محمد (صلى الله عليه وآله)»[٢].

وعنه، عن أبي المعزا، عن أبي بصير، عن أبي عبد الله (عليه السلام) قال: «من قرأ سورة الذين كفروا لم يذنب أمراً، ولم يدخله شك في دينه أبداً، ولم يبتله الله بفقر أبداً، ولا خوف من سلطان أبداً» الحديث[٣].

وعنه، عن عبد الله بن بكير، عن أبيه، قال: قال أبو عبد الله (عليه السلام): «حصنوا أموالكم ونساءكم وما ملكت أيمانكم من التلف بقراءة ﴿إنا فتحنا لك﴾، فإنه إذا كان ممن يدمن قراءتها نادى مناد يوم القيامة حتى يسمع الخلايق أنت من عبادي المخلصين ألحقوه بالصالحين» الحديث[٤].

وعنه، عن الحسين بن أبي العلاء، عن أبي عبد الله (عليه السلام) قال: «من قرأ سورة الحجرات في كل ليلة أو في كل يوم كان من زوار محمد (صلى الله عليه وآله وسلم)»[٥].

وعنه، عن صندل، عن داود بن فرقد، عن أبي عبد الله (عليه السلام)

---

(١) ثواب الأعمال: ص١٠٣.

(٢) ثواب الأعمال: ص١٠٣.

(٣) ثواب الأعمال: ص١٠٤.

(٤) ثواب الأعمال: ص١٠٤.

(٥) ثواب الأعمال: ص١٠٤.

قال: «من قرأ سورة والذاريات في يومه أو في ليلته، أصلح الله له معيشته، وأتاه برزق واسع، ونوّر له في قبره بسراج يزهر إلى يوم القيامة»[١].

وعنه، عن أبي أيوب الخزاز، عن محمد بن مسلم، عن أبي جعفر وأبي عبد الله (عليهما السلام) قال: «من قرأ سورة الطور جمع الله له خير الدنيا والآخرة»[٢].

وعنه، عن صندل، عن يزيد بن خليفة، عن أبي عبد الله (عليه السلام) قال: «من كان يدمن قراءة والنجم في كل يوم أو في كل ليلة عاش محموداً بين يدي الناس وكان مغفوراً له وكان محبوباً بين الناس»[٣].

وعنه، عن صندل، عن يزيد بن خليفة، عن أبي عبد الله (عليه السلام) قال: «من قرأ سورة اقتربت الساعة، أخرجه الله من قبره على ناقة من نوق الجنة»[٤].

وعن أبي بن كعب، عن النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) قال: «من قرأ سورة الحشر لم يبق جنة ولا نار ولا عرش ولا كرسي ولا الحجب ولا السماوات السبع ولا الأرضون السبع والهواء والريح والطير والشجر والجبال والشمس والقمر والملائكة، إلاّ صلوا عليه واستغفروا له، وإن مات في يومه أو في ليلته مات شهيداً»[٥].

وعن جابر، عن أبي عبد الله (عليه السلام) قال: «أكثروا من قراءة سأل

---

(١) ثواب الأعمال: ص١٠٤.
(٢) ثواب الأعمال: ص١٠٥.
(٣) ثواب الأعمال: ص١٠٥.
(٤) ثواب الأعمال: ص١٠٥.
(٥) ثواب الأعمال: ص١٠٦.

سائل، فإن من أكثر قراءتها لم يسأله الله عز وجل يوم القيامة عن ذنب عمله وأسكنه الله الجنة مع محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) إن شاء الله»[١].

وعنه، عن حنان بن سدير، عن أبي عبد الله (عليه السلام) قال: «من أكثر قراءة ﴿قل أوحي إليّ﴾ لم يصبه في الحياة الدنيا شيء من أعين الجن ولا نفثهم ولا سحرهم ولا من كيدهم، وكان مع محمد (صلى الله عليه وآله وسلم)، فيقول: يا رب لا أريد به بدلاً ولا أريد أن أبغي عنه حولا»[٢].

وعن أبي بصير، عن أبي جعفر (عليه السلام) قال: «من أدمن قراءة سورة ﴿لا أقسم﴾ وكان يعمل بها بعثه الله عز وجل مع رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) من قبره في أحسن صورة، ويبشره ويضحك في وجهه حتى يجوز على الصراط والميزان»[٣].

وعنه، عن الحسين بن عمر الرماني، عن أبيه، عن أبي عبد الله (عليه السلام) قال: «من قرأ ﴿والمرسلات عرفاً﴾ عرف الله بينه وبين محمد (صلى الله عليه وآله وسلم)، ومن قرأ ﴿عم يتساءلون﴾ لم تخرج سنة إذا كان يدمنها في كل يوم حتى يزور بيت الله الحرام إن شاء الله تعالى، ومن قرأ سورة والنازعات لم يمت إلا رياناً ولم يبعثه الله إلاّ رياناً ولم يدخله الجنة إلاّ ريانا»[٤].

وعنه، عن معاوية بن وهب، عن أبي عبد الله (عليه السلام) قال: «من قرأ ﴿عبس وتولى﴾ و﴿إذا الشمس كورت﴾ كان تحت جناح الله من الجنان،

---

(١) ثواب الأعمال: ص١٠٨.
(٢) ثواب الأعمال: ص١٠٨.
(٣) ثواب الأعمال: ص١٠٩.
(٤) ثواب الأعمال: ص١٠٩.

وفي ظلل الله وكرامته في جنانه، ولا يعظم ذلك على الله إن شاء الله»[١].

وعنه، عن معاوية بن عمار، عن أبي عبد الله (عليه السلام) قال: «من أكثر قراءة ﴿والشمس وضحيها﴾، ﴿والليل إذا يغشى﴾، ﴿والضحى﴾ و﴿ألم نشرح﴾ في يومه وليلته لم يبق شيء بحضرته إلاّ شهد له يوم القيامة حتى شعره وبشره ولحمه ودمه وعروقه وعصبه وعظامه وجميع ما أقلت الأرض منه، ويقول الرب تبارك وتعالى: قبلت شهادتكم لعبدي وأجزتها له، انطلقوا به إلى جناني حتى يتخير منها حيث أحب، فأعطوه من غير منّ، ولكن رحمة مني وفضلاً عليه، فهيئاً هنيئاً لعبدي»[٢].

وعن سليمان بن خالد، عن أبي عبد الله (عليه السلام) قال: «من قرأ في يومه أو ليلته ﴿اقرأ باسم ربك﴾[٣] ثم مات في يومه أو في ليلته، مات شهيداً وبعثه الله شهيداً وأحياه شهيداً، وكان كمن ضرب بسيفه في سبيل الله مع رسوله صلى الله عليه وآله»[٤].

وعن أبي بكر الحضرمي، عن أبي جعفر (عليه السلام) قال: «من قرأ سورة لم يكن كان بريئاً من الشرك وأدخل في دين محمد (صلى الله عليه وآله)، وبعثه الله عز وجل مؤمناً وحاسبه حساباً يسيراً»[٥].

وعن سليمان بن خالد، عن أبي عبد الله (عليه السلام) قال: «من قرأ سورة العاديات وأدمن قراءتها بعثه الله عز وجل مع أمير المؤمنين (عليه السلام)

---

(١) ثواب الأعمال: ص١١٠.

(٢) ثواب الأعمال: ص١١١.

(٣) سورة العلق.

(٤) ثواب الأعمال: ص١١٢.

(٥) ثواب الأعمال: ص١١٢.

يوم القيامة خاصة، وكان في حجره ورفقائه»[١].

وعن عمرو بن ثابت، عن أبي جعفر (عليه السلام) قال: «من قرأ وأكثر من قراءة القارعة آمنه الله من فتنة الدجال أن يؤمن به، ومن قيح جهنم يوم القيامة إن شاء الله»[٢].

وعنه، عن أبي المعزا، عن أبي بصير، عن أبي عبد الله (عليه السلام) قال: «من أكثر قراءة ﴿لإيلاف قريش﴾ بعثه الله على مركب من مراكب الجنة حتى يقعد على موائد النور يوم القيامة»[٣].

إلى غيرها من الروايات المذكورة في الوسائل والبحار والمستدرك ومجمع البيان، وغيرها.

---

(١) ثواب الأعمال: ص١١٢.

(٢) ثواب الأعمال: ص١١٣.

(٣) بحار الأنوار: ج٨٩ ص٣٣٧ ح٢.

فصل

القرآن والعترة معا

يلزم ضم العترة عليهم السلام إلى القرآن لفهم ظواهره.

عن منصور بن حازم قال: قلت لأبي عبد الله (عليه السلام): إن الله أجل وأكرم من أن يعرف بخلقه، إلى أن قال: وقلت للناس: أليس تعلمون أن رسول الله (صلى الله عليه وآله) كان الحجة من الله على خلقه، قالوا: بلى، قلت: فحين مضى رسول الله (صلى الله عليه وآله) من كان الحجة لله على خلقه، قالوا: القرآن، فنظرت في القرآن فإذا هو يخاصم به المرجئ والقدري والزنديق الذي لا يؤمن به حتى يغلب الرجال بخصومته، فعرفت أن القرآن لا يكون حجة إلاّ بقيم، فما قال فيه من شيء كان حقاً، إلى أن قال: فأشهد أن علياً (عليه السلام) كان قيم القرآن، وكانت طاعته مفترضة، وكان الحجة على الناس بعد رسول الله (صلى الله عليه وآله) وأن ما قال في القرآن فهو حق، فقال: «رحمك الله».

وعن يونس بن يعقوب، قال: كنت عند أبي عبد الله (عليه السلام) فورد عليه رجل من أهل الشام ثم ذكر حديث مناظرته مع هشام بن الحكم، إلى أن قال: فقال هشام: فبعد رسول الله (صلى الله عليه وآله) من الحجة؟ قال: الكتاب والسنة، قال هشام: فهل ينفعنا الكتاب والسنة في رفع الاختلاف عنا، قال الشامي: نعم، قال هشام: فلم اختلفت أنا وأنت وصرت إلينا من

الشام في مخالفتنا إياك، فسكت الشامي، فقال أبو عبد الله (عليه السلام): «ما لك لا تتكلم»؟ فقال: إن قلت لم يختلف كذبت، وإن قلت الكتاب والسنة يرفعان عنا الاختلاف أحلتُ لأنهما يحتملان الوجوه، إلى أن قال الشامي: والساعة من الحجة، فقال هشام: هذا القاعد الذي تشد إليه الرحال ويخبرنا بأخبار السماء، الحديث.

وفيه: إن الصادق (عليه السلام) أثنى على هشام(١).

وعن الحسن بن العباس بن الجريش، عن أبي جعفر الثاني (عليه السلام) قال: قال أبو عبد الله (عليه السلام) وذكر الحديث، وفيه: «إن رجلاً سأل أباه عن مسائل فكان مما أجابه به أن قال: قل لهم هل كان فيما أظهر رسول الله (صلى الله عليه وآله) من علم الله اختلاف، فإن قالوا لا، فقل لهم فمن حكم بحكم فيه اختلاف فهل خالف رسول الله (صلى الله عليه وآله)، فيقولون: نعم، فإن قالوا لا، فقد نقضوا أول كلامهم، فقل لهم ما يعلم تأويله إلاّ الله والراسخون في العلم، فإن قالوا: من الراسخون في العلم؟ فقل: من لا يختلف في علمه، فإن قالوا من ذاك؟ فقل: كان رسول الله (صلى الله عليه وآله) صاحب ذاك، إلى أن قال: وإن كان رسول الله (صلى الله عليه وآله) لم يستخلف أحداً فقد ضيع من في أصلاب الرجال ممن يكون بعده، قال: وما يكفيهم القرآن، قال: بلى لو وجدوا له مفسراً، قال: وما فسره رسول الله؟ قال: بلى قد فسره لرجل واحد، وفسر للأمة شأن ذلك الرجل وهو علي بن أبي طالب (عليه السلام)، إلى أن قال: والمحكم ليس بشيئين إنما هو شيء واحد، فمن حكم بحكم ليس فيه اختلاف فحكمه من حكم الله عز وجل، ومن

(١) وسائل الشيعة: ج١٨ ص١٢٩ الباب ١٣ ح١.

حكم بحكم فيه اختلاف فرأى أنه مصيب فقد حكم بحكم الطاغوت»[١].

وعن سليم بن قيس الهلالي، عن أمير المؤمنين (عليه السلام) قال: «إن الله طهرنا وعصمنا وجعلنا شهداء على خلقه وحجته في أرضه، وجعلنا مع القرآن والقرآن معنا لا نفارقه ولا يفارقنا»[٢].

وعن أبي بصير، عن أبي عبد الله (عليه السلام) قال: «نحن الراسخون في العلم ونحن نعلم تأويله»[٣].

وعن بريد بن معاوية، عن أحدهما (عليهما السلام) في قول الله عز وجل: ﴿**وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلاَّ اللهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ**﴾[٤]، فرسول الله (صلى الله عليه وآله) أفضل الراسخين في العلم، قد علّمه الله جميع ما أنزل عليه من التنزيل والتأويل وما كان الله لينزل عليه شيئاً لا يعلمه تأويله، وأوصياؤه من بعده يعلمونه»، الحديث[٥].

وعن عبد الرحمان بن كثير، عن أبي عبد الله (عليه السلام) قال: «الراسخون في العلم أمير المؤمنين والأئمة من ولده (عليهم السلام)»[٦].

وعن عبد العزيز العبدي، عن أبي عبد الله (عليه السلام)، في قول الله عز وجل: ﴿**بَلْ هُوَ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ فِي صُدُورِ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ**﴾[٧] قال: «هم

---

(١) وسائل الشيعة: ج١٨ ص١٣١ الباب ١٣ ح٣.
(٢) وسائل الشيعة: ج١٨ ص١٣٢ الباب ١٣ ح٤.
(٣) وسائل الشيعة: ج١٨ ص١٣٢ الباب ١٣ ح٥.
(٤) سورة آل عمران: ٧.
(٥) وسائل الشيعة: ج١٨ ص١٣٢ الباب ١٣ ح٦.
(٦) وسائل الشيعة: ج١٨ ص١٣٢ الباب ١٣ ح٧.
(٧) سورة العنكبوت: ٤٩.

الأئمة (عليهم السلام)»[(١)].

وعن أبي بصير قال: قرأ أبو جعفر (عليه السلام) هذه الآية: ﴿**بَلْ هُوَ آياتٌ بَيِّناتٌ في صُدُورِ الَّذينَ أُوتُوا الْعِلْمَ**﴾[(٢)] ثم قال: أما والله يا أبا محمد، ما قال ما بين دفتي المصحف»، قلت: من هم جعلت فداك؟ قال: «من عسى أن يكونوا غيرنا»[(٣)].

وعن سلمة بن محرز، قال: سمعت أبا جعفر (عليه السلام) يقول: «إن من علم ما أوتينا تفسير القرآن وأحكامه» الحديث[(٤)].

وعن عبد الرحمن بن كثير، عن أبي عبد الله (عليه السلام) قال: ﴿**قالَ الَّذي عِنْدَهُ عِلْمٌ مِنَ الْكِتابِ**﴾[(٥)] إلى أن قال: «وعندنا والله علم الكتاب كله»[(٦)].

وعن بريد بن معاوية، قال: قلت لأبي جعفر (عليه السلام): ﴿**قُلْ كَفى بِاللهِ شَهيداً بَيْني وَبَيْنَكُمْ ومَنْ عِنْدَهُ عِلْمُ الْكِتابِ**﴾[(٧)]، قال: «إيانا عنى، وعلي (عليه السلام) أولنا وأفضلنا وخيرنا بعد النبي (صلى الله عليه وآله)»[(٨)].

وعن سدير، عن أبي عبد الله (عليه السلام) في حديث قال: «علم الكتاب

---

(١) وسائل الشيعة: ج١٨ ص١٣٣ الباب ١٣ ح١٠.
(٢) سورة العنكبوت: ٤٩.
(٣) وسائل الشيعة: ج١٨ ص١٣٣ الباب ١٣ ح١١.
(٤) وسائل الشيعة: ج١٨ ص١٣٣ الباب ١٣ ح١٣.
(٥) سورة النمل: ٤٠.
(٦) وسائل الشيعة: ج١٨ ص١٣٣ الباب ١٣ ح١٤.
(٧) سورة الرعد: ٤٣.
(٨) وسائل الشيعة: ج١٨ ص١٣٤ الباب ١٣ ح١٥.

كله والله عندنا، علم الكتاب كله والله عندنا»[١].

وعن محمد بن منصور، عن العبد الصالح (عليه السلام) في حديث قال: «إن القرآن له ظهر وبطن»[٢].

وعن محمد بن سالم، عن أبي جعفر (عليه السلام) قال: «إن أناساً تكلموا في القرآن بغير علم، وذلك أن الله يقول: ﴿**هُوَ الَّذي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتابَ مِنْهُ آياتٌ مُحْكَماتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتابِ وَأُخَرُ مُتَشابِهاتٌ فَأَمَّا الَّذينَ في قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ ما تَشابَهَ مِنْهُ ابْتِغاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغاءَ تَأْويلِهِ وَما يَعْلَمُ تَأْويلَهُ إلاّ اللهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ**﴾[٣] الآية، فالمنسوخات من المتشابهات والناسخات من المحكمات» الحديث[٤].

وعن أبي الصباح، قال: والله لقد قال لي جعفر بن محمد (عليه السلام): «إن الله علم نبيه (صلى الله عليه وآله) التنزيل والتأويل، فعلمه رسول الله (صلى الله عليه وآله) علياً (عليه السلام)، ثم قال: «وعلّمنا والله»[٥].

وعن الأصبغ بن نباتة، عن أمير المؤمنين (عليه السلام) في حديث أنه قال: «ما من شيء تطلبونه إلاّ وهو القرآن، فمن أراد ذلك فليسألني عنه»[٦].

وعن القسم بن سليمان، عن أبي عبد الله (عليه السلام) قال: قال أبي

---

(١) وسائل الشيعة: ج١٨ ص١٣٤ الباب ١٣ ح١٦.
(٢) وسائل الشيعة: ج١٨ ص١٣٤ الباب ١٣ ح١٧.
(٣) سورة آل عمران: ٧.
(٤) وسائل الشيعة: ج١٨ ص١٣٤ الباب ١٣ ح١٨.
(٥) وسائل الشيعة: ج١٨ ص١٣٤ الباب ١٣ ح١٩.
(٦) وسائل الشيعة: ج١٨ ص١٣٥ الباب ١٣ ح٢٠.

(عليه السلام) : «ما ضرب رجل القرآن بعضه ببعض إلاّ كفر»[١].

قال الصدوق: سألت محمد بن الحسن عن معنى الحديث، فقال: هو أن يجيب الرجل في تفسير آية بتفسير آية أخرى[٢]، أقول أي من دون ربط بين الآيتين.

وعن مسعدة بن صدقة، عن أبي عبد الله (عليه السلام) في حديث احتجاجه على الصوفية لما احتجوا عليه بآيات القرآن في الإيثار والزهد، قال: «ألكم علم بناسخ القرآن ومنسوخه ومحكمه ومتشابهه الذي في مثله، ضل من ضل، وهلك من هلك من هذه الأمة»، قالوا: أو بعضه فأما كله فلا. فقال لهم: «فمن هيهنا أتيتم، وكذلك أحاديث رسول الله (صلى الله عليه وآله)، إلى أن قال: «فبئس ما ذهبتم إليه وحملتم الناس عليه من الجهل بالكتاب الله وسنة نبيه (صلى الله عليه وآله) وأحاديثه التي يصدقها الكتاب المنزل وردكم إياها لجهالتكم وترككم النظر في غريب القرآن من التفسير والناسخ والمنسوخ والمحكم والمتشابه والأمر والنهي»، إلى أن قال: «دعوا عنكم ما اشتبه عليكم مما لا علم لكم به وردوا العلم إلى أهله توجروا وتعذروا عند الله، وكونوا في طلب ناسخ القرآن من منسوخه ومحكمه من متشابهه، وما أحل الله فيه مما حرم، فإنه أقرب لكم من الله وأبعد لكم من الجهل، دعوا الجهالة لأهلها فإن أهل الجهل كثير وأهل العلم قليل، وقد قال الله: ﴿وَفَوْقَ كُلِّ ذي عِلْمٍ عَليمٌ﴾[٣]»[٤].

---

(١) وسائل الشيعة: ج١٨ ص١٣٥ الباب ١٣ ح٢٢.

(٢) نقل المجلسي في بحار الأنوار: ج٨٩ ص٣٩ عن كتاب معاني الأخبار للصدوق.

(٣) سورة يوسف: ٧٦.

(٤) وسائل الشيعة: ج١٨ ص١٣٥ الباب ١٣ ح٢٣.

وعن زيد الشحام قال: دخل قتادة بن دعامة على أبي جعفر (عليه السلام) فقال: «يا قتادة أنت فقيه أهل البصرة»، فقال: هكذا يزعمون، فقال أبو جعفر (عليه السلام): «بلغني أنك تفسر القرآن»، فقال له قتادة: نعم، فقال له أبو جعفر (عليه السلام): «فإن كنت تفسره بعلم فأنت أنت وأنا أسألك»، إلى أن قال أبو جعفر (عليه السلام): «ويحك يا قتادة إن كنت إنما فسرت القرآن من تلقاء نفسك فقد هلكت وأهلكت، وإن كنت قد فسرته من الرجال فقد هلكت وأهلكت، ويحك يا قتادة إنما يعرف القرآن من خوطب به»[(١)].

وعن أمير المؤمنين (عليه السلام) في خطبة له قال: «إن علم القرآن ليس يعلم ما هو إلا من ذاق من طعمه، فعلم بالعلم جهله، وبصر به عماه، وسمع به صممه، وأدرك به ما قد فات، وحيي به بعد إذ مات، فاطلبوا ذلك من عند أهله وخاصته فإنهم خاصته، نور يستضاء به، وأئمة تقتدى بهم، هم عيش العلم وموت الجهل، وهم الذين يخبركم حلمهم عن علمهم، وصمتهم عن منطقهم، وظاهرهم عن باطنهم، لا يخالفون الحق ولا يختلفون فيه»[(٢)].

وفي حديث الريان بن الصلت، عن الرضا (عليه السلام) عن آبائه (عليه السلام) قال: قال الله عز وجل: «ما آمن بي من فسر برأيه كلامي» الحديث[(٣)].

وعن محمد بن يعقوب النهشلي، عن الرضا (عليه السلام)، عن آبائه (عليهم السلام)، عن النبي (صلى الله عليه وآله)، عن جبرائيل، عن ميكائيل، عن

(١) وسائل الشيعة: ج١٨ ص١٣٦ الباب ١٣ ح٢٥.
(٢) وسائل الشيعة: ج١٨ ص١٣٧ الباب ١٣ ح٢٦.
(٣) وسائل الشيعة: ج١٨ ص١٣٧ الباب ١٣ ح٢٨.

إسرافيل، عن الله جل جلاله، أنه قال: «أنا الله لا إله إلاّ أنا خلقت الخلق بقدرتي، فاخترت منهم من شئت من أنبيائي واخترت من جميعهم محمداً، فبعثته رسولاً إلى خلقي، واخترت له علياً فجعلته له أخاً ووزيراً ومؤدياً عنه من بعده إلى خلقي، وخليفتي على عبادي، ليبين لهم كتابي، ويسير فيهم بحكمي، وجعلته العلم الهادي من الضلالة، وبأبي الذي منه أوتى» الحديث[1].

وعن الحسين، عن أبيه (عليه السلام) قال: قال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم): «يا علي أنت أخي وأنا أخوك، وأنا المصطفى للنبوة وأنت المجتبى للإمامة، وأنا صاحب التنزيل وأنت صاحب التأويل» الحديث[2].

وعن أبي سعيد الخدري، قال: سألت رسول الله (صلى الله عليه وآله)، عن قوله تعالى: ﴿**قَالَ الَّذي عِنْدَهُ عِلْمٌ مِنَ الْكِتابِ**﴾[3] قال: «ذاك وصي أخي سليمان بن داود، فقلت: يا رسول الله، فقول الله عز وجل: ﴿**قُلْ كَفى بالله شَهيداً بَيْني وبَيْنَكُمْ ومَنْ عِنْدَهُ عِلْمُ الْكِتابِ**﴾[4] قال: ذاك أخي علي بن أبي طالب (عليه السلام)»[5].

وعن الفضل بن شاذان، عن الرضا (عليه السلام) في كتابه إلى المأمون، قال: «محض الإسلام شهادة أن لا إله إلاّ الله»، إلى أن قال: «والتصديق بكتابه الصادق» إلى أن قال: «وإنه حق كله من فاتحته إلى خاتمته، نؤمن

(١) وسائل الشيعة: ج١٨ ص١٣٨ الباب ١٣ ح٣٠.
(٢) وسائل الشيعة: ج١٨ ص١٣٨ الباب ١٣ ح٣٢.
(٣) سورة النمل: ٤٠.
(٤) سورة الرعد: ٤٣.
(٥) وسائل الشيعة: ج١٨ ص١٣٩ الباب ١٣ ح٣٣.

بمحكمه ومتشابهه، وخاصه وعامه، ووعده ووعيده، وناسخه ومنسوخه، وقصصه وأخباره، وإن الدليل بعده والحجة على المؤمنين والناطق عن القرآن والعالم بأحكامه، أخوه وخليفته ووصيه ووليله علي بن أبي طالب (عليه السلام) وذكر الأئمة (عليهم السلام) ثم قال: وإن من خالفهم ضال مضل، تارك للحق والهدى، وإنهم المعبرون عن القرآن والناطقون عن الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) بالبيان»[١].

وعن عبد الرحمن بن سمرة قال: قال رسول الله (صلى الله عليه وآله): «لعن الله المجادلين في دين الله على لسانه سبعين نبياً، ومن جادل في آيات الله كفر، قال الله: ﴿**ما يُجادِلُ في آياتِ الله إلاّ الَّذينَ كَفَرُوا**﴾[٢]، ومن فسر القرآن برأيه فقد افترى على الله الكذب، ومن أفتى الناس بغير علم لعنته ملائكة السماوات والأرض، وكل بدعة ضلالة وكل ضلالة سبيلها إلى النار»، الحديث[٣].

وعن أبي الوليد البحراني، عن أبي جعفر (عليه السلام): إن رجلاً قال له: أنت الذي تقول ليس شيء من كتاب الله إلاّ المعروف، قال: «ليس هكذا قلت، إنما قلت: ليس شيء من كتاب الله إلاّ عليه دليل ناطق عن الله في كتابه مما لا يعلمه الناس»، إلى أن قال: «إن للقرآن ظاهراً وباطناً ومعاني وناسخاً ومنسوخاً ومحكماً ومتشابهاً وسنناً وأمثالا وفصلا ووصلاً وأحرفاً وتصريفاً، فمن زعم أن الكتاب مبهم فقد هلك وأهلك» الحديث[٤].

---

(١) وسائل الشيعة: ج١٨ ص١٤٠ الباب ١٣ ح٣٦.
(٢) سورة غافر: ٤.
(٣) وسائل الشيعة: ج١٨ ص١٤٠ الباب ١٣ ح٣٧.
(٤) وسائل الشيعة: ج١٨ ص١٤١ الباب ١٣ ح٣٩.

وعن عبد الحميد بن غواص الطائي، قال: سمعت أبا عبد الله (عليه السلام) يقول: «إن للقرآن حدوداً كحدود الدار»[١].

وعن جابر بن يزيد، قال: سألت أبا جعفر (عليه السلام) عن شيء من التفسير فأجابني، ثم سألته عنه ثانية فأجابني بجواب آخر، فقلت: كنت أجبتني في هذه المسألة بجواب غير هذا، فقال: «يا جابر إن للقرآن بطناً وله ظهر، وللظهر ظهر، يا جابر وليس شيء أبعد من عقول الرجال من تفسير القرآن، إن الآية تكون أولها في شيء وآخرها في شيء وهو كلام متصل متصرف على وجوه»[٢].

وعن الطبرسي في الاحتجاج، عن النبي (صلى الله عليه وآله) في احتجاجه يوم الغدير على تفسير كتاب الله والداعي إليه: «ألا وإن الحلال والحرام أكثر من أن أحصيهما وأعرفهما، فآمر بالحلال وأنهى عن الحرام في مقام واحد، فأمرت أن آخذ البيعة عليكم والصفقة منكم بقبول ما جئت به عن الله عز وجل في علي أمير المؤمنين (عليه السلام) والأئمة من بعده، معاشر الناس تدبروا وافهموا آياته، وانظروا في محكماته، ولا تتبعوا متشابهه، فو الله لن يبين لكم زواجره ولا يوضح لكم عن تفسيره إلاّ الذي أنا آخذ بيده»[٣].

وعن أمير المؤمنين (عليه السلام) في احتجاجه على زنديق سأله عن آيات متشابهة من القرآن فأجابه، إلى أن قال (عليه السلام):

«وقد جعل الله للعلم أهلاً وفرض على العباد طاعتهم بقوله:

---

(١) وسائل الشيعة: ج١٨ ص١٤٢ الباب ١٣ ح٤٠.
(٢) وسائل الشيعة: ج١٨ ص١٤٢ الباب ١٣ ح٤١.
(٣) وسائل الشيعة: ج١٨ ص١٤٢ الباب ١٣ ح٤٣.

﴿**أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم**﴾[(١)]، وبقوله: ﴿**ولو ردوه إلى الرسول وإلى أولي الأمر منهم لعلمه الذين يستنبطونه منهم**﴾[(٢)]، وبقوله: ﴿**اتقوا الله وكونوا مع الصادقين**﴾[(٣)]، وبقوله: ﴿**ما يعلم تأويله إلاّ الله والراسخون في العلم**﴾[(٤)]، وبقوله: ﴿**وأتوا البيوت من أبوابها**﴾[(٥)]، والبيوت هي بيوت العلم التي استودعها الأنبياء، وأبوابها أوصياؤهم، فكل عمل من أعمال الخير يجري على غير أيدي الأوصياء وعهودهم وحدودهم وشرايعهم وسننهم ومعالم دينهم مردود غير مقبول، وأهله بمحل كفر وإن شملهم صفة الإيمان».

«ثم إن الله قسم كلامه ثلاثة أقسام: فجعل قسماً منه يعرفه العالم والجاهل، وقسماً لا يعرفه إلاّ من صفا ذهنه ولطف حسنه، وصح تمييزه ممن شرح الله صدره للإسلام، وقسماً لا يعلمه إلاّ الله وملائكته والراسخون في العلم، وإنما فعل ذلك لئلا يدعي أهل الباطل المستولين على ميراث رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) من علم الكتاب ما لم يجعله الله لهم، وليقودهم الاضطرار إلى الايتمام بمن ولى أمرهم فاستكبروا عن طاعته» الحديث[(٦)].

وعن إسحاق بن عمار، قال: سمعت أبا عبد الله (عليه السلام) يقول: «إن للقرآن تأويلاً فمنه ما قد جاء ومنه ما لم يجئ، فإذا وقع التأويل في زمان

(١) سورة النساء: ٥٩.

(٢) سورة النساء: ٨٣.

(٣) سورة التوبة: ١١٩.

(٤) سورة آل عمران: ٧.

(٥) سورة البقرة: ١٨٩.

(٦) وسائل الشيعة: ج١٨ ص١٤٣ الباب ١٣ ح٤٤.

إمام من الأئمة عرفه إمام ذلك الزمان»[١].

وعن إبراهيم بن عمر، عنه (عليه السلام) قال: «إن في القرآن ما مضى، وما يحدث، وما هو كائن» إلى أن قال: «وإنما الاسم الواحد في وجوه لا تحصى يعرف ذلك الوصاة»[٢].

وعن فضيل بن يسار، قال: سألت أبا جعفر (عليه السلام) عن هذه الرواية: «ما من القرآن آية إلاّ ولها ظهر وبطن»، قال: «ظهره وبطنه تأويله، ومنه ما قد مضى، ومنه ما لم يكن يجري كما تجري الشمس والقمر، كلما جاء تأويل شيء يكون على الأموات كما يكون على الأحياء، قال الله: ﴿**وما يعلم تأويله إلاّ الله والراسخون في العلم**﴾[٣]، نحن نعلمه»[٤].

وعن زرارة، عن أبي جعفر (عليه السلام) قال: «تفسير القرآن على سبعة أوجه، منه ما كان، ومنه ما لم يكن بعدُ، تعرفه الأئمة (عليهم السلام)»[٥].

وعن يعقوب بن جعفر، قال: كنت مع أبي الحسن (عليه السلام) بمكة، فقال له قائل إنك لتفسر من كتاب الله ما لم تسمع، فقال: «علينا نزل قبل الناس، ولنا فسر قبل أن يفسر في الناس، فنحن نعلم حلاله وحرامه وناسخه ومنسوخه ومتفرقه وخطيرته، وفي أي ليلة نزلت من آية، وفيمن

(١) وسائل الشيعة: ج١٨ ص١٤٥ الباب ١٣ ح٤٧.

(٢) وسائل الشيعة: ج١٨ ص١٤٥ الباب ١٣ ح٤٨.

(٣) سورة آل عمران: ٧.

(٤) وسائل الشيعة: ج١٨ ص١٤٥ الباب ١٣ ح٤٩.

(٥) وسائل الشيعة: ج١٨ ص١٤٥ الباب ١٣ ح٥٠.

نزلت، فنحن حكماء الله في أرضه» الحديث[١].

وعن أبي بصير، قال: قال أبو جعفر (عليه السلام): «نحن الراسخون في العلم ونحن نعلم تأويله»[٢].

وعن أبي عبد الله (عليه السلام) قال: «إن الله علم رسوله الحلال والحرام والتأويل، فعلم رسول الله (صلى الله عليه وآله) علمه كله علياً (عليه السلام)»[٣].

وعنه (عليه السلام) في قوله: ﴿**ولو ردوه إلى الرسول وإلى أولي الأمر منهم لعلمه الذين يستنبطونه منهم**﴾[٤]، قال: «هم الأئمة المعصومون (عليهم السلام)»[٥].

وعن إسماعيل بن جابر، عن الصادق (عليه السلام) قال: «إنّ الله بعث محمداً (صلى الله عليه وآله) فختم به الأنبياء فلا نبي بعده، وأنزل عليه كتاباً فختم به الكتاب فلا كتاب بعده»، إلى أن قال: «فجعله النبي (صلى الله عليه وآله) علماً باقياً في أوصيائه، فتركهم الناس وهم الشهداء على أهل كل زمان، حتى عاندوا من أظهر ولاية ولاة الأمر وطلب علومهم، وذلك أنهم ضربوا القرآن بعضه ببعض، واحتجوا بالمنسوخ وهم يظنون أنه الناسخ، واحتجوا بالخاص وهم يقدرون أنه العام، واحتجوا بأول الآية وتركوا السنة في تأويلها، ولم ينظروا إلى ما يفتح الكلام وإلى ما يختمه، ولم يعرفوا موارده ومصادره، إذ لم يأخذوه عن أهله فضلّوا وأضلوا».

---

(١) وسائل الشيعة: ج١٨ ص١٤٥ الباب ١٣ ح٥١.
(٢) وسائل الشيعة: ج١٨ ص١٣٢ الباب ١٣ ح٥.
(٣) وسائل الشيعة: ج١٨ ص١٤٧ الباب ١٣ ح٥٧.
(٤) سورة البقرة: ١٨٩.
(٥) وسائل الشيعة: ج١٨ ص١٤٧ الباب ١٣ ح٦١.

ثم ذكر (عليه السلام) كلاماً طويلاً في تقسيم القرآن إلى أقسام وفنون ووجوه تزيد على مائة وعشرة، إلى أن قال (عليه السلام):

«وهذا دليل واضح على أن كلام الباري سبحانه لا يشبه كلام الخلق، كما لا تشبه أفعاله أفعالهم، ولهذه العلة وأشباهها لا يبلغ أحد كنه معنى حقيقة تفسير كتاب الله تعالى إلاّ نبيه وأوصياؤه (عليهم السلام).

إلى أن قال: ثم سألوه (عليه السلام) عن تفسير المحكم من كتاب الله، فقال: «أما المحكم الذي لم ينسخه شيء فقوله عز وجل: ﴿**هو الذي أنزل عليك الكتاب منه آيات محكمات هن أم الكتاب وأخر متشابهات**﴾[1] الآية، وإنما هلك الناس في المتشابه لأنهم لم يقفوا على معناه ولم يعرفوا حقيقته، فوضعوا له تأويلاً من عند أنفسهم بآرائهم، واستغنوا بذلك عن مسألة الأوصياء ونبذوا قول رسول الله (صلى الله عليه وآله) وراء ظهورهم» الحديث[2].

وعن الحسن بن علي العسكري (عليه السلام) في تفسيره، بعد كلام طويل في فضل القرآن قال:

«أتدورن من المتمسك به الذي له بتمسكه هذا الشرف العظيم، هو الذي أخذ القرآن وتأويله عنا أهل البيت عن وسائطنا السفراء عنا إلى شيعتنا، لا عن آراء المجادلين وقياس الفاسقين، فأما من قال في القرآن برأيه فإن اتفق له مصادقة صواب فقد جهل في أخذه عن غير أهله، وكان كمن سلك مسبعاً من غير حفاظ يحفظونه، فإن اتفقت له السلامة فهو، لا يعدم

(١) سورة آل عمران: ٧.

(٢) وسائل الشيعة: ج١٨ ص١٤٧ الباب ١٣ ح٦٢.

من العقلاء الذم والتوبيخ، وإن اتفق له افتراس السبع فقد جمع إلى هلاكه سقوطَه عند الخيرين الفاضلين، وعند العوام الجاهلين، وإن أخطأ القائل في القرآن برأيه فقد تبوأ مقعده من النار، وكان مثله مثل من ركب بحراً هائجاً بلا ملاح ولا سفينة صحيحة، لا يسمع بهلاكه أحد إلاّ قال: هو أهل لما لحقه ومستحق لما أصابه» الحديث[١].

وعن سعد بن طريف، عن أبي جعفر (عليه السلام) في حديث كلامه مع عمرو بن عبيد قال: «وأما قوله: ﴿**ومن يحلل عليه غضبي فقد هوى**﴾[٢] فإنما على الناس أن يقرؤوا القرآن كما أنزل، فإذا احتاجوا إلى تفسيره فالاهتداء بنا وإلينا يا عمرو»[٣].

وعن العياشي في تفسيره، عن عبد الرحمان السلمي: إن علياً (عليه السلام) مر على قاضٍ فقال: «أتعرف الناسخ من المنسوخ»؟ قال: لا، فقال: «هلكت وأهلكت، تأويل كل حرف من القرآن على وجوه»[٤].

وعن أبي بصير، عن أبي عبد الله (عليه السلام) قال: «من فسّر القرآن برأيه إن أصاب لم يوجر، وإن أخطأ خر أبعد من السماء»[٥].

وعن عمار بن موسى، عن أبي عبد الله (عليه السلام) قال: سل عن الحكومة، فقال: «من حكم برأيه بين اثنين فقد كفر، ومن فسر آية من كتاب الله فقد كفر».

---

(١) وسائل الشيعة: ج١٨ ص١٩ الباب ١٣ ح٨.
(٢) سورة طه: ٨١.
(٣) وسائل الشيعة: ج١٨ ص١٤٩ الباب ١٣ ح٦٤.
(٤) وسائل الشيعة: ج١٨ ص١٤٩ الباب ١٣ ح٦٥.
(٥) وسائل الشيعة: ج١٨ ص١٤٩ الباب ١٣ ح٦٦.

وعن السكوني، عن جعفر بن محمد (عليه السلام)، عن آبائه (عليهم السلام)، عن رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) إنه قال: «إن منكم من يقاتل على تأويل القرآن كما قاتلت على تنزيله، وهو علي بن أبي طالب (عليه السلام)»[1].

(١) وسائل الشيعة: ج١٨ ص١٥٠ الباب ١٣ ح٧٥.

فذلكة

آيات تنافي بظاهرها العصمة

ذكر في القرآن الحكيم ما بظاهره ينافي عصمة الأنبياء (عليهم السلام)، وقد دل العقل والنقل على عصمتهم، كما ذكر في القرآن الحكيم ما بظاهره ينافي صفات الله سبحانه الثابتة عقلاً ونقلاً، مثل إثبات لوازم الجسم له كاليد، ومثل ما ينافي العدل كالإضلال.

وكذلك ذكر في القرآن الحكيم ما بظاهره ينافي الأمور الثابتة عقلا ونقلا، مثل قوله سبحانه: ﴿**وَمَنْ كانَ في هذِهِ أَعْمى فَهُوَ فِي الآخرة أَعْمى**﴾[1]، مع وضوح أن عمى البصر في الدنيا لا يوجب عماه في الآخرة.

ومثل قوله سبحانه: ﴿**إِنَّكَ لا تُسْمِعُ المَوْتى**﴾[2] مع وضوح أن الميت يسمع إلى غير ذلك.

وسبيل الكل المجاز، كما ثبت في علم البلاغة، ومن يصر على عدم المجاز في القرآن كان عليه أن يلتزم بأن العميان في الدنيا عميان في الآخرة وإن كانوا من أفضل المؤمنين.

ولسنا نحن في هذا المقال بصدد بيان صفاته سبحانه، أو عصمة أنبيائه (عليهم السلام)، أو ذكر مواضع المجاز في القرآن الحكيم، وإنما نلمع إلى ذكر بعض الأمثلة تقريباً للذهن.

---

(١) سورة الإسراء: ٧٢.

(٢) سورة النمل: ٨٠.

مثلا : في قصة موسى والخضر (عليه السلام)، ربما ذكر أن الطريقة التي كانت مع غير خضر غير الشريعة التي كانت مع موسى (عليه السلام)، كما ذكر أن موسى (عليه السلام) خالف الأولى في نقض عهده مع خضر (عليه السلام)، وكلا الأمرين محل تأمل، فإن ما فعله خضر (عليه السلام) هو الشريعة العقلية والشرعية الجارية إلى الآن.

فاللازم على الإنسان أن ينقد أموال إنسان قاصر ولو كان بإتلاف شيء من ماله، فإنه ﴿**ما على المحسنين من سبيل**﴾[1]، أرأيت لو أنه كان لأنسان ألف دينار ولم يكن حاضراً، وأراد اللص سرقته، أليس العقل والشرع ـ وجوباً أو استحباباً ـ يحكمان بإعطائك ديناراً منه لحارس يحرسه، حتى يصل إلى يد صاحبه. وكذلك فعل خضر (عليه السلام) بالسفينة.

كما أن المحبذ عقلاً وشرعاً أن يؤثر الإنسان غيره على نفسه، وكذلك فعل خضر في إقامة الجدار لحفظ أموال الأيتام، ولم يعمل بنّاءً لقاء الأجر ليشبع به بطنه.

وأما بالنسبة إلى الغلام ففي بعض التفاسير: إنه كان قاتلا، فقتله خضر قصاصاً، وحتى إذا كان قتله له لمجرد خشيته إرهاقهما طغياناً وكفراً، أفلا يدل العقل على أنه كان أفضل، لأن في قتله إنقاذاً له عن عذاب الله، وإنقاذاً لهما عن فضيحة الدنيا والآخرة، بخلاف إنه (عليه السلام) لو تركه، ففيه كان هلاك الغلام والأبوين، وما اشتهر من عدم القصاص قبل الجناية صحيح في مورده، لا في ما إذا دار الأمر بين الأهم والمهم، أرأيت لو ترك الأب ولده مطلق الحرية ذهب لقتل أو سرقة أو زنا، فحبسه اتقاء ذلك، فهل يسمى

---

(١) سورة التوبة: ٩١.

الحبس قصاصاً قبل الجناية.

إلى غير ذلك من الأمثلة، وفي الروايات ما يؤيد ذلك.

وما اشتهر من أن علياً (عليه السلام) لم يقتل ابن ملجم لأنه كان قصاصاً قبل الجناية غير ظاهر الوجه، فهب أن علياً (عليه السلام) لم يرد قتله، فلماذا لم يحبسه أو ينفيه، ولماذا لم يخرج تلك الليلة بصحبة سيافين يحفظونه، ولماذا خرج تلك الليلة، ألم يكن يقدر أن يستنيب مكانه إنساناً آخر؟

كما أن القول بأن عليا (عليه السلام) لم يكن يعلم بذلك، أو سلب علمه وقت الضربة، أو ما أشبه، غير ظاهر الوجه، فإن هذه الوجوه إنما قيلت فراراً عن إشكال إلقاء النفس في التهلكة.

والجواب عنه أولاً: إنه ليس من ذلك، بل هو من باب إقدام الجيش للحرب لحفظ البلاد وإن علم أن جملة منهم يقتلون.

وثانيا: الظاهر من جملة من الأدلة أن علم النبي (صلى الله عليه وآله) وعلم الإمام (عليه السلام) وقدرتهما الخارقتين لا يؤثران في تغييرهما للمجاري الطبيعية، فمثلهما في ذلك مثل علم الله وقدرته، فكما أن الله سبحانه عالم بالمنكر وقادر على إزالته لكنه لا يفعل ذلك، وإنما يترك الأمر ليسير حسب المجاري الطبيعية، كذلك النبي والإمام قادران وعالمان بالأشياء، ومع ذلك يتركانها لتجري حسب الأمور الطبيعية.

وإلاّ كان اللازم على موسى (عليه السلام) أن يسلط عصاه لتبلع فرعون.

وعلى عيسى (عليه السلام) أن يسلط قدرته ليهلك هيردوس.

وكان اللازم عليه أن يهرب حين علم أنهم يريدون قتله.

وكذلك كان اللازم على محمد (صلى الله عليه وآله) أن ينقذ بأسباب غير

طبيعية المضطهدين من المسلمين، وأن يهلك بأسباب غير طبيعية الكفار.

وكان اللازم على الحسين (عليه السلام) أن لا يبكي لموت الأكبر (عليه السلام) ألم يكن يعلم أنه ذهب إلى الجنة التي هي خير من الدنيا.

كما كان اللازم على يعقوب (عليه السلام) أن لا يبكى لفراق ولده، لأنه يعلم أنه حي، وأنه سوف يملك البلاد، إلى غير ذلك من الأمثلة الكثيرة.

والعلة في الكل أن علمهم الخارق وقدرتهم الخارقة لا يؤثران في تغيير مجاري الحياة الطبيعية، إلاّ في صور نادرة استثنائية، فكل الأئمة (عليهم السلام) كانوا يعلمون بوقت استشهادهم، وأسبابه علماً خارقاً، ولذا ما كانوا يرتبون الأثر، كما أن علمهم الخارق بأنهم من أصحاب الجنة وأنه لا خوف عليهم ولا هم يحزنون، لم يكن يسبب لهم عدم الاستعاذة من النار، وعدم طلبهم الجنة.

ولو فعل الأنبياء والأئمة (عليهم السلام) حسب علمهم وقدرتهم في كل شيء، لتبدلت الدنيا غير الدنيا، ولما كانوا أسوة، مثلاً كان لأحدنا أن يقول: إنهم ما عصوا الله سبحانه لأنهم كانوا يعلمون بتفاصيل العقاب، ونحن لا نعلم بها، وأنهما إنما أقدموا على الاستشهاد لأنهم كانوا يرون منازلهم في الجنة ونحن لا نرى، إلى غير ذلك.

بل عدم تأثير العلم والقدرة الخارقين في مجاري الحياة الطبيعية، جار في أولياء الله كلهم، وإلا فما المبرر لمجيء كميل وميثم وأضرابهما إلى الكوفة وعدم هروبهم، وهم يعلمون أن طاغية زمانهم يقتلهم.

إلى غير ذلك من الأمثلة التي لسنا نحن الآن بصدد تفاصيلها، وإنما أردنا الإلماع فحسب.

هذا كله كان الكلام حول أن عمل خضر (عليه السلام) لم يكن طريقة في قبال الشريعة.

وأما موسى (عليه السلام) خالف الأولى، فالظاهر أن عمل موسى (عليه السلام) كان من جهة الدرس، فإنه كما أن القول قد يأتي لظاهره كاستعمال الأمر للوجوب، وقد يأتي لمقصد آخر كاستعمال الأمر للتهديد، والقرائن الخارجية والداخلية هي المبنية لخلاف الظاهر، كذلك العمل قد يأتي لخلاف ظاهره، مثل جر موسى (عليه السلام) رأس أخيه، حيث كان لأجل إظهار التضجر عن القوم، لا لأجل تعنيف الأخ الذي كان موسى (عليه السلام) أعلم ببراءته، وفي المقام لم يكن يعترض موسى (عليه السلام) على خضر لأجل واقع الاعتراض، وإنما كان أمراً صورياً لإفادة وجوب إنكار ما بظاهره منكر، وإن احتمل له وجه صحيح، ليكون (عليه السلام) بذلك أسوة للمؤمن، وإلا فهل من المعقول أن يكون موسى (عليه السلام) بهذه الدرجة من النسيان وخلف الوعد، مما لا يكون مثله حتى في الأفراد العاديين، وإذا كان كذلك فهل يؤمن مثله على تبليغ الشريعة.

وما ورد في جملة من الروايات من تأييد أمثال هذه الظواهر فهي صادرة إما تقية، وإما لأجل قدر فهم السامع، مما كان الإمام قد يضطر إلى أن يكلمه ويشرح له، وما كان عقله يتحمل فوق ذلك، فإن الأنبياء (عليهم السلام) ومن إليهم قد أمروا أن يكلموا الناس على قدر عقولهم، حتى لا يوجب الكلام الواقع لمفسدة أكثر.

ولذا ورد في الشعر المعروف عن الإمام السجاد (عليه السلام): «إني لأكتم من علمي جواهره».

وورد أنه سأل الإمام (عليه السلام) لماذا الله لا يرى، فأجاب (عليه السلام): «حتى لا تسقط هيبته».

ولم يذكر في القرآن الحكيم عروج النبي (صلى الله عليه وآله) إلى السماء، وإنما ذكر رواحه إلى بيت المقدس فقط، لأن ذكر العروج كان يزيد الأمر إعضالا بالنسبة إلى المشركين وضعاف الإيمان، بما لم يكن الرسول (صلى الله عليه وآله) يمكنه أن يأتي لهم بدليل، بينما كان بإمكانه أن يأتي بدليل ملموس بالنسبة إلى رواحه إلى بيت المقدس من ذكر العلائم وغيرها، كما هو مشروح في هذه القصة.

ومثل ما ذكرناه في قصة موسى (عليه السلام) والخضر (عليه السلام) يجري في قصة ذي النون (عليه السلام) ودعائه على قومه، وقصة نوح (عليه السلام) وطلبه من الله نجاة ولده، وقصة إبراهيم (عليه السلام) وجداله مع الملائكة، إلى غير ذلك، وإذا سلمنا أنه كان في شيء من ذلك (ترك الأولى) فليس المراد به حتى الأولى الأخلاقي، بله (الأولى الوجوبي والاستحبابي) بل (الأولى الخارج عن القدرة)، فإنهم (عليهم السلام) لمعرفتهم بالله يلزم أدباً أن يستغرقوا فيه سبحانه، كما يظهر من بعض فقرات دعاء الإمام الحسين (عليه السلام) في يوم عرفة، فإذا لم يتمكنوا من ذلك الاستغراق للوازم التبليغية وما أشبه، استغفروا واعتذروا لينالوا درجة المستغرق، فهم في هذه الجهة ـ ولا مناقشة في المثال ـ كمن ابتلي بألم الرجل حيث يضطر إلى مدها في المجلس، حيث يعتذر عن ذلك وإن علم أهل المجلس بعذره، وإنما يعتذر لترفيع نفسه عن الدنية الاضطرارية لفظاً، وإن لم يقدر على رفعها عنها عملاً، والله سبحانه العالم.

تتمة

المستقبل للقرآن

حيث إن القرآن الحكيم فلسفة كاملة للحياة، ولا فلسفة كاملة غيره، لا بد وأن يسيطر على الحياة، إن عاجلاً أو آجلاً، فإنه إنما يسيطر إذا عرف البشر هذين الأمرين: إنه فلسفة كاملة وإنه لا فلسفة كاملة غيره.

إذ البشر بحاجة إلى فلسفة كاملة ليسعد، والسعادة هي الغاية المتوخاة لكل بشر، وليس وراءها مقصد، فإن الذاتي لا يعلل بغيره.

أما أن القرآن فلسفة كاملة، فلأنه يعطي شؤون الروح، ويعطي متطلبات الجسد، ويستند إلى ما لا يتغير، وهذه العناصر الثلاثة هي التي تشكل السعادة الكاملة لأن الإنسان روح وجسد، ولكل واحد منهما متطلبات، ثم إذا كان متطلباتهما غير مستندة إلى قوة أزلية لا تتغير، كانت محلا للتغيير، مما يسلب الثقة، وسلب الثقة ينتهي إلى الشقاء، فهو مثل أن تراجع طبيباً لا تثق به، أو تركب طائرة أو سفينة لا تثق بهما، حيث إن في الكل احتمال العطب الذي يوجب الشقاء النفسي، وشقاء النفس كسعادتها تسريان إلى الجسد للتفاعل بين الروح والجسد، ولذا كان القلق يوجب قرحة المعدة، وأمراضاً أخر، ولذا كان أيضاً المرض الجسدي يوجب اضطراب العقل، ومنه قيل: (العقل السليم في الجسم السليم).

وعلى هذا فإذا لم تكن المتطلبات مستندة إلى قوة أزلية توجب الثبات والاستقرار، كان الإنسان يعيش في ألم وعذاب، وحيث إن من طبيعية

الإنسان الفرار من الألم كان لا بد له أن يتطلب فلسفة صحيحة ليدفع بها ألمه، وينتهي به المطاف إلى فلسفة القرآن، التي هي الفلسفة الصحيحة للكون والحياة، بكلا شقي الحياة: الروح والجسد، بالإضافة إلى أنها مستندة إلى الله سبحانه، الذي لم يزل ولا يزال ولا تتبدل قوانينه، ﴿فَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ اللهِ تَبْديلاً، ولَنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ اللهِ تحويلا﴾[1].

إذا ثبت هذا قلنا: أمهات الفلسفات الموجودة في عالم اليوم خمسة:

١ : فلسفة الإسلام.

٢ : وفلسفة اليهود.

٣ : وفلسفة النصارى.

٤ : وفلسفة الرأسمالية.

٥ : وفلسفة الشيوعية.

وما عدا الإسلام من سائر الفلسفات ليست صالحة للحياة، فلا تبقى إلاّ فلسفة الإسلام التي ينتهي البشر في آخر المطاف إليها.

ولذا قال سبحانه: ﴿لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ﴾[2]، فهو بالإضافة إلى كونه غيبياً، يؤيده المنطق والبرهان.

أما عدم تمكن فلسفة اليهودية والنصرانية من الصمود أمام الحياة، فلوضوح أنهما مشوبتان بأبشع أنواع الخرافة، والعقل إن سبت ساعة لا يسبت إلى قيام الساعة، ولذا بمجرد أن ترجم كتابيهما بعض المترجمين، وعرف الغرب والشرق ما يحتويان من الخرافة لفظوهما، بالإضافة إلى أنهما

(١) سورة فاطر: ٤٣.

(٢) سورة التوبة: ٣٣.

كانا مصادر لمحاكم التفتيش وما أشبهها مما اصطدم بالعلم حين نهوض العلم، فانسحبا عن الميدان بعد مجازر بشرية رهيبة، هذا أولاً.

بالإضافة إلى أن اليهودية والنصرانية لا تشتملان على قوانين الإنسان في معاملاته وأحواله الشخصية وسائر شؤونه، بل منطقهما: (دعوا ما لقيصر لقيصر، وما لله لله) فالبشر الذي يعيش تحت مظلتهما، لا بد له من وضع قوانين لحياته، وحيث إنها ليست مستندة إلى قوة أزلية لا تصلح للإسعاد، كما تقدم بيان ذلك، وهذا ثانياً.

وقد ظهرت آثار انهزام اليهودية والنصرانية في هذا القرن بما لا يرجى في بقائهما، وإن حقنتا بآثار الحضارة الحديثة، فالخشبة اليابسة لا تحيى وإن سقيت بألف كر من الماء.

وأما عدم تمكن فلسفة الشيوعية والرأسمالية من الصمود أمام الحياة، فلأنهما:

أولاً: ناقصتان من حيث عدم وفائهما بجانب الروح، وإنما تتعرضان لجانب الجسد فقط، ولذا كان الغرب القائل بالروح اضطر إلى التشبث باليهودية والمسيحية لأجل إملاء الروح، ولكنهما لم ينفعاه أيضاً، لخواء ما فيهما من الروحيات، وأسوأ الاثنتين هي الشيوعية التي لا تعترف بالروح أصلاً.

وثانياً: لا يستمدان قوانينهما الجسدية من قوة أزلية، وقد عرفت أن القانون المستمد من الإنسان ونحو الإنسان مترجرج، ولا ينفع استقرار الإنسان وثقته.

أما أمثال القومية، والبعثية، والوجودية، والديمقراطية، والاشتراكية

ونحوها، فهي ليست فلسفات أصلا، وإنما هي فكر منحرفة لبقعة صغيرة من بقع الحياة، فالقومية معناها جمع القوم، والبعثية معناها بعث القوم، والوجودية إفراط في الفردية مقابل إفراط الماركسية في الدولة، والديمقراطية حكم الشعب، والاشتراكية توزيع قسم من الثروة، ومن الواضح أن أياً منها ليست فلسفة للحياة هذا مع الغض مما سبب جملة منها من المآسي للإنسان.

إذاً لم يبق في الميدان إلاّ القرآن، ففي أي وقت اجتهد حملته في إيصاله إلى العالم، استقبله العالم بكل ترحاب، كما استقبله العالم بكل حفاوة إبان ظهوره.

والمسؤول من الله سبحانه أن يوفق الجميع لما يحب ويرضى، وهو المستعان.

سبحان ربك رب العزة عما يصفون، وسلام على المرسلين، والحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على محمد وآله الطيبين الطاهرين.

قم المشرفة
محمد بن المهدي الحسيني الشيرازي
١٣٩٩/٨/٢٤ هـ

المحتويات